


التفسير
و
مناهج المفسرين

تأليف

الدكتور / جمال محمود الهوبي

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية - غزة

الدكتور / عصام العبد زهد

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية - غزة




الطبعة الثانية
(١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)

طبع بمطبعة المقداد
غـــــــزة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وعدد ما أحصاه كتابه، وعدد ما خطه قلمه، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام على رسوله الأمين، قائد الغر المحجلين، المبعوث رحمة وهدى ونوراً للعالمين.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ،

قال الله – جل ثناؤه – : **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾**[1]، وقال – سبحانه وتعالى – : **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾**[2]، وقال – عز وجل – : **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾**[3]، وقال رسوله – صلى الله عليه وسلم -: **"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"**[4].

إن القرآن الكريم كتاب الله وكلامه لا يدانيه كتاب من قريب أو بعيد، والفرق بين كلام الله وبين كلام البشر كالفرق بين الخالق والمخلوق، وإن العلم الذي يخدم هذا الكتاب هو أفضل العلوم وأجلها، خاصة علم التفسير وما يتعلق به.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة محمد، الآية ٢٤ .

(٣) سورة ص، الآية ٢٩ .

(٤) البخاري مع الفتح. كتاب (فضائل القرآن) باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ٦١/٩، ٦٢.، وسنن أبي داود (١٤٥٢)، وسنن الترمذي (٢٩٠٩).

وهذا الكتاب "**التفسير ومناهج المفسرين**" أعددناه بعد توكلنا على الله تعالى، وبعد تشجيع زملائنا في قسم: التفسير وعلوم القرآن، ولقد تم الاستئناس بكتاب التفسير والمفسرون للذهبي في الهيكل العام لكتابنا هذا، مع العلم أننا قد رجعنا إلى مراجع كثيرة منها القديم والحديث حتى زادت على الثمانين مرجعًا.

وقد تحرينا فيه ما يلي:

١ - جمع الكتاب لمفردات المادة المقررة على طلابنا الأعزاء في كليتي أصول الدين واللغة العربية.

٢ - تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب وتفريعات حتى تعين القارىء على الإلمام بالمادة العلمية والإحاطة بها.

٣ - السهولة والتبسيط في بيان المادة العلمية وشرحها.

٤ - الدقة العلمية، والمنهجية التربوية، في تقرير وتحقيق المادة العلمية.

ولتحقيق ذلك جعلنا هذا الكتاب في بابين، الأول: (التفسير بالمأثور) وجعلناه في ثلاثة فصول، الأول: (مراحل التفسير بالمأثور) والثاني: (أسباب ضعف الرواية بالمأثور) والثالث: (أهم مؤلفات التفسير بالمأثور).

والباب الثاني: (التفسير بالرأي واتجاهاته وأهم كتبه)، وجعلناه في فصلين، الأول: (التفسير بالرأي) والثاني: (اتجاهات التفسير بالرأي وأهم كتبه).

وفي الختام نسأل الله العليّ القدير أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة، كما نسأله أن يفتح على كل من قرأه بالفهم والحفظ والعمل والإخلاص، ونُذَكِّر كل من استفاد منه أن لا ينسانا من دعوة صالحة في ظهر الغيب.

المؤلفان،

د. عصام زهد ، د. جمال الهوبي

(صيف ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)

(مدخل الكتاب)

تعريف التفسير والتأويل وأهميته

أولاً - تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما

ثانياً - فائدة التفسير وأهميته

مدخــل الكتــاب

(تعريف التفسير والتأويل وأهميته)

أولاً: تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما:

أ) تعريف التفسير:

١ - التفسير لغة:

التفسير في اللغة يعني البيان والإيضاح والكشف عن المبهم وهو مأخوذ من ثلاث كلمات هي: فَسر - وتفسره - وسفر.

١ - الفَسْر : بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل في النص قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾[1] أي أحسن توضيحاً وبياناً وتفصيلاً.

ويطلق الفسر على الكشف الحسي فسرتُ الخيل إذا عريتها من أجل الإنطلاق، وفسرتُ عن ساقي بمعني أبنته وأظهرته كما يطلق ويراد به الكشف المعنوي فتقول: فسرت عن قصدي - أي أبنت وأظهرت ما أريد بيانه مما يجول في خاطري.

٢ - التفسرة: هي اسم يطلق على العينة التي تؤخذ من المريض ليستطيع الطبيب عن طريقها تشخيص المرض، وكما أن الطبيب يشخص المرض من التفسرة أيضاً فإن المفسّر يوضح المعنى المراد من الألفاظ القرآنية، وتفسير الكلام وبيان معناه فهو تفسرته.[2]

---

(١) سورة الفرقان، آية ٣٣ .

(٢) انظر: لسان العرب، مجلد ٤ ، ص ١٠٩٥ .

٣ – سفر : قال بعض العلماء أن أصل التفسير مشتق من فَسر وقدمت السين على الفاء فأصبحت سفر وهي أيضاً تعني الكشف والإبانة فحينما تقول أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء، ويقال سفرت المرأةُ سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة، وبذلك يتضح التقارب بين الكلمتين، فسر وسفر لكن فسر أكثر استعمالها في الكشف عن المعاني أما سفر فتستخدم لبيان المشاهدات والأشياء المحسوسة.

ونستطيع أن نجمل معنى التفسير بأنه شرح وبيان للآيات القرآنية وتوضيح لما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام وكشف عن المبهم حول النص وإرشاد وهداية الناس إلى ما عناه وقصده صاحب الكلام في كلامه.[١]

٢ – التفسير اصطلاحاً:

لقد اختلف العلماء حول وضع حد اصطلاحي للتفسير لأنه ليس منضبطاً كسائر العلوم ولأنه يشمل عدة علوم تندرج جميعها ضمن التفسير ومع ذلك وضعت بعض التعريفات الاصطلاحية التي تتمحور جميعاً حول نقطة واحدة وهي المعنى اللغوي لكلمة التفسير التي تعني الكشف والبيان والإيضاح فقد عرّفه الذهبي فقال: "هو بيان لكلام الله تعالى".

وعرّفه الزرقاني فقال: "هو علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى في حدود الطاقة البشرية.

وعرّفه الزركشي فقال: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وحلالها وحرامها...إلخ".

والذي ترتاح إليه النفس في هذه التعريفات هو تعريف أبي حيان فعرّفه بالآتي فقال: "التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ ٢، ص ١٤٨.

ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك".[1]

شرح التعريف:

قولنا "علم" جنس يندرج تحته سائر العلوم.

وقولنا "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم" يُقصد بذلك علم القراءات التي تعني أحكام التلاوة والتجويد، فهذا العلم هام للمفسر يساعده في فهم المراد من النص القرآني.

مثال: قال تعالى: **﴿وإذا رأيت ثمَّ رأيت نعيماً ومُلْكاً كبيراً﴾**[2]

وفي قراءة ثانية **﴿وإذا رأيت ثمَّ رأيت نعيماً ومَلِكاً كبيراً﴾** فالقراءة الأولى تعني النظر إلى مُلك الله الواسع الكبير أما الثانية فتعني الحق تبارك وتعالى.

مثال آخر: قال تعالى: **﴿قال أعلَمُ أن الله على كل شيءٍ قدير﴾**.[3]

يوجد لهذا النص قراءتان، الأولى قرأها حمزة والكسائي بهمزة الوصل وتسكينا لميم **﴿اعلمْ﴾** على أنها فعل أمر، وحجتهم لكي تكون موافقة لسياق النص حيث جاء قوله تعالى: **﴿فانظرْ إلى طعامك وشرابك﴾** وأيضاً قوله تعالى: **﴿وانظرْ إلى العظام كيف ننشزها﴾** وكذلك الموافقة لسياق الآية التي بعدها حيث تتحدث عن قصة إبراهيم عليه السلام **﴿واعلمْ أن الله عزيز حكيم﴾**.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ١، ص ١٤،١٥، وانظر: دراسات في مناهج المفسرين، جـ١، ص ٢٧-٢٩، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان، جـ ١، ص ١٣-١٤.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

أما القراءة الثانية لنافع وابن كثير وعاصم فقد قرأوا بهمزة القطع وضم الميم ﴿أعلمُ﴾ على أنها فعل مضارع ودليلهم أنه علم من باب الاعتراف حينما شاهد قدرة الله تعالى في الإحياء بعد الإماتة. فقال: ﴿أعلمُ﴾ أي قوي الإيمان في نفسي وهذه القراءة هي الأصوب والأفضل.

وقولنا "ومدلولاتها" أي ما تدل عليه الألفاظ فقد يدل اللفظ على أكثر من معنى، قال تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾[1] الإمام أبوحنيفة وجمهور العلماء قالوا: الملامسة هنا تعني الوطء أي الجماع واستدلوا بأن الله إذا ذكر ذلك فإنه يكني، أما الشافعي فقال: الملامسة هي مجرد اللمس باليد.[2]

وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية" إشارة إلى علم الصرف والإعراب وعلم البديع والبيان وغير ذلك مما يتعلق بعلوم اللغة.

وقولنا: "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب" إشارة واضحة إلى المعنى المجازي والمعنى الحقيقي.

وقولنا: "وتتمات لذلك" فهذا يشمل جميع العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم مثل علم الناسخ والمنسوخ وسبب النزول والمكي والمدني...إلخ.[3]

ب) تعريف التأويل:

١ – التأويل لغة:

يرجع لفظ التأويل في أصله الاشتقاقي إلى الأَوْل وهو يعني الرجوع فحيما تقول آل إليه الأمر أولاً ومآلاً إذا رجع إليه رجوعاً وآل عنه أولاً أي ارتد عنه

(١) سورة النساء، الآية ٤٣ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، مجلد ٣، جـ ٥، ص ١٤٨.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جـ ٢، ص ٣٨٣.

ارتداداً، وأوّل الكلام وتأوّله إذا تدبّره وقَدّره وفَسّره - وكأن المؤول يُرجع الكلام إلى أحد معانيه الصائبة.

ومنه الإياله أو الإيال: بمعنى السياسة، فيقال آل الأمير رعيته إيالة حسنة، أي ساسها سياسة حسنة فأحسن رعايتها، ولأن المؤول يسوس الألفاظ ويضع المعنى في موضعه المناسب ومنه المآل: وهو يعني المرجع و العاقبة والمصير ويوضح ذلك قوله تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾**.[1] أي أحسن عاقبة ومصيراً.[2]

٢ - التأويل اصطلاحاً:

لقد اختلف سلف الأمة وخلفها حول معنى التأويل اصطلاحا:

التأويل عند سلف الأمة: ذكر بعض العلماء أن التأويل عند السلف له معنيان كالآتي:

الأول: التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، وبذلك يكون التفسير والتأويل على هذا مترادفين وهذا الذي قصده مجاهد بن جبر من قوله: "إن العلماء يعلمون تأويله" ويعني بذلك القرآن الكريم، لذا لم يجز الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾**[3] على اعتبار أن التفسير والتأويل شيء واحد لا فرق بينهما، بخلاف قراءة الجمهور التي توجب الوقف على لفظ الجلالة في النص السابق.

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) انظر: لسان العرب، مجلد ١، ص ١٣٠-١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧ .

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا" وبقوله "اختلف أهل التأويل حول هذه الآية" فهو يعني بالتأويل التفسير.

وأيضاً دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" واستجابة لهذا الدعاء ولأمور أخرى كان ابن عباس عالماً بالتفسير حتى أصبح رئيساً لمدرسة التفسير في مكة المكرمة.

الثاني: التأويل هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله تنفيذ هذا الطلب وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به، فإذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها وبذلك يمكن إرجاع لفظ التأويل في القرآن الكريم إلى هذا المعنى.

التأويل عند خلف الأمة من علماء التفسير والحديث والفقه والفلسفة فقد عرّفوه بعدة تعريفات كلها تدور حول محور واحد وأجمع هذه التعاريف الاصطلاحية للتأويل "هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله بدليل يقترن به".[1]

وقالوا أن المؤول يحتاج إلى أمرين عند صرفه اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المحتمل ليكون تأويله صحيحاً.

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي ذهب إليه وادعى أنه المراد من النص.

الأمر الثاني: أن يوضح الدليل الذي دعاه إلى صرف اللفظ عن معناه الظاهر الراجح إلى المعنى المحتمل المرجوح وإلاّ كان التأويل باطلاً وتلاعباً بالألفاظ.[2]

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، جـ ١، ص ١١ .

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ١٨ .

جـ) الفرق بين التفسير والتأويل:

أوضح الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون الفرق بين التفسير والتأويل نقلاً عن السيوطي في كتابه الإتقان نلخصها في الآتي:

١ - قال أبوعبيدة وطائفة معه: أن التفسير والتأويل بمعنى واحد فهما مترادفان لشيء واحد وهو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

٢ - قال الراغب الأصفهاني: التفسير أعم وأشمل من التأويل وأكثر استعمال التفسير في مفردات الألفاظ وخاصة الغريبة كالبحيرة والسائبة والوصيلة والموقوذة والمتردية والنطيحة ويستعمل في الكتب الإلهية وفي كلام البشر.

أما التأويل فيستعمل في المعاني كتأويل الرؤيا ويختص في الجمل والآيات بكاملها ويتعلق بالكتب الإلهية.

٣ - قال الماتوريدي: التفسير يعني القطع على أن المراد من اللفظ هو هذا المعنى والشهادة على أن الله تعالى عنى ذلك من اللفظ فإن قام دليل مقطوع به فصحيح وإلاّ كان تفسيراً بالرأي.

أما التأويل فهو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله بأنه قصد وعنى ذلك.

٤ - التفسير بيان وضع اللفظ إما على سبيل الحقيقة أو المجاز كتفسير الصراط بالطريق، وتفسير الصيب بالمطر، أما التأويل فهو تفسير باطن اللفظ، وهذا الكلام عليه بعض المؤاخذات حيث ضرب الإسلام وأصبح في تراجع حينما قال البعض بأن للقرآن ظاهراً وباطناً.

٥ - قال البغوي في تفسيره، التفسير يتعلق بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وقصص القرآن والعام والخاص والمطلق والمقيد وكل ما يتعلق بالآيات، أمّا

التأويل فهو صرف الألفاظ إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.(١)

٦ - التفسير هو كشف وبيان للمعاني التي تستفاد من وضع العبارة، لذلك لا بد من معرفة فقه اللغة لبيان المعاني التي يحتملها النص.

أمّا التأويل فهو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة.

٧ - التفسير يتعلق بعلم الرواية وذلك لأن التفسير هو الكشف والبيان عن مراد الله تعالى ولا نجزم به إلاّ إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة الذين شهدوا فترة نزول الوحي وعلموا بالحوادث والوقائع التي لازمت نزول الوحي، إضافة إلى أنهم خالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا إليه في توضيح ما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

أما التأويل فهو يتعلق بالدراية وملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، وهو يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب حسب موقعها في السياق.(٢)

ثانياً - فائدة التفسير وأهميته:

تتلخص فائدة علم التفسير وأهميته بالنسبة للناس عامة في النقاط الآتية:

أولاً : ذكر السيوطي في الإتقان، أن التفسير من أَجّل العلوم وذلك لأن شرف العلم من شرف المعلوم، فشرف التفسير مُقتبس من شرف القرآن الكريم لتعلقه به مباشرةً، فهو من أشرف العلوم من ناحية الموضوع الذي يتناوله والغرض الذي يهدف إليه ومن ناحية الحاجة إليه.

---

(١) تفسير البغوي، جـ ١، ص ١٨.

(٢) التفسير والمفسرون بتصرف، جـ ١، ص ١٩-٢٢، وانظر: دراسات في مناهج المفسرين، جـ١، ص ١٣-١٦.

١ – من جهة الموضوع: التفسير موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع لكل حكمة وأساس لكل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحُكم ما بينكم ولا يُخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

٢ – من ناحية الغرض: الغرض من تفسير القرآن هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة ولن يتم هذا إلاّ بفهم كتاب الله والعمل بمقتضاه، والتفسير خير مُعين لفهم القرآن الكريم.

٣ – الحاجة إليه: إن الكمال الديني والدنيوي يفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الإسلامية وهذه متوقفة على معرفة كتاب الله تعالى لذلك كان واجباً على أبناء الأمة حفظ القرآن وفهمه وتدبر معانيه، قال تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب**﴾[2] دلت الآيات أنه أنزل للتدبر، وتدبر القرآن بدون فهم تفسيره غير ممكن، ومن هنا تكمن أهمية التفسير والحاجة إليه، فهو فرض على الأمة لكنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

ثانياً : إن الأمة لا تقوم إلاّ من خلال التفسير: القرآن الكريم نزل ليبني خير أمة أُخرجت للناس والتفسير هو مفتاح لفهم كتاب الله وعن طريقه نستطيع معرفة القرآن ونصائحه وفضائله ونتربّى على مائدته لهذا فالتفسير ضروري لبناء الأمة والحفاظ على شخصيتها.

ثالثاً : التفسير يفيدنا بمعرفة هداية الله تعالى في مجال العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق وبذلك ينال الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة إذا اهتدى لمحاسن هذه الأمور عن طريق تفسير القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين**﴾.[3]

---

(١) سورة محمد، الآية ٢٤ .

(٢) سورة ص، الآية ٢٩ .

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٥ .

رابعاً : سمى التفسير بالتفسير وهو الكشف والبيان والإيضاح مع أن كل علم هو كشف وتبيين وإيضاح إلاّ أنه لجلالة هذا العلم وحاجة الناس إليه هدفه في توضيح مراد الله تعالى حسب الإمكان كأنه هو العلم وحده دون غيره من بقية العلوم.

خامساً : إن كمال الخالق عز وجل يجعل الحاجة إلى التفسير لا بد منها لأنه يصعب على الإنسان أن يصل إلى مراد الله صاحب الكمال والجلال لأنه يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ولا يتم فهم ذلك إلاّ من خلال التفسير.

سادساً : احتمال اللفظ القرآني إلى عدة معاني لا يرجحها إلاّ التفسير.

سابعاً : إن شرف هذا العلم وفوائده تتمثل في قوله تعالى **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾**.[1]

لقد فسّر ابن عباس "يؤتي الحكمة" المعرفة بالقرآن وما يتعلق به من علوم مثل الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمثال والأقسام والحلال والحرام وهذه العلوم جميعها يتعلق بالتفسير، فمن فهم التفسير يكون قد أخذ بالحكمة كما جاء في النص السابق.

وأبرز ابن عباس أهمية التفسير فقال: "الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي الذي يهذّ الشعر هذّاً".

والهذُّ يعني السرعة في القراءة بدون فهم.

وأخرج ابن الأنباري عن أبي بكر الصديق أنه قال: "لأن أعرب آية من القرآن أحبُّ إليَّ من أن أحفظ آية".

والمقصود بالإعراب في قول أبي بكر الشرح والبيان أي التفسير لا المعنى الحادث للإعراب.[2]

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جـ ٢ ، ص ٣٨٤-٣٨٦ .

(الباب الأول)

(التفسير بالمأثور)

ويتكون من الفصول الآتية

الفصل الأول - نشأة علم التفسير بالمأثور ومراحله

١ - المرحلة الأولى: التفسير في عهد النبي -صلى ا لله عليه وسلم -

٢ - المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة -رضوان ا لله عليهم -

٣ - المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين -رحمهم ا لله -

٤ - المرحلة الرابعة: التفسير في عهد التدوين

الفصل الثاني - أسباب ضعف الرواية بالمأثور

الفصل الثالث - أهم مؤلفات التفسير بالمأثور

الفصل الأول

(نشأة علم التفسير بالمأثور ومراحله)

لقد جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يرسل إلى كل أمة رسولاً يتحدث بلسان قومه ليسهل التخاطب بينه وبينهم، قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه ليُبيِّنَ لهم**﴾.(١)

وأرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب وأنزل عليه القرآن الكريم بلسان قومه اللسان العربي المبين، قال تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾،(٢) وقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾.(٣)

وكان العرب أقحاحاً في لغتهم يفهمون كثيراً من آيات القرآن بالسليقة العربية واللسان العربي لأنهم كانوا في العصر الذهبي لنطق العربية من ناحية الفصاحة والبلاغة في الشعر والنثر والأدب، ومع ذلك إلاَّ أن الأمر أسقط في أيديهم، وعجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة من سور القرآن الكريم لأن القرآن يعلو على سائر كلام العرب ولا يعلو عليه كلام لأنه امتاز بأسلوبه اللغوي البديع وبلاغته فضلاً عن المعاني الكثيرة التي تحتويها كلماته الوجيزة.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤ .

(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٩٣-١٩٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ٢ .

لذا فقد كان الصحابة يتفاوتون في فهمهم للقرآن، وإن كان الجميع يدرك إعجازه فكان البعض منهم يفسر للآخرين ما غمض عليهم من معنى لبعض الألفاظ، وإن أُشكل عليهم لفظٌ أو غمض عليهم نصٌّ من النصوص القرآنية ولم يجدوا من يفسره لهم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبينه لهم لأن وظيفته صلى الله عليه وسلم البيان، قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾.(٤)

---

(٤) سورة النحل، الآية ٤٤ .

المبحث الأول

(المرحلة الأولى)

(التفسير في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم-)

بدأ نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء فنزلت الحقبة الأولى من الآيات تتصدرها سورة العلق، قال تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾.(١)

وأخذ الوحي يتتابع في النزول على قلب النبي صلى الله عليه وسلم حسب الأحداث التي تواجه الجماعة المؤمنة وكان صلى الله عليه وسلم يحرك لسانه وراء جبريل ليسهل عليه حفظه، فأمره الحق تبارك وتعالى ألاّ يُحرك به لسانه لأنه تكفل بجمع القرآن في صدره صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به، إنّ علينا جمعَهُ وقرآنَهُ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنّ علينا بيانه**﴾.(٢) كما تكفل بحفظه من العبث والضياع إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.(٣)

وكان صلى الله عليه وسلم يفهم القرآن فهماً إجمالياً وتفصيلياً لأن الله سبحانه تكفل بجمع القرآن في صدره وبيانه وتوضيحه وتفسيره، لذلك كان صلى

---

(١) سورة العلق، الآيات ١-٥. .

(٢) سورة القيامة، الآيات ١٦-١٩.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩ ؛

الله عليه وسلم يفهم القرآن الكريم كله بتفصيلاته وإجمالاته لأنه إن هو إلاّ وحيٌ يوحى، قال تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى، علمهُ شديدُ القوى**﴾،[1] وقوله تعالى: ﴿**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**﴾ [2]

إضافة إلى أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ورسول الله صلى الله عليه وسلم خير من نطق بلغة الضاد لأنه أُوتي جوامع الكلم وألفاظ القرآن عربية إلا بعض الألفاظ القليلة اختلفت فيها وجهات النظر عند العلماء، فمن قائل أنها أخذت من لغات أخرى وعُرّبت نتيجة لاستعمالها في لسان العرب، وأخذت أحكام اللغة العربية في الرفع والنصب والجر فأصبحت عربية الاستعمال، وقال البعض أنها عربية بحتة، فغايةُ الأمر أنها مما تواردت عليها اللغات. وعلى كلا الحالتين فهي ألفاظ عربية ولا تُخرجِ القرآن عن كونه نزل بلسان عربيٍ مبين.

المقدار الذي فسّره صلى الله عليه وسلم من القرآن:

لقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ألفاظ القرآن ومعانيه التي أشكلت على الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن العلماء اختلفوا في تحديد المقدار الذي فسّره صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم إلى رأيين وهما كالآتي:

الرأي الأول: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه كل معاني القرآن الكريم كما بين لهم ألفاظه وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "يجب أن يُعلم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن وكما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿**لِتُبيّنَ للناس ما نُزّل إليهم**﴾،[3] يتناول هذا وهذا.[4]

---

(١) سورة النجم، الآيات ٣-٥.

(٢) سورة القيامة، الآيات ١٨-١٩.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٤ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير، ص ٤٥، تحقيق محمود نصار.

واستدل أصحاب هذا الرأي بالأدلة الآتية:

أولاً: اعتمدوا على قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبيّنَ للناس ما نـزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾(١) وقالوا أن البيان في الآية يتناول الألفاظ والمعاني، وكما أنه بيَّن ألفاظه كلها فقد بيّن معانيه كلها، وإلاّ كان مقصراً في البيان الذي كُلّف به من ربه في النص السابق.

ونحن نقول أن استدلال ابن تيمية ومن معه في تفسيرهم للآية غير صحيح لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُبيّن ما يشكل على الصحابة فهمه من القرآن الكريم وليس كل معاني القرآن لأنه لا يعقل أن يوضح صلى الله عليه وسلم شيئاً يعلمه الصحابة بلغتهم أو نتيجة لمعاصرتهم نزول الآيات.

ثانياً: استدلوا بحديث أبي عبدالرحمن السُّلمِي أنه قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً".(٢)

وكانوا يبقون مدة طويلة في حفظ السورة حيث جاء في الموطأ أن ابن عمر أقام على حفظ سورة البقرة ثمان سنوات، وقالوا: لو كان المراد الحفظ فقط لما احتاج إلى هذا الزمن الطويل فيدل على أن المراد فهم المعاني.

واعتبروا أن هذه الآثار تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبين لأصحابه كل معاني القرآن وألفاظه.

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٤ .

(٢) انظر: دراسات في مناهج المفسرين، جـ ١، ص ٢٢٠

إن استدلالهم هذا خاطىء لأن الصحابة كانوا يعلمون القرآن والعلم والعمل بفهمهم وسليقتهم وسؤال بعضهم بعضاً ومن التفسير كانوا يفهمونه بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: قالوا إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في أي فن من العلم كالطب والحساب والكيمياء ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى الذي فيه عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.(١)

إن دليلهم هذا يدل على أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن ويعرفون معانيه شأن أي كتاب يقرأه قوم، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكونوا قد رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل لفظ.

رابعاً: اعتمدوا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد، وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "من آخر ما نزل آية الربا، وإنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قُبض قبل أن يفسرها".

وهذا يدل بالفحوى على أنه صلى الله عليه وسلم كان يفسر لهم كل ما نزل، ومنعه من تفسيرها سرعة موته بعد نزولها.(٢)

ونحن نقول إن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبين لهم آية الربا لا تدل على أنه كان صلى الله عليه وسلم يُبيّن لهم كل المعاني لأنه يجوز أن تكون هذه الآية مما أشكل على الصحابة كشأن القرآن الذي يُرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في فهمه.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص ٤٦.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص٤٩، ٥٠، ومقدمة في أصول التفسير، تحقيق محمود نصار، ص ٤٣.

الرأي الثاني: ذهبت طائفة من العلماء إلى القول بأن الرسول صلى ا لله عليه وسلم لم يُبيّن لأصحابه من معاني القرآن الكريم إلا القليل وعلى رأس هذه الطائفة الإمام السيوطي.

واستدل أصحاب هذا الرأي بالأدلة الآتية:

أولاً: اعتمدوا ما أخرجه البزار عن عائشة رضي ا لله عنها أنها قالت: "لم يكن النبي صلى ا لله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا أياً بعدد علمه إياه جبريل عليه السلام".

الاستدلال بهذا الحديث باطل لأنه منكر وغريب ومن روايته محمد بن جعفر الزبيري وهو مطعون فيه وقال الطبري في تفسيره أن في الحديث علة لا يجوز معها الإحتجاج به.[1]

ثانياً: قالوا أن ا لله لم يأمر رسوله صلى ا لله عليه وسلم أن يُبيّن المراد من الآيات كلها لأجل أن يتفكر العباد في كتاب ربهم، والعلمُ بالمراد فيما لم يُنَص عليه يستنبط بأمارات ودلائل.

الرد على ذلك أن حفظ الصحابة للقرآن ومعرفتهم بلغة القرآن عَلّمهم الكثير من المعاني وما أُشكل عليهم سألوا النبي صلى ا لله عليه وسلم عنه.

ثالثاً: قالوا لو بَيَّن الرسولُ صلى ا لله عليه وسلم لأصحابه كل معاني القرآن الكريم لما كان لدعائه لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" من فائدة لأنهم يستون في فهم معانيه.

الرد على ذلك أنه لا يوجد مانع يمنع النبي صلى ا لله عليه وسلم أن يفسر القرآن وفي الوقت نفسه يدعو لابن عباس أن يكون عالماً في التفسير.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ ١، ص ٨٩ ، وانظر: التفسير النبوي للقرآن، ص ٥٥ .

الرأي الراجح: هو ما ذهب إليه الذهبي رحمه الله من التوسط بين الرأيين فهو الأصوب والأفضل وهو الذي ترتاح إليه النفس، فالرسول صلى الله عليه وسلم بين الكثير من معاني القرآن ولم يُبيّن كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما يعلمه العرب بلغتهم، ومنه ما لا يُعذر أحد بجهله لظهوره وبيانه، وعلى هذا فإن الرأي الأول والثاني لم يُصيبا الحقيقة.(1)

ملخص الأمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطنب ولم يختصر في تفسير الآيات ولا يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته فكان تفسيره صلى الله عليه وسلم بيان لما يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم فيوضح لهم المجمل والمشكل أو يخصص العام أو يُقيد المطلق أو يوضح بعض الألفاظ الغامضة وما يتعلق بها.

(1) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ٥٣ .

المبحث الثاني

(المرحلة الثانية)

(التفسير في عهد الصحابة -رضي الله عنهم-)

المطلب الأول

(التفسير في عصر الصحابة ومميزاته)

أولاً : تفاوت الصحابة في التفسير:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ولمّا كان الصحابة -رضي الله عنهم- عرباً خُلصاً فهموا القرآن وأدركوا معانيه ومراميه بسليقتهم العربية فهماً لا تُعكّرهُ عُجمه أو تحكم لتصور فاسد وذلك لصفاء عقيدتهم ومع ذلك إذا خفي عليهم شيءٌ من القرآن رجعوا إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيبيّن لهم ذلك ويوضحه، وإذا لم يتمكنوا من ذلك رجعوا إلى اجتهادهم، وكان التفاوت بينهم واضحاً لأنهم لم يكونوا على درجة واحدة في فهمهم للقرآن الكريم.

ولقد ظن البعض أن الصحابة فهموا القرآن فهماً كاملاً جملة وتفصيلاً ومنهم ابن خلدون حيث قال في مقدمته: "إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه".[1] بحيث لم تكن هناك كلمة أو عبارة غامضة عليهم، ولا سيما أنه نزل بلسانهم وكانوا عرباً فصحاء يعرفون البلاغة بشتى دروبها ومعارفها.

إضافة إلى ذلك وجود الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين ظهرانيهم يعلمهم ويرشدهم ويستطيعون سؤاله عن كل شيءٍ يستعصي عليهم فهمه.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٩.

وعارض الكثير من العلماء هذا الرأي وذهبوا إلى ما يخالفه تماماً، قالوا أنّ الصحابة كانوا يفهمون القرآن فهماً إجمالياً دون التفصيل وممن أيد ذلك الذهبي حيث قال: "نعم لا أظن الحق مع ابن خلدون في ذلك لأن نزول القرآن بلغة العرب لا يقتضي أن العرب كلهم كانوا يفهمونه في مفرداته وتراكيبه".[١]

والذي نؤيده ونرجحه ما ذهب إليه الذهبي رحمه الله في هذه المسألة فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفهمون القرآن فهماً إجمالياً دون التفصيل، وكانوا على تفاوت في فهم القرآن لأن منهم من تعمق في الفهم ومنهم من فهمه فهماً عاماً وهذا التفاوت يرجع إلى كثرة حملهم لأدوات التفسير أو قلتها ونستطيع حصر هذا التفاوت في الأسباب التي سنذكرها:

ثانياً : أسباب تفاوت الصحابة في التفسير:

١ - كان التفاوت بين الصحابة في فهم القرآن لأنهم لم يكونوا على درجة واحدة في معرفة اللغة العربية من ناحية المفردات والمشتقات والتراكيب.

٢ - تفاوتهم في حضور مجالس العلم عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- فمنهم من كان متفرغاً لهذا الحضور ويداوم عليه ومنهم من شغلته التجارة والغزوات عن ذلك.

٣ - تفاوتهم في معرفة عادات وتقاليد العرب فإن معرفتها يُساعد على التفسير خاصة وأن القرآن الكريم نزل لإبطال العادات السيئة والتقاليد البالية كوأد البنات والطيرة والتشاؤم وغيرها.

٤ - تفاوتهم في معرفة أحداث الدعوة المعاصرة في وقتها مع المشركين في مكة أو المنافقين وأهل الكتاب في المدينة المنورة، فمن لا يعرف ذلك لا يستطيع تفسير الآيات التي تناولت تلك الأحداث.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ٣٣.

٥ - التفاوت في المنحة العقلية [1]: البعض من الصحابة كانوا على قدرة عظيمة في الحفظ والفهم والاستنباط كعلي بن أبي طالب وابن عباس وأُبي بن كعب وغيرهم ومنهم من كان دون ذلك فهي منحة ربانية، قال تعالى: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومَن يُؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكَّرُ إلاّ أولوا الألباب**﴾.[2]

ثالثاً : أدلة تفاوت الصحابة في فهمهم للقرآن:

لقد أوضحنا آنفاً أن الصحابة -رضي الله عنهم- على تفاوت في فهمهم لمعاني القرآن الكريم وهذا هو الراجح لأن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم ولا يدعي أحد أن جميع أفراد الأمة على درجة واحدة بمعرفة ألفاظ لغتهم، ويوجد الكثير من الأدلة التي تقطع بتفاوت الصحابة في فهمهم للقرآن الكريم نوجزها في الآتي:

١ - يروى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قرأ على المنبر: ﴿**وفاكهة وأباً**﴾.[3] فقال هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

٢ - ومنها ما أخرجه أبوعبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس الذي يلقب بترجمان القرآن قال: "كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعربيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها والآخر يقول: أنا ابتدأتها".[4]

٣ - جاء أن عمر بن الخطاب كان على المنبر فقرأ: ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾[5] ثم سأل عن معنى التخوف فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص.

---

(١) انظر: أصول التفسير ومناهجه، ص ٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) سورة عبس، الآية ٣١.

(٤) انظر: أصول التفسير ومناهجه، ص ٢٠.

(٥) سورة النحل، الآية ٤٧.

٤ - ماذا يقول ابن خلدون فيما رواه البخاري "أن عدي بن حاتم - رضي الله عنه- لم يفهم المراد بقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾(١) فكان يجعل عند رأسه عقالاً أبيض وعقالاً أسود حتى بيّن له الرسول -صلى الله عليه وسلم- المراد من الآية (٢)

٥ - ومما يؤكد تفاوت الصحابة في فهم القرآن قول مسروق رحمه الله تعالى حيث قال: "جالست أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فوجدتهم كالإخاذ - يعني الغدير- فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم".(٣)

٦ - قال ابن قتيبة وهو ممن تقدم على ابن خلدون، بقرون، إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل إن بعضهم يفضل على بعض في ذلك.(٤)

رابعاً : مميزات التفسير في عصر الصحابة:

لقد امتاز التفسير بمزايا وخصائص في عصر الصحابة رضوان الله عليهم تتمثل في الآتي:

١ - قلة الأخذ من الإسرائيليات وندرة تناولها في التفسير لحرصه -صلى الله عليه وسلم- على اقتصار المسلمين الاستسقاء من نبع الإسلام الصافي الذى، لم

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، جـ ٥، ص ١٥٦.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ٣٦.

(٤) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ٣٦.

تكدره الأهواء والخلافات، ويدل على هذا المقصد غضبُه -صلى الله عليه وسلم- عندما رأى في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة.

٢ - قلة الاختلاف بينهم في فهم معانيه لاشتراكهم في فهم كثير من دقائق اللغة ومعانيها ولقربهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واتحادهم في العقيدة.

٣ - لم يشمل التفسير في عصرهم القرآن كله وإنما كان تفسيرهم لما غمض فهمه وهذا الغموض كان يزداد كلما بعد الناس عن عصره -صلى الله عليه وسلم- وبالتالي كان التفسير يزداد إلى أن شمل القرآن كله في العصور اللاحقة.

٤ - كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي ولا يلزمون أنفسهم بالمعنى التفصيلي، فقد اكتفوا من قوله تعالى: ﴿**وفاكهة وأباً**﴾ أنها تعداد لنعم الله على عباده.(١)

٥ - كانوا يقتصرون في توضيح المعنى اللغوي على أقل الألفاظ مثل تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿**غير متجانف لإثم**﴾(٢) أي غير متعرض لمعصية وإن زادوا على ذلك فيكون من باب معرفتهم بأسباب النزول.

٦ - ندرةُ الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات وعدم وجود الإنتصار للمذاهب الدينية نظراً لإتحادهم في العقيدة ولأن الاختلاف المذهبي لم يكن موجوداً في عصرهم وإنما وجد فيما بعد.

٧ - لم يدون شيء من التفسير في بداية هذه المرحلة، لأنه لم تتوفر لديهم وسائل وأدوات الكتابة ولنهي الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يكتبوا شيئاً غير القرآن الكريم خشية أن يلتبس عليهم الحديث بالقرآن، وعندما أمن ذلك اللبس أذن لهم بالكتابة فوجدت بعض التفسيرات على مصاحفهم.

---

(١) انظر: التفسير النبوي، ص ٤٢ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣ .

٨ - اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث الشريف وكان جزءاً منه وفرعاً من فروعه، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً كما حدث له في العصور اللاحقة.(١)

المطلب الثاني

(مصادر التفسير في عصر الصحابة)

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم على أربعة مصادر وهي كالآتي:

١ - القرآن الكريم.

٢ - السنة النبوية المطهرة.

٣ - الإجتهاد وقوة الاستنباط.

٤ - أهل الكتاب.

أولاً : القرآن الكريم:

أ) القرآن الكريم المصدر الأول للتفسير:

يُعتبر القرآن الكريم من أهم مصادر التفسير على الإطلاق لأن الله أخبر بمراده وخير ما يُفسر القرآن بالقرآن، فإذا أردت أن توضح معنى آية فيها خفي عليك،

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ٩٧،٩٨ ، وانظر: التفسير النبوي للقرآن وموقف المفسرين منه، ص ٤١،٤٢.

أن تبحث عن معناها في القرآن نفسه فإذا وجدت لها تفسيراً فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره وذلك للمسلمات الآتية:

١ - القرآن الكريم كلام الله وهو أخبر بكلامه، لأنَّ خيرَ من يفسر القول قائله لأنه أخبر بمراده، وصاحب الكلام أدرى من غيره بالمعاني التي يقصدها ويذهب إليها من ألفاظه.

٢ - معلوم من الدين بالضرورة أن القرآن الكريم هو أصل التشريع الذي يقوم عليه الإسلام، ولا يمكن أن يتحقق الإيمان بدون الأخذ به لذا يجب الرجوع إليه أولاً باعتباره الأصل الأساسي الذي يقوم عليه بنيان هذا الدين.

٣ - يوجد العديد من الأوامر التي توجب طاعة الله تعالى ورد الأمر إليه في كل شأن من شئون الحياة[1]، قال تعالى: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**.[2]

والمتأمل في القرآن الكريم يستطيع أن يجد فيه ألواناً من تفسير الآيات بعضها لبعض، فقد نرى ما أوجز في مكان قد أُطنب الحديث عنه في مكان آخر، وما أُجمل في موضع قد يُبيّن في موضع أخر وما جاء مطلقاً قد يلحقه التقييد في مكان آخر، وما جاء عاماً في آية قد يلحقه التخصيص في آية أخرى.

لهذه الأمور مجتمعة وجب على من أراد تفسير بعض الآيات أن ينظر في القرآن نفسه ثم يجمع ما تكرر منه في موضوع واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) انظر: دراسات في مناهج المفسرين، جـ ١، ص ٥٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩ .

ب – أوجه تفسير القرآن بالقرآن:

يوجد عدة وجوه لتفسير القرآن بالقرآن، نجملها في الآتي:

١ – حمل الموجز على المسهب المطول:

هو أن يقوم المفسر بشرح ما جاء موجزاً في القرآن بما جاء مسهباً في موضع آخر مثل قصة آدم وغواية إبليس فهذه القصة جاءت موجزة في سورتي الكهف والإسراء ثم توسع الحديث عنها في سورة الحجر ثم جاءت مسهبة ومطولة في سورتي البقرة والأعراف فما جاء في سورتي البقرة والأعراف فسر ما جاء موجزاً عن هذه القصة في السور الأخرى التي ذُكرت فيها.

وكذلك قصص الأنبياء مع أقوامهم جاء موجزاً في بعض السور القرآنية ثم توسع الحديث عن هذا القصص في سور أخرى مثل قصة بني إسرائيل مع موسى – عليه السلام– وقصة هود مع قومه عاد وقصة صالح مع ثمود وشعيب مع أهل مدين.

٢ – حمل المجمل على المبين:

يوجد الكثير من الآيات التي تحدثت بصورة الإجمال، لكن هذا الإجمال تمَّ توضيحه وبيانه في سور أخرى وإليك الأمثلة التالية:

أ – قال تعالى: ﴿**فتلقى آدمُ من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾[1] فسر هذه الكلمات وبينها قوله تعالى: ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين**﴾.[2]

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٧ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

ب - قال تعالى: ﴿**أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ مـا يتلـى عليكـم**﴾[1] لم توضـح الآية ما اشـتمل عليـه الاسـتثناء مـن المحرمـات، فجـاءت آيـة أخـرى تفصّـل وتوضح ما اشتمل عليه الاستثناء مما حرم الله تعالى من الأنعـام، قـال تعـالى: ﴿**حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله بـه والمنخنقـةُ والموقوذةُ والمتردّيةُ والنطيحةُ وما أكل السبع**﴾.[2]

٣ - حمل المطلق على المقيد:

لقد جاء في كفارة الظهار واليمين إطـلاق الرقبـة المحـررة بـدون بيـان لهـذا المحرر هل هو مؤمن أم كافر، قال تعالى: ﴿**فتحريرُ رقبـةٍ مـن قبـلِ أن يتماسّـا**﴾[3] وهذا الإطلاق تمَّ تقييده في كفارة القتل الخطأ قال تعالى: ﴿**ومن قتـل مؤمنـاً خطـأً فتحرير رقبة مؤمنة**﴾.[4]

ذهب الإمام الشافعي رحمه الله في حمل المطلق على المقيد في الجميـع ومـن العلماء من خالف في ذلك و لم يحمله وأجاز إعتاق الرقبة الكافرة في كفـارة الظهـار واليمين.[5]

ومثاله أيضاً مجيء اليد مطلقة في التيمم، قال تعالى: ﴿**فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه**﴾ قيدها ما جاء في الآية نفسها عـن الوضـوء، قـال تعـالى: ﴿**يـا أيهـا الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**﴾.[6]

---

(١) سورة المائدة، الآية ١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣ .

(٣) سورة المجادلة، الآية ٣.

(٤) سورة النساء، الآية ٩٢.

(٥) انظر: دراسات في مناهج المفسرين، ص ٥٣.

(٦) سورة المائدة، الآية ٦ .

٤ – حمل العام على الخاص:

جاء الأمر بصورة عامة في الزواج من النساء، قال تعالى: ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾(١) ولكن هذا العموم خُصّص بقوله تعالى: ﴿**حُرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم...**﴾(٢) ومثاله نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون**﴾.(٣)

استثنى الله المتقين من نفي الخلة في قوله تعالى: ﴿**الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلاَّ المتقين**﴾.(٤)

واستثنى الله ما أذن فيه من الشفاعة، قال تعالى: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾.(٥)

٥ – الجمع بين ما يتوهم أنه متعارض:

ذكر القرآن الكريم خلق آدم من تراب في بعض الآيات وتارة أخرى من طين وأخرى من حمأ مسنون ومرة أخرى من صلصال كالفخار، فذِكْرُ ذلك لا يعني التعارض وإنما هي الأطوار والمراحل التي مرّ بها خلق آدم -عليه السلام- من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه، قال تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنون**﴾.(٦)

---

(١) سورة النساء، الآية ٣ .

(٢) سورة النساء، الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٤ .

(٤) سورة الزخرف الآية ٦٧ .

(٥) سورة النجم، الآية ٢٦.

(٦) سورة الحجر، الآية ٢٦.

٦ - حمل بعض القراءات على بعضها:

يوجد وجوه لحمل القراءات بعضها على بعض - نلخصها في الآتي:

(أولها) - اختلاف القراءات في اللفظ واتحادها في المعنى:

يوجد بعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعنى كقراءة ابن مسعود - -رضي الله عنه- - "أو يكون لك بيت من ذهب" فهي تفسير للفظ الزخرف في القراءة المشهورة ﴿**أو يكون لك بيت من زُخْرُفٍ**﴾ ".[(١)]

(ثانيها) - اختلاف في اللفظ والمعنى:

بعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ والمعنى فتكون القراءة الثانية موضحة للمراد من القراءة الأولى مثال قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله**﴾.[(٢)] فسرتها القراءة الأخرى ﴿**فامضوا إلى ذكر الله**﴾ أي مجرد الذهاب إلى الصلاة وليس المراد المشي السريع الذي يعنيه السعي.

ومثاله ﴿**السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾[(٣)] فسرتها قراءة ابن مسعود ﴿**فاقطعوا أيمانهما**﴾ أي أن اليد اليمنى هي التي تقطع في حد السرقة.

ومثاله ما جاء في قراءة عائشة وحفصة ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا**﴾ وقراءة الجمهور ﴿**فتبينوا**﴾ وذلك أن التثبت هو التوقف وطلب الثبات والتأني إلى أن يتضح الحال، بينما ﴿**فتبينوا**﴾ فتعني التحري والبحث من صحة النبأ قبل نشره وإذاعته في المجتمع.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٩٣ .

(٢) سورة الجمعة، الآية ٩ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٨ .

(ثالثها) – اختلاف القراءات في الزيادة والنقصان:

تختلف بعض القراءات عن الأخرى بالزيادة أو النقصان فتكون الزيادة في إحدى القراءتين مُفسره للمجمل في القراءة التي لا زيادة فيها.

كقراءة سعد بن أبي وقاص، ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة أو مرأة وله أخ أو أخت "من أم" فلكل واحد منهما السدس**﴾ فسرت قراءة الجمهور التي لم تتعرض لبيان نوع الأخوة حيث لم يذكر فيها "من أم".

ومثاله القراءة المنسوبة لابن عباس ﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج**﴾ فهذه القراءة فسرت القراءة التي لا زيادة فيها وأزالت الشك من قلوب بعض الناس الذين كانوا يتحرجون من البيع والشراء في مواسم الحج.

ومثاله أيضاً قراءة عائشة وحفصة -رضي الله عنهم- ﴿**والصلاة الوسطى صلاة العصر**﴾ فهذه القراءة أوضحت بأن الصلاة الوسطى هي "صلاة العصر".

وذكر بعض العلماء أن هذه الزيادة في القراءات هي عبارة عن بعض التفسيرات التي كان الصحابة يثبتوها على مصاحفهم فظن البعض أنها أوجه من وجوه القراءات القرآنية.(١)

ثانياً : السنة النبوية :

أ) السنة المصدر الثاني للتفسير :

تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني للتفسير بعد القرآن الكريم ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو المبلغ الأول عن ربه الذي أنزل عليه الكتاب هدى وبشرى للمؤمنين، وأمره بتبليغه وبيانه للناس عامة، قال تعالى: ﴿**يا أيها الرسول**

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٤٠ .

بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وا لله يعصمك من الناس﴾.(1)

وأمر المؤمنين بطاعة رسوله والالتزام بدعوته، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** (2) ثم أقسم الحق تبارك وتعالى أنه لن يتم الإيمان في النفس إلاّ بتحكيم النبي -صلى ا لله عليه وسلم- في جميع أمور الحياة والرضى بما يقول، قال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**.(3)

وأمر بالالتزام بأمر النبي -صلى ا لله عليه وسلم- والإنتهاء عما نهى عنه، قال تعالى: **﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.(4)

والنبي -صلى ا لله عليه وسلم- لم يبلغ شيئاً من عند نفسه أو برأيه وهواه وإنما بعلم من ا لله سبحانه مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى﴾**.(5)

لكل ذلك أصبح معلوماً من الدين بالضرورة أن السنة النبوية هي الأصل الثاني لهذا الدين بعد القرآن الكريم، ويؤيد ذلك ما جاء عن رسول ا لله -صلى ا لله عليه وسلم- عندما قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن، بمَ تحكم؟ قال: بكتاب ا لله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول ا لله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي،

---

(1) سورة المائدة، الآية ٦٧ .

(2) سورة النساء، الآية ٥٩ .

(3) سورة النساء، الآية ٦٥.

(4) سورة الحشر، الآية ٧ .

(5) سور ة النجم، الآيات ٣،٤ .

فضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على صدره وقال: "**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله**".[1]

وقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**"[2] بمعنى أوحي إليَّ هذا القرآن ومثله معه أي السنة النبوية المطهرة ، هي تأتي في الدور الثاني بعد كتاب الله تبارك وتعالى.

والذي يرجع إلى كتب السنة يجد أن المحدّثين أفردوا باباً للتفسير في كتبهم وأوضحوا من التفسير المأثور عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الآتي:

- تفسيره للمغضوب عليهم والضالين:

فقد أخرج الإمام أحمد في المسند والترمذي في سننه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**إن المغضوب عليهم هم اليهود وإنّ الضالين هم النصارى**".

- تفسيره للصلاة الوسطى بصلاة العصر:

ما رواه الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**الصلاة الوسطى صلاة العصر**".

- تفسيره للقوة بالرمي:

جاء عن عقبة بن عامر أنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول وهو على المنبر: "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**" ألا وإنّ القوة الرمي.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد وكتاب المغازي في باب بعث أبي موسى و معاذ إلى اليمن وفي كتاب الأدب باب قول النبي يسروا ولا تعسروا.

(٢) أخرجه أبوداود والترمذي، حديث رقم ٤٤٣٦، ومسند أحمد جـ ٤، ص ١٣١ .

وتفسيره لكلمة التقوى:

عن أُبي بن كعب قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **"وألزمهم كلمة التقوى، قال لا إله إلاّ الله"** وهناك العديد من الأمثلة التي تحتاج إلى مُؤلّف خاص بها عند استخراجها من كتب التفسير.

وجاءت السنة النبوية بوصفها المصدر الثاني لتفسير القرآن مؤكدةً لما ورد في القرآن من أحكام ومفصلة لما جاء مجملاً وموضحة للمشكل ومُخصصة لما يحمل طابع العموم، بل أنها قد تضيف أحكاماً جديدة وزائدة على ما ورد في الكتاب.

ب) أوجه بيان السنة للقرآن الكريم :

إن بيان السنة للقرآن جاء على وجوه متعددة نجملها في الآتي:

الوجه الأول : يتمثل في الآتي:

١ - **تفصيل المجمل:** لقد جاء في القرآن الكريم فرض الصلاة والزكاة والحج والصيام بصورة مجملة، ولكن هذا الإجمال بينه -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله أو بكليهما تفصيلاً كاملاً، فبالنسبة إلى مناسك الحج قال -صلى الله عليه وسلم-: **"خذوا عني مناسككم"**(١)، وبالنسبة لبيانه لمواقيت الصلاة الخمس وعدد ركعاتها وكيفية أدائها قال -صلى الله عليه وسلم-: **"صلوا كما رأيتموني أصلي"**.(٢)

٢ - **تخصيص العام:** خصص النبي -صلى الله عليه وسلم- ما جاء عاماً في القرآن كتخصيصه "للظلم" "بالشرك"، حيث ورد عن ابن مسعود -رضي الله عنه-

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه جـ: ٢/ص : ٩٠٥

قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن**﴾[1] شق ذلك على الصحابة وقال البعض منهم أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: "**إنه ليس الذي تعنون ألا تسمعوا قول لقمان لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**".[2]

ومثله قوله تعالى: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾.[3]

وردت هذه الآية عامة في الأولاد والسنة خصصت ذلك بغير الكافر فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**لا يرث المسلمُ الكافر ولا الكافر المسلم**".[4]

٣ - **تقييد المطلق:** لقد قيدت السنة النبوية المطهرة بعض مطلقات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾.[5]

لم تحدد الآية اليد التي تقطع ولا مقدار حد القطع في السرقة فَذُكرت على إطلاقها وجاءت السنة مقيدة لهذا الإطلاق فحددت اليد اليمنى كما ذكرنا آنفاً وبالنسبة لحد السرقة ربع دينار فما فوق عملاً بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**تُقطعُ اليدُ في ربع دينار فصاعداً**".[6]

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٣) سورة النساء، الآية ١١ .

(٤) أخرجه أبوداود، جـ ٢، باب هل يرث المسلم الكافر، ص ١١٣.

(٥) سورة المائدة، الآية ٣٨.

(٦) أخرجه البخاري، جـ ٨، ك "الحدود" باب "السارق والسارقة"، ص ١٩٩

٤ – **توضيح المشكل** : لقد أشكل على بعض الصحابة معنى الخيط الأبيض من الخيط الأسود فأوضحت السنة ذلك حيث جاء من عدي بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ عمدتُ إلى عقال أسود وإلى عقالٍ أبيضٍ فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فذكرت له ذلك، فقال: "**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**".[1]

الوجه الثاني: "بيان السنة لمعنى مفردات القرآن الكريم أو تراكيبه":

فقد بيّن –صلى الله عليه وسلم– أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى.

وكبيانه لقوله تعالى: ﴿**لهم فيها أزواج مطهرة**﴾[2] بأنها مطهرة من الحيض والبساق والنخامة، وكبيانه لمعنى "الويل" بأنه واد في قعر جهنم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال –صلى الله عليه وسلم–: "**ويلٌ وادٌ في جهنم يهوي به الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**".[3]

الوجه الثالث: "بيان أحكام زائدة عن القرآن"

كبيانه –صلى الله عليه وسلم– لميراث الجدة وتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وكتحريم الذهب والحرير على الرجال دون النساء ، وكبيان لصدقة الفطر ورجم الزاني المحصن .

---

(١) أخرجه البخاري، جـ ٣، ك "الصوم" باب "وكلوا واشربوا"، ص ٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير، مجلد ٤، ص ٥٩٠ .

الوجه الرابع: بيـــان النســـخ :

السنة نسخت أحكاماً في القرآن، قال تعالى: ﴿**الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين**﴾[1] ولكن هذا الحكم للوصية نُسخ بحديث عمرو ابن خارجة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: "**إن الله قد أعطى كلَّ ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**".[2] فالآية منسوخ حكمها وإن بقيت تلاوتها في المصحف.

ومثاله قوله تعالى: ﴿**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنَّ أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهُنَّ في البيوت حتى يتوفاهُن الموتُ أو يجعل الله لهن سبيلاً**﴾[3] كان هذا الحكم معمولاً به حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد أو الرجم، ما جاء عن عبادة بن الصامت قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: "**خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**".[4]

الوجه الخامس: بيان التأكيد :

لقد أكدت السنة أحكاماً موجودة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾[5] أكدها الحديث الشريف: "**لا يحل مالُ امرىء مسلم إلاّ بطيب في نفسه**"[6]، وقوله عليه الصلاة والسلام وهو يعوف حول

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٠ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، جـ ١، ص ٢٢٦.

(٣) سورة النساء، الآية ١٥ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، جـ ١، ص ٥٠٢، ٥٠٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٨.

(٦) رواه الدارقطني في سننه، جـ ٣، ص ٢٦.

الكعبة: **"والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم عند ا لله حرمة منــك مالـه ودمـه وعرضه وأن يظن به خيراً"**.[1]

ومثاله قولـه تعـالى: **﴿وعاشـروهن بـالمعروف﴾**[2] أكـد ذلـك قولـه عليـه الصلاة والسلام: **"اتقوا ا لله في النساء فإنهن عـوان في أيديكـم أخذتموهـن بأمانـة ا لله واستحللتم فروجهن بكلمة ا لله"**.[3]

ومثاله قوله تعالى: **﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾**.[4] وجاءت السنة مؤكدة على الاستقامة الواردة في الآية عن أبـي عمرة –رضي ا لله عنه– قال: قلت يا رسول ا لله قل لي في الإســلام قـولاً لا أسـأل عنه أحداً غيرك فقال له: **"قل آمنت با لله ثم استقم"**.[5]

ثالثاً : الاجتهاد وقوة الاستنباط :

أ) الاجتهاد وقوة الاستنباط – المصدر الثالث للتفسير:

إن تَعَذر التفسير على الصحابة في القرآن الكريم و لم يتمكنوا من أخذه عن النبي –صلى ا لله عليه وسلم– رجعوا إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم حول الأمور التي تحتاج إلى نظر واجتهاد.

---

(١) أخرجه الدارمي، ك "المناسك" رقم ٧٦، وأخرجه ابن ماجة رقم ٢٩٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٩ .

(٣) أخرجه مسلم مجلـد ٢ ك المناسـك، بـاب ٨٤ ص ١٠٢٣ رقـم ٣٠٧٤، وهـو جـزء مـن حديث طويل.

(٤) سورة هود، الآية ١١٢ .

(٥) متفق عليه.

أما الآيات التي يمكن فهمها عن طريق اللغة فكانوا لا يحتاجو ، في فهمها إلى إعمال العقل حولها لأنهم أهل اللغة والفصاحة والبيان ويعرفو ن الألفاظ ومعانيها عن طريق الشعر الذي هو ديوان العرب.

وأما الآيات التي فهموها عن طريق المعرفة بأسباب النزول أيضاً هي الأخرى لم يُعملوا العقل و لم يجتهدوا حولها وذلك لمصاحبتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعاصرتهم لأسباب نزول القرآن وإلى جانب ذلك ، إمتازوا به من الورع والتقوى.

واعتبر الإمام ابن تيمية تفسير الصحابة المصدر الثالث بعد الكتاب والسنة المطهرة، فقال: "وحينئذٍ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم".(١)

فسّر العديد من الصحابة بعض آيات القرآن الكريم عن طريق الرأي والاجتهاد واستعانوا في تفسيرهم هذا بأدوات الإجتهاد التي نوضحها ونلخصها كما يلي:

ب) أدوات الاجتهاد :

١ - معرفة أوضاع اللغة العربية.

٢ - معرفة عادات العرب وتقاليدهم.

٣ - معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن فقد نزل الكثير من الآيات لمعالجة تلك الأحوال.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص ٩٦ .

٤ - قوة الفهم وسعة الإدراك، فلم يكن الصحابة على درجة واحدة في المنحة العقلية بل أنهم كانوا على تفاوت في ذلك مما أدى إلى نبوغ البعض في التفسير أكثر من الآخرين.

٥ - معرفة أسباب النزول: إن معرفة أسباب النزول تُعين على فهم المراد من النص، وجاء بشأن ذلك قول ابن دقيق العيد: "إن بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن" وأيضاً قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها".[١]

جـ) أدلة تفاوت الصحابة في الإجتهاد :

إنّ الصحابة رضوان الله عليهم تفاوتوا في إجتهادهم حول النصوص بحسب حملهم لأدوات الإجتهاد فلم يكونوا على درجة واحدة من الإجتهاد، ومما يدلل على هذا التفاوت الآتي:

١ - روي أن بعض الصحابة فرحوا حينما نزل قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[٢] لأنهم ظنوا أنها مجرد إخبار وبشرى بكمال الدين ففرحوا، أمّا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- عندما سمع الآية أخذ يبكي وقال: "ما بعد الكمال إلاّ النقص، مستشعراً نعي النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقد كان - رضي الله عنه- مُصيباً في ذلك حيث أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يعش بعدها إلاّ أياماً قليلة

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٥٩،٥٨ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣ .

٢ - قال عمر -رضي الله عنه- في جمع من الصحابة ما تقولون في قوله تعالى: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾[1] فقال بعضهم أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً لأنه لم يكن لديه علماً حول ذلك، وقال عمر: أكذلك يا ابن عباس؟ فقلت لا، فقال: ما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله فذلك علامة أجلك ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**ً﴾ فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول.

٣ - ومثاله ما جاء عن عمر -رضي الله عنه- أنه استعمل قدامة بن مظعون والياً على البحرين، فجاء الجارود إلى عمر فقال: إن قدامة شرب فسكر فقال عمر: ومن يشهد على ما تقول؟ قال الجارود: أبوهريرة يشهد على ذلك، فقال عمر: يا قدامة إني جالدك.

فقال قدامة: والله لو شربت كما يقول ما كان لك أن تجلدني قال عمر: ولِمَ؟ قال: لأن الله يقول: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا**﴾[2] فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا شهدت بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد، فقال عمر: ألا تردُّون عليه قوله؟ قال ابن عباس: "إن هذه الآيات نزلت عُذراً للماضين وحجة على الباقين لأن الله يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان**﴾،[3] فقال عمر: صدقت.

(١) سورة النصر، الآية ١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٣ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٠ .

رابعاً : أهــل الكتــاب :

إنّ القرآن الكريم يتفق مع التوراة في بعض المسائل وخصوصـاً فيمـا يتعلـق بقصص الأنبياء وما يتعلق بالأمم الغابرة وكذلك يشتمل القرآن على مواضع وردت في التوراة كقصة يوسف -عليه السلام- وغيرها أو وردت في الإنجيل كقصة مريـم وميلادها بعيسى -عليه السلام- ومعجزاته التي أيـده الله بهـا وغـيره مـن القَصـص القرآني.

ولقد اتخذ القرآن الكريم في عرضه لهذا القصص منهجـاً خاصـاً بـه يخـالف التوراة والإنجيل فلم يتعـرض لتفـاصيل ودقـائق القصـص أو جزئياتـه، ولم يستـوفِ القصة من جميع جوانبها بل اقتصر منها على مواضع العبرة فقط، لأنه لا ينفع العلـم بتلك الجزئيات ولا يضر الجهل بها.

أ) أهميـة هذا المصدر :

أهميته محدودة وقليلة بالنسبة لما سبقه من المصادر لأنه يُعتبر ضيق ومحـدود، لما وقع في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل والتغيير، قال تعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليـلاً فويـلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾**.[١]

ولوجـود الشبهات حـول صـدق وصحـة هـذا المصـدر نجد أنّ الصحابـة لا يأخذون منه إلاّ ما اتفق مع عقيدتهم ولم يتعارض مع حقائق القـرآن الكريـم، وإذا أخذوا شـيئاً يأخذونـه علـى سبيل الاستئناس لا الاستدلال وذلـك لأن غالب ماجاءنا من أهل الكتاب، كذكر أسماء أصحاب الكهـف ولـون كلبهـم وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياهـا الله

---

(١) سورة البقرة، الآية ٧٩ .

لإبراهيم -عليه السلام-، وتعيين البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، ونوع الدراهم التي اشترى بها عزيز مصر يوسف -عليه السلام-، إلى غير ذلك مما أبهمه القرآن لأنه لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ودنياهم والجهل به لا يضرهم.[1]

ب) حكم ما ورد عن أهل الكتاب :

يأخذ ما ورد عن أهل الكتاب حكماً من ثلاثة أحكام:

١ - أن يُصدّق ما عندنا فنصدقه.

٢ - أن يكذب ما عندنا فنكذبه.

٣ - ألاّ يوافق ولا يعارض ما عندنا فنتوقف عنده فلا نصدقه خوفاً من أن نصدق بكذب وباطل ولا نكذبه خوفاً من أن نكذب بصدق وحق امتثالاً لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"**.[2]

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ٢٨٦ .

(٢) فتح الباري، جـ ٨ ، ص ١٢٠ .

المطلب الثالث

(أشهر المفسرين من الصحابة)

* عبدا لله بن عباس *

أولاً – نسبه ومولده:

هو عبدا لله بن عباس بن عبدالمطلب، ابن عم رسول ا لله -صلى ا لله عليه وسلم- يلتقي نسبه بالنسب الطاهر الشريف في جده عبدالمطلب وينتهي في النسب إلى قريش فهو عربي النسب، عربي اللغة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ولازم النبي -صلى ا لله عليه وسلم- في فترة صباه وذلك لقرابته من رسول ا لله -صلى ا لله عليه وسلم- ولأنه ابن أخت ميمونة زوجة النبي -صلى ا لله عليه وسلم-.

وكان لنشأته في كنف النبوة الأثر البالغ في تكوين شخصيته العلمية ذات التربية الخلقية الرفيعة، وبعد أن نما وترعرع وأصبح شاباً شارك في فتح بعض البلدان الإسلامية وخاصة في أفريقية، وبعد وفاة الرسول -صلى ا لله عليه وسلم- لازم ابن عباس كبار الصحابة فحفظ عنهم ما تعلموه من رسول ا لله -صلى ا لله عليه وسلم- حتى أصبح من المكثرين في رواية الحديث، فقد بلغت رواياته ١٦٦٠ حديثاً.

توفى -رضي ا لله عنه- بالطائف في العام الثامن والستين للهجرة وكان عمره يناهز السبعين عاماً، قال عنه محمد بن الحنفية يوم وفاته: "مات وا لله اليوم حَبْر هذه الأمة".

ثانياً – مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

كان ابن عباس يتمتع بمكانة عالية من النبوغ العلمي بين صحابة -رضوان الله عليهم- فقد برع في فنون متعددة من المعرفة المتعلقة بكتاب الله، وكان -رضي الله عنه- يُلقب بحبر الأمة وبحرها وربانيها وترجمان القرآن وأبي التفسير.[1]

وكان -رضي الله عنه- على درجة عظيمة في الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله ولهذا أصبح رئيساً لمدرسة التفسير في مكة ولنبوغه وتفوقه العلمي كان عمر -رضي الله عنه- يُجلسه مع كبار الصحابة ويقربه منه ويقول له: "إنك لأصبح فتياننا وجهاً وأحسنهم خلقاً وأفقههم في كتاب الله".

وقال عنه عطاء بن أبي رباح: "ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً وأعظم خشية، إنَّ أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع".

وروى الأعمش عن أبي وائل قال: "استخلف علي بن أبي طالب عبدالله ابن عباس على الموسم، فقرأ في خطبته سورة النور ففسرها تفسيراً لو سمعته فارس والروم والترك لأسلموا".[2]

وكان علي بن أبي طالب يقول عنه: إذا فسّر الآيات القرآنية "كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق".

وقال عنه ابن مسعود: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس".

وسأل رجل عبدالله بن عمر عن تفسير آية فقال: سل ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد -صلى الله عليه وسلم-.[3]

---

(١) مناهج المفسرين، القسم الأول، ص ٦٤ .
(٢) علوم التفسير، ص ١٤٩ .
(٣) التفسير ومناهج المفسرين، جـ ١ ، ص ٦٦ .

ثالثاً – أسباب نبوغه :

لقد برزت عدة أسباب منها الظاهرة والخفية في بناء وصقل شخصية عبدا لله بن عباس العلمية، فقد نشأ في بيئة نظيفة رفيعة المستوى في جميع مجالات الحياة مما أكسبه الفطرة السليمة المستقيمة ذات القدرة على التفكير والتحليل والحفظ لكتاب ا لله، وكان ذلك استجابة لدعوة النبي –صلى ا لله عليه وسلم– لهذا الرجل منذ صغره.

ونستطيع أن نحصر الأسباب التي أدت إلى نبوغه في الآتي:

أ) **نشأته في بيت النبوة**، وملازمة ابن عباس لرسول ا لله –صلى ا لله عليه وسلم– في مرحلة التمييز من حياته وساعد في ذلك خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية فقد كان يبيت عندها كثيراً فيتعلم من رسول ا لله –صلى ا لله عليه وسلم– ما لا يستطيع أحد أن يتعلمه فتعلم الكثير من الآداب والخصال المتعلقة بالرسول –صلى ا لله عليه وسلم– والأحكام المتعلقة بكتاب ا لله والسنة النبوية المطهرة.

ب) **دعاء الرسول –صلى ا لله عليه وسلم– :**

كان ابن عباس محبباً لرسول ا لله –صلى ا لله عيه وسلم– فقد جاء في الحديث الشريف أن ابن عباس وضع لرسول ا لله –صلى ا لله عليه وسلم– وضوءه بدون أن يطلق منه، فقال رسول ا لله –صلى ا لله عليه وسلم–: "**من وضع هذا؟**" فقالت ميمونة: عبدا لله، فقال –صلى ا لله عليه وسلم–: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**"،[1] وقيل في رواية أخرى: "**اللهم علمه الكتاب**

(١) الحديث متفق عليه.

والحكمة". ولا غرابة أن يصبح ابن عباس عالماً في التفسير وبحراً في العلم وحبراً للأمة؛ بعد هذا الدعاء المبارك المستجاب.

جـ) ملازمته لكبار الصحابة:

لازم عبدالله بن عباس بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كبار الصحابة وأخذ يتلقى العلم عنهم ويروي لهم ويتعرف على تاريخ التشريع وأسباب النزول لآيات القرآن، وساعد على نبوغه أيضاً حرصه الشديد في طلب العلم فيقول عن نفسه: "عندما يبلغني الحديث عن رجل، كنت آتي إلى بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح عليّ من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عمّ رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليّ فآتيك، فأقول: لا أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث".(١)

د) حفظه للغة العربية وتمكنه منها:

كان رضي الله عنه عالماً بغريب اللغة وبآدابها وخصائصها وكان يستشهد بأبيات من الشعر العربي في الدلالة على الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم.

هـ) بلوغه مرتبة الاجتهاد :

لقد بلغ ابن عباس درجة عظيمة في الاجتهاد حول معرفة المعاني المتعلقة بالمفردات والأحكام المستنبطة منها، وكان شجاعاً في بيان ما يعتقد أنه الصواب، لهذه العوامل مجتمعة انتهت إليه الرئاسة في التفسير والفتوى، ومن إجتهاداته الآتي:

---

(١) انظر: مناهج المفسرين، الجزء الأول، ص ٥٧ .

١ - جاء عن سعيد بن جبير قال: قال لي يهودي وأنا أتجهز للحج، إني أراك رجلاً تتبع العلم فأخبرني أي الأجلين قضى موسى؟

قلت: لا أعلم، وأنا قادم على حبر الأمة يعني ابن عباس فسأله عن ذلك فقال ابن عباس: "قضى أكثرها وأطيبها" عشر سنين، لأن النبي إذا وعد لم يخلف، قال: ولمّا رجعت إلى العراق أعلمت اليهودي بقول ابن عباس، فقال: صدق هو الذي أنزل على موسى والله أعلم.

٢ - ويشهد له ابن عمر بأنه أوتي علماً، فقد جاء رجلٌ إلى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى: ﴿**أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما**﴾[١] فقال ابن عمر للسائل: اذهب إلى ابن عباس فذهب إليه فسأله، فقال: كانت السموات رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تُنبت، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات.

فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: قد كنتُ أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على التفسير فالآن قد علمت أنه أوتي علماً.[٢]

٣ - قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "فيمن ترون هذه الآيات نزلت: ﴿**أَيَوَدُّ أحدُكُمْ أنْ تكونَ لَهُ جنّةٌ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهارُ له فيها من كل الثمراتِ وأصابَهُ الكبرُ ولَهُ ذريةٌ ضعفاءُ فأصابَها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت**﴾.[٣] قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٠ .

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٦ .

نفسي منها شيء، فقال عمر: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك، قال: ضُربت مثلاً لعمل. فقال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: رجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بُعث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله".(١)

رابعاً – الوضع على ابن عباس في التفسير :

أ) سبب الوضع على ابن عباس:

قال الإمام الشافعي: "إن الثابت عن ابن عباس في التفسير يقدر بمائة حديث"(٢) وباقي ما جاء عنه في هذا المجال يكون في حكم الموضوع أو المنتحل عليه انتحالاً، فلماذا كثُرَ الوضع عليه بدون غيره من الصحابة؟ أجاب بعض العلماء للأسباب الآتية:

١ – لأنه من أهل بيت النبوة، فهو ابن عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وخالته ميمونة زوجة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لهذا فالوضع عليه يكسب الموضوع قيمة عاطفية، وميلاً في الأنفس لما جاء منسوباً إليه.

٢ – بلوغ ابن عباس الشهرة العظيمة في التفسير والحظ الوافر من العلم بكتاب الله مما شجّع العديد من الوضاعين أن يضعوا عليه، لأن ما وضعوه عليه ينسب إلى ترجمان القرآن وإلى الذي انتهت إليه الرئاسة في التفسير.

٣ – دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– له: **"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"** أكسب الموضوع عليه شهرة علمية ودينية.

---

(١) انظر: عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير، ص ٢٠ .

(٢) علوم التفسير، ص ١٥٣ .

٤ – آلت الخلافة والدولة في يد العباسيين فترة زمنية طويلة وهم أحفاد ابن عباس فكثر الوضع عليه –في تلك الفترة– تزلفاً للأمراء العباسيين وتقرباً إليهم أو من أجل أن يكسبوا بعض الأموال.

ب) إتهام جولد تسيهر لابن عباس:

لقد ذكر جولد تسيهر في كتابه: "مذاهب التفسير الإسلامي" أن ابن عباس كان يرجع في تفسير الآيات القرآنية إلى من يُسمى بأبي الجلد، غيلان بن فروة الأزدي وإلى كعب الأحبار وإلى عبدا لله بن سلام وإلى وهب بن منبه وهم من كبار اليهود الذين أسلموا وأيد ذلك الإتهام الباطل أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام فقال: "وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام، فتسرب منهم إلى المسلمين كثيرٌ من هذه الأخبار ودخلت في تفسير القرآن، يستكملون بها الشرح ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم، ورُوي أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تُصدقوهم ولا تكذبوهم**" ولكن العمل كان على غير ذلك، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم" أ.هـ.(١)

جـ) الرد على هذا الإتهام :

نستطيع أن نرد على هذا الإتهام الباطل من الجوانب الآتية:

١ – إذا صح هذا القول عن ابن عباس أنه كان يأخذ من أهل الكتاب في التفسير، فإنه كان يأخذ ضمن الشروط التي يجوز الأخذ فيها عن أهل الكتاب ويتمثل فيما جاءنا من أهل الكتاب موافقاً للكتاب والسنة.

---

(١) انظر: فجر الإسلام، ص ٢٤٨ .

٢ - الوارد عن ابن عباس أنه كان ينهى التابعين عن الأخذ من أهل الكتاب، ويقول: لا تسألوا أهل الكتاب فلن يهدوكم وقد ضلوا، ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن جابر بن عبدا لله أن عمر بن الخطاب أتى النبي - صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: فغضب، وقال: "**أمتهوكون[1] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبون أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**".[2]

د) التفسير المنسوب إلى ابن عباس:

من أشهر الكتب التي نسبت إلى ابن عباس -رضي الله عنه- في التفسير كتاب "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" جمعه أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي -صاحب القاموس المحيط- وعند التحقيق من صحة ما جاء في هذا الكتاب منسوباً لابن عباس نجده موضوعاً على ابن عباس لأن جميع ما روي عن ابن عباس في ذلك الكتاب جاء من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد ابن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والسدي الصغير متهم بالكذب وكذلك الكلبي وقال صاحب الإتقان أن هذا السند يُسمى بسلسلة الكذب.[3]

وكذلك نسب إلى ابن عباس كتاب "الإسراء والمعراج" وأغلب ما جاء فيه من روايات موضوعة على ابن عباس -رضي الله عنه- .

---

(١) التهوك: بمعنى التحير.

(٢) انظر: دراسات في مناهج المفسرين، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٣) علوم التفسير، ص ١٥٤ .

خامساً – الرواية عن ابن عباس :

لقد كثرت الرواية عن ابن عباس في التفسير واختلفت طرقها مما جعل نقاد الحديث رواته يقفون إزاء هذه المرويات موقف المرتاب فتتبعوها بالجرح والتعديل حتى أوضحوا للناس الصحيح القوي من الموضوع الضعيف. نختار من هذه الطرق الآتي:

أ – أجود الطرق وأصحها: ما جاء عن طريق معاوية بن صالح عن أبي طلحة عن ابن عباس وأخرج من هذه الطريق البخاري ومسلم وأصحاب السنن وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم.

ب – يوجد طريق صحيحة أخرى وهي ما جاء عن قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين.(1)

جـ – الطريق الواهية الضعيفة: هي ما جاء سندها عن محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والسدي الصغير متهم بالكذب وكذلك الكلبي وتسمى بسلسلة الكذب كما ذكرنا قبل قليل.

سادساً – منهج ابن عباس في التفسير:

إن المنهج المتبع في عهد الصحابة وتناقلته الاجيال والتزمت به هو تفسير القرآن بالقرآن، وإن لم يجد المفسر بُغيته حول النص في تفسير القرآن بالقرآن انتقل

(1) التفسير والمفسرون، جـ 1 ، ص 77 .

إلى تفسيره بالسنة لأن مهمة النبي -صلى الله عليه وسلم- التبليغ و بيان، قال تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾[1] وإن لم يتوفر في السنة رجعوا إلى أقوال كبار الصحابة مثل الخلفاء الأربعة وابن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم، وأحياناً كانوا يلجأون إلى أسباب النزول وتواريخ الأحداث وإلى لغة العرب ولهجاتهم وعاداتهم فكل ذلك كان يساعدهم في فهم المراد من النص.

وهذا المنهج هو نفسه الذي اتبعه ابن عباس عندما كان يفسر الآيات القرآنية ووجدنا ذلك ولمسناه من خلال كتب التفسير المتعددة التي ذكرت مرويات ابن عباس في التفسير، نلخص منهجه في الآتي:

أ) تفسير القرآن بالقرآن :

جاءت بعض المرويات عن ابن عباس توضح ذلك المنهج، نذكر منها الأمثلة الآتية:

١ - قال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[2]، قال ابن عباس: هم المؤمنون وسّع الله عليهم أمر دينهم فقال تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾.[4]

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنَّ الموتُ أو يجعلَ**

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨ .

(٤) سورة التغابن، الآية ١٦ .

ا لله لَهُنَّ سبيلاً﴾[1]، قال ابن عباس: كانت المرأة إذا فجرت حُبست في البيوت حتى نزلت سورة النور، قال تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾،[2] فجعل ا لله لهن سبيلاً فمن عمل شيئاً جلد وأُرسل.[3]

ب) تفسير ابن عباس القرآن بالسنة :

١ - لقد فسر ابن عباس قوله تعالى: ﴿**واتقوا ا لله الذي تساءلون به والأرحام**﴾[4]، فأورد قول رسول ا لله -صلى ا لله عليه وسلم-: "**صِلُوا أرحامكم فإنه أبقى لكم في الحياة الدنيا وخيرٌ لكم في آخرتكم**".[5]

٢ - وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿**من بعد وصية يُوصَى بها أو دينٍ غَيْرَ مُضارٌ وصيّةً من ا للهِ وا لله عليمٌ حليم**﴾[6]، قال ابن عباس، قال رسول ا لله -صلى ا لله عليه وسلم-: "**الضرار في الوصية من الكبائر**".[7]

جـ) تفسير ابن عباس برأيه واجتهاده :

١ - فقد روي عن ابن عباس أنه فسّر "الصراط المستقيم" بدين الإسلام وهو قول ابن مسعود وجابر بن عبدا لله.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥ .
(٢) سورة النور، الآية ٢ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبري، مجلد ٣، ص ٦٣٤ .
(٤) سورة النساء، الآية ١ .
(٥) تفسير الطبري،مجلد ٣ ، ص ٥٦٩ .
(٦) سورة النساء، الآية ١٢ .
(٧) تفسير الطبري، مجلد ٣ ، ص ٦٣٠ .

٢ - وفسّر قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [١]، وقال: الرفث هو الجماع ولكن الله كريم يكني بألفاظ تدل على المعنى.

٣ - روى الطبري عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾، [٢] قال: كل شيءٍ في كتاب الله من الرجز يعني العذاب. [٣]

٤ - وفسر ابن عباس قوله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً﴾، [٤] فقال: اثنتان من الله وهما المغفرة والفضل في الرزق، واثنتان من الشيطان وهما الفقر والأمر بالفحشاء.

د) رجوع ابن عباس إلى الشعر في التفسير:

كان ابن عباس مُلمّاً بلسان العرب من ناحية النظم والنثر والشعر وكان يستدل في تفسيره للقرآن بأشعار العرب حيث قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب". [٥]

وجاء من طريق حُميد الأعرج وعبدالله بن أبي بكر عن أبيه قال: بينما عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة وقد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٥٩ .

(٣) تفسير الطبري، مجلد ١ ، ص ٣٤٦ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٨ .

(٥) دراسات في مناهج المفسرين، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا له: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

فقال ابن عباس: سلاني عمّا بدا لكما، وكان ابن عباس يجاوب عن كل مسألة ويأتي بشاهد من الشعر حتى أصبح مقدارها مائة وثمانين مسألة، اخترنا منها الآتي:

١ - قال نافع بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قوله تعالى: **﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾**[١]، فقال ابن عباس: العزون تعني حِلَق الرفاق، فسأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ فقال: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزيناً

٢ - وسأل ابن الأزرق عن قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾**[٢]، قال ابن عباس: الوسيلة هي الحاجة، قال نافع: وهل العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة يقول:

إنّ الرجالَ لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

٣ - وقال ابن الأزرق: أخبرني عن قوله تعالى: **﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً﴾**[٣]، فقال ابن عباس: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، واستشهد بقول أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبيّن للإسلام ديناً ومنهجاً

---

(١) سورة المعارج، الآية ٣٧ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨ .

٤ - قال نافع: ما معنى أفلت في قوله تعالى: ﴿**فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون**﴾[١]، فقال ابن عباس: أفلت يَعني زوالَ الشمس عن كبد السماء. واستشهد ببيت لكعب بن مالك:

فتغير القمرُ المنيرُ لفقده   والشمس قد كسفت وكادت تأفل

٥ - قال نافع: ما معنى: "إيابهم" في قوله تعالى: ﴿**إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**﴾[٢]، فقال ابن عباس: الإياب هو المرجع، واستشهد ببيت لعبيد بن الأبرص:

وكلُّ ذي غيبة يؤوب   وغائب الموت لا يؤوب

٦ - وسأل ابن الأزرق عن معنى "بارئكم" في قوله تعالى: ﴿**إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم**﴾.[٣]، قال ابن عباس: بارئكم خالقكم، واستشهد بالبيت الآتي:

شهدت على أحمد أنه   رسول من الله بارىء النسم[٤]

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٨ .

(٢) سورة الغاشية، الآيات ٢٥، ٢٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٥٤ .

(٤) انظر: علوم التفسير، ص ١٥٦ ، وانظر: التفسير والمفسرون: جـ ١ ، ص : ٧ .

المبحث الثالث

(المرحلة الثالثة: التفسير في عصر التابعين)

تنتهي المرحلة الثانية للتفسير بانتهاء عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- وتبدأ المرحلة الثالثة للتفسير من بداية عصر التابعين الذين تتلمذوا على أيدي الصحابة وتلقوا غالب معلوماتهم عنهم. ونظراً لاتساع الفتوحات الإسلامية ودخول الكثير من أبناء الأمم الأخرى في الإسلام أصبح الاحتياج إلى التفسير أكثر مما كان عليه في السابق، إلاّ أنه لم يفسر القرآن كله في هذه المرحلة، وإنما فسروا الغامض منه ووضحوا للناس ما خفي من معانيه، وكان الغموض يزداد كلما ابتعد الناس عن عصر النبوة.

المطلب الأول

(منهج التابعين في التفسير)

إنّ الناظر في منهج التابعين للتفسير يجد أنهم قد اشتركوا مع الصحابة في أهم أسس ومصادر التفسير، وإن اختلفوا في بعض الأمور فكان ناتجاً عن كيفية المرحلة التي توسعت فيها رقعة الدولة الإسلامية، ونستطيع أن نلخص منهج التابعين للتفسير بالآتي:

أولاً – تفسير القرآن بالقرآن :

لقد نهج التابعون نفس منهج الصحابة فكانو يرجعون في تفسيرهم لآيات الله إلى المصدر الأول وهو القرآن الكريم، وأوضحنا ذلك بتوسع في المرحلة الثانية من التفسير.

ثانياً – تفسير القرآن بالسنة:

إذا لم يجد التابعون التفسير في القرآن نفسه كانوا يعودون إلى سنة ليجدوا فيها التفسير باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التفسير.

ثالثاً – تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

كان التابعون يرجعون إلى فسير الصحابة ويقدمونه على آرائهم فقد جاء عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأل عنها.(١)

رابعاً – الاجتهاد بآرائهم حول النصوص:

إذا لم يجد التابعون التفسير في القرآن والسنة ولا في أقوال الصحابة اجتهدوا وأعملوا عقولهم حول النصوص فهم الذين يعرفون لغة العرب ومناحيهم في القول، ولأنهم سمعوا عن الصحابة وتلقوا غالب تفسيراتهم عنهم، يحق لهم أن يجتهدوا فيما لا نص عليه.

خامساً – أقوال أهل الكتاب:

لقد تبين أن القرآن يذكر قصص الأنبياء والأمم الغابرة بإيجاز ولم يتعرض للتفاصيل، وحينما دخل في الإسلام العديد من أهل الكتاب أخذ التابعون يسألونهم عن تفاصيل القصص القرآني وكيفة ورودها في التوراة والإنجيل، وأقبل الناس على سماعها حُبّاً في سماع تفاصيل تلك القصص فدخل في التفسير الكثير من الأخبار التي تعرف بالإسرائيليات.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص ١٠٠ .

المطلب الثاني

(مدارس التفسير في عصر التابعين)

لقد نشأت بعض المدارس في عهد التابعين وتتلمذ الكثير من التابعين في هذه المدارس على يد أشهر المفسرين من الصحابة -رضوان الله عليهم-. وأشهر هذه المدارس ثلاث وهي تتمثل في الآتي:

أولاً – مدرسة التفسير بمكة:

قامت مدرسة التفسير بمكة على يد عالم الأمة وحبرها عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- فهو رئيسها، وقد كان يجلس مع أصحابه طويلاً في تفسير كتاب الله، فيوضح لهم ما أشكل عليهم من المعاني وما غمض من الألفاظ، ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة: مجاهد بن جبر، وعكرمة البربري مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان اليماني.

ثانياً – مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت مدرسة المدينة على يد الصحابي الجليل عالم التفسير أُبي بن كعب، واشتهر من تلاميذه ثلاثة هم: زيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية المسمى رفيع بن مهران الرياحي.

ثالثاً – مدرسة التفسير بالعراق:

أنشأ هذه المدرسة وتزعمها الصحابي العالم بالتفسير وعلوم القرآن عبدالله ابن مسعود -رضي الله عنه- قارئ القرآن ومُفسره واشتهر من بين تلاميذه،

علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، ومُرّه الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي.( )

المطلب الثالث

(حكم تفسير التابعين ومميزاته)

أولاً – حكم تفسير التابعين:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ بأقوالهم إذا لم يرد تفسير للآية عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو عن أحد الصحابة إلى قولين كالآتي:

أ) القول الأول:

قال بعض العلماء منهم ابن عقيل وشعبة ورواية عن الإمام أحمد -رحمه الله- أنه لا يجب الأخذ بأقوال التابعين في التفسير واستدلوا بالأدلة الآتية

١ – ليس للتابعين سماع من الرسول -صلى الله عليه وسلم- كالصحابة، لذا لا يمكن الحمل على أقوالهم كالحمل على أقوال الصحابة في التفسير.

٢ – لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل القرآن معالجاً لها، لهذا فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد من النص.

٣ – لم ينص على عدالة التابعين كما هو منصوص على عدالة الصحابة، لذلك قالوا: لا يجوز الأخذ بأقوالهم في التفسير.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ١٠٠ ، وانظر: التفسير النبوي للقرآن ، ص ٤٤ .

ويؤيد ذلك ما جاء عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- أنه قال: ما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ونحن رجال نجتهد.(١)

ب) القول الثاني:

ذهب أكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام أحمد أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير إذا لم نجد لها تفسيراً في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة واعتمدوا أن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة -رضي الله عنهم- وحضروا مجالسهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم.

فقد جاء عن مجاهد قوله: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها.

وجاء عن قتادة بن دعامة أنه قال: "ما في القرآن آية إلاّ وقد سمعت فيها شيئاً"، وقال الشعبي: "والله ما من آية إلاّ وقد سألت عنها".(٢)

جـ) القول الراجح :

القول الراجح في تفسير التابعي هو ما رجحه الذهبي فقال: "والذي تميل إليه النفس وترتاح إليه، أن التابعين إذا أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به ولا يرتاب في كونه حجة ولا ينبغي أن نتعداه إلى غيره".

أمّا إذا اختلف التابعون حول نص من النصوص فلا يعمل بقولهم حينئذٍ، لأن أقوال بعضهم ليست حجة على بعض ولا على من جاء بعدهم.

---

(١) أصول التفسير ومناهجه، ص ٣٤ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ص ١٠٠ .

وأمّا إذا كان قول التابعي في التفسير مما لا مجال للرأي فيه فإنه يؤخذ به إذا لم يوجد ريبة في قوله، وإن ارتبنا فيه بأنه كان يأخذ عن أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله.[1]

ثانياً – مميزات التفسير في عصر التابعين:

لقد امتاز التفسير في عهد التابعين بميزات واختص بخصائص، نلخصها في الآتي:

أ) دخول الإسرائيليات في التفسير وذلك لكثرة من دخل في هذه المرحلة من أهل الكتاب في الإسلام، حيث تساهَل التابعون في الأخذ عنهم، فزجوا بكثير من مروياتهم في تفسير القرآن.

ب) زاد الخلاف بين المفسرين من التابعين عما كان موجوداً في عصر الصحابة وذلك لكثرة الأقوال التفسيرية حول النص الواحد بل الكلمة الواحدة، مما أدى إلى إتساع نطاق التفسير فتناول آيات لم يتناولها في عصر الصحابة.

جـ) ظل التفسير في مرحلة التابعين مُحتفظاً بطابع الرواية والتلقي والتي أخذت طابع الإختصاص حسب المدارس التفسيرية التي تكونت في البلاد الإسلامية فأهل كل مصر من الأمصار أخذوا عن الإمام الذي وَفَد إليهم، فالمكيون عن ابن عباس والمدنيون عن أُبي بن كعب والعراقيون عن عبدالله بن مسعود.

د) ظهرت نواة الخلاف المذهبي في عصر التابعين مما أدى إلى ظهور بعض الآراء والتفسيرات التي تحمل في طياتها بذور هذه المذاهب فنجد قتادة بن دعامة

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١، ص ١٢٨، ١٢٩.

السدوسي يُنسَبَ إليه الخوض في القضاء والقدر ويتهم بأنه قدري فأثّر ذلك على تفسيره فكان بعض الناس يتحرج من الرواية عنه، بينما نجد الحسن البصري قد فسّر القرآن الكريم على إثبات القضاء والقدر ويُكفّر من يكذب به.[1]

هـ) دُوّن التفسير في عصر التابعين في كتب مستقلة مع أنه ظل يأخذ شكل رواية الحديث ولكنها غير مرتبة فرواية تتحدث عن الزكاة وأخرى عن البيع وثالثة عن الجهاد أو الصلاة وهكذا.

و) ظهرت تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن الكريم في عهد التابعين فقد جمع سعيد بن جبير (ت٨٦هـ) صحيفة في التفسير وجمع أبوالعالية الرياحي (ت٩٠هـ) نسخة من التفسير عن أُبي بن كعب، وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري.[2]

المبحث الرابع

(التفسير في عصر التدوين)

لقد تطور التفسير في عصر التدوين وقفز قفزات إلى أن وصل إلى صورته النهائية، نجملها في النقاط الآتية:

أولاً – أوضحنا أن التفسير في مراحله الأولى في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعهد الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين كان مُقتصراً على

---

(١) انظر: التفسير النبوي للقرآن، ص ٤٦ ، وأصول التفسير ومناهجه، ص ٣٢ .

(٢) انظر: أصول التفسير، ص ٨٩، ٩٠ .

الرواية والتلقي وكانوا يعتمدون على ما يحفظونه في ذاكرتهم ولم يدون إلاّ القليل النادر وذلك لأن وسائل الكتابة كانت بدائية ولأنه -صلى الله عليه وسلم- قد نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن الكريم خوفاً من اختلاط القرآن بغيره من الكلام، فظل التفسير آنذاك يُجمع في الذاكرة مثل السنة النبوية المطهرة حتى جاء أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز الذي خشي على ضياع السنة بموت حفاظها فأمر بتدوين الحديث الشريف وكان التفسير باباً من الأبواب التي اشتمل عليها الحديث الشريف، كباب الصلاة، وباب الطهارة، وباب الزكاة، وباب الحج، وباب الجهاد وغيرها، ولم يُفرّد التفسير بمؤلف خاص به في تلك الفترة.

وممن دون التفسير على أنه باب من الحديث الشريف، يزيد بن هارون السلمي (ت١١٧هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، وعبدالرزاق بن همام (ت٢١١هـ)، وعبد بن حميد (ت٢٤٩هـ).

وتميز التفسير في هذه الفترة بالآتي:

١ - التفسير لم يكن مستقلاً بمؤلف خاص به بل كان باباً من أبواب الحديث الشريف.

٢ - لم يقتصر التفسير المأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بل اشتمل على تفسير ما جاء عن الصحابة والتابعين.

٣ - كانوا يعتنون بالأسانيد في الروايات التي يذكرونها لتفسير القرآن.

ثانياً - انفصل التفسير عن الحديث بعد فترة تجاوزت الفترة الأولى، فكتب بعض العلماء مصنّفات خاصة بالتفسير وشاملة لآيات القرآن الكريم وسوره حسب ترتيب المصحف العثماني.

وقد ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى وابن خلكان في وفيات الأعيان، أن أول من صَنَّف في التفسير عبدالملك بن جريج (ت١٤٩هـ)، وتبعه من المفسرين ابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، وابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وأبوبكر ابن المنذر النيسابوري (٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ).

وتميز التفسير في عصر هؤلاء بالآتي:

١ - كان التركيز في تلك الفترة على التفسير بالمأثور عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين -رحمهم الله-

٢ - كانوا يكتبون التفسير بالأسانيد المتصلة إلى صاحب التفسير المروي عنه.

٣ - لم يعتنوا بالنقد وتحري الدقة في صحة الرواية أثناء التفسير بل كانوا يذكرون كل ما جاء حول الآية من روايات صحيحة وسقيمة لأنهم كانوا يعتقدون أن من أسند فقد أبرأ ذمته وأحال إلى غيره، إلاّ أن بن جرير الطبري أحياناً كان يتتبع السند وهذا في القليل النادر، وتارة يوجه الأقوال ويرجح بينها، ويذكر الأعراب، ويستنبط بعض الإيحاءات حول النص.

٤ - دخل التفسير الكثير من الروايات الإسرائيلية وأصبحت جزءاً منه.

ثالثاً - لقد مرَّ التفسير في هذه المرحلة بمنعطف خطير عندما اتجه بعض المفسرين إلى اختصار الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف بدون أن ينسبوها إلى قائليها مما أدى إلى اختلاط الصحيح بالضعيف والحسن بالسقيم العليل، وكانت تلك الهفوة من أوسع الفجوات خطراً على التفسير، استطاع الأعداء أن ينفذوا من خلالها إلى هذا الدين ليضعوا ما لا يقبله الإسلام وينتحلوا ما ليس من الدين، لولا أن الله -سبحانه- هيأ من علماء الإسلام من يكشف هذا الزيف والهشيم المركوم من الروايات المكذوبة والموضوعة واستطاعوا أن

يميزوا بين الصحيح والسقيم ضمن شروط ومميزات وضعوها للرواية المقبولة والتي يعمل بها.

وكثر التفسير بالرأي المحمود والرأي المذموم في هذه الفترة الزمنية من عُمْر التفسير وتجرأوا على القول في القرآن بغير علم، وصار كل من يَستحسن قولا أو رأياً يورده دون أن يتحرى الصواب. وعلى سبيل المثال، ذكروا أكثر من عشرة أقوال لتفسير قوله تعالى: ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾[1] مع أن التفسير الوارد لها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن جميع الصحابة والتابعين أنهم اليهود والنصارى.[2]

رابعاً – لقد خطا التفسيرُ خطوات واسعة امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، وأصبح يعتمد على الرأي وكان ذلك نتيجة لنشأة الفرق والملل والمذاهب في الإسلام، فأصبح أصحاب كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن الكريم ويفسرونها حسب ما يوافق مذهبهم ومعتقداتهم.

أيضاً اعتنى أصحاب كل علم بما يوافق علومهم، فأصحاب النحو أكثروا من الوجوه الإعرابية المحتملة في النصوص وركزوا في تفسيرهم على قواعد النحو ومسائله وفروعه مثل الزجاج والفراء وأبي حيان في البحر المحيط.

وأصحاب الفقه استطردوا في ذكر الآراء الفقهية والإتيان بالأدلة والرد على المخالفين لهم مثل القرطبي والجصاص وابن العربي، والقُصاص ليس لهم شغل إلاّ ذكر القصص واستيفاؤها من جميع جوانبها مثل الثعالبي.

وأصحاب العلوم العقلية ملأوا تفاسيرهم بأقوال الحكماء الفلاسفة وناقشوا شبهاتهم وبرع في هذا المجال الفخر الرازي في تفسيره الكبير.[3]

---

(١) سورة الفاتحة، الآية ٧ .

(٢) انظر: التفسير النبوي للقرآن، ص ٨ .

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

الفصل الثانـي

(أسباب ضعف الرواية بالمأثـور)

يتكون من مدخل للفصل ومبحثين كالآتي:

١ - مدخـــل الفصل الثاني

٢- المبحث الأول: الوضع في التفسير

٣- المبحث الثاني: الإسرائيليات وحذف الإسناد

مدخل الفصل

(التفسير بالمأثور)

أولاً – تعريف التفسير بالمأثور:

المأثور اسم مفعول يعني المنقول، مأخوذ من الأثر وهو مصدر يعني الخبر ويجمع على آثار قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾(١) أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم أي: من سنَّ سنة حسنة يُكتب له ثوابها، ومن سنَّ سنة سيئة يسجل عليه عقابها، وسنن النبي تعني الآثار الواردة عنه –صلى الله عليه وسلم–.

والحديث المأثور هو الذي يُخبّر الناسُ به بعضُهم بعضاً أي ينقله خلف عن سلف وعليه يكون التفسير بالمأثور أي التفسير المنقول رواية من جيل إلى جيل.(٢)

والتفسير بالمأثور يشمل الآتي:

١– المنقول عن الله تعالى في القرآن الكريم نفسه من البيان والإيضاح لبعض الآيات.

٢– المنقول عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من تفسير وبيان لآيات القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى 0 إن هو إلا وحي يوحى ﴾(٣) .

٣– ما نُقل عن الصحابة –رضوان الله عليهم– الذين عاصروا زمن نزول الوحي وشهدوا أسباب النزول فكانوا أعلم الناس بتفسيره.

٤– ما جاء عن التابعين –رحمهم الله– وإن خالف البعض ذلك إلاّ أن ما استقر عليه رأي أغلب المفسرين أنه من المأثور لأن التابعين عايشوا الصحابة وأخذوا علومهم عنهم فكانوا من سلف الأمة الصالح، وقد أوضحنا ذلك قبل قليل.

---

(١) سورة يس، الآية ١٢ .

(٢) انظر: لسان العرب، مجلد ١ ، ص ١٩ .

(٣) سورة النجم ، الآية ٣ ، ٤ .

ونستطيع أن نَخلُص إلى القول بأن التفسير بالمأثور "هو الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها المفسّر ولا يجتهد برأيه في بيان معنى من غير دليل".

ثانياً – مكانة التفسير بالمأثور وفضله :

التفسير بالمأثور هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها في المكانة لانه إما أن يكون تفسيراً للقرآن بالقرآن وخير من يعلم ويوضح مراد الله هو سبحانه وتعالى: وإما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصدق الله العظيم القائل في حقه: ﴿إن هو إلاّ وحي يوحى علمه شديد القوى﴾.(١) وإمّا أن يكون بأقوال الصحابة فهم أهل اللسان وشاهدوا القرائن والأحوال التي عالجها القرآن الكريم لهذه العوامل مجتمعة حظي التفسير بالمأثور المرتبة الأولى من مراتب التفسير والمكانة الهامة بين كتب التفسير.

ثالثاً – أسباب ضعف الرواية بالمأثور:

ينبغي أن نعلم جيداً أن التفسير بالمأثور دخل عليه الضعف والخرافات من جوانب متعددة مما أدى إلى عدم الثقة بالبعض منه وإلى أخذ الحيطة والحذر عند الاستشهاد به في تفسير النصوص القرآنية ويرجع أسباب الضعف في الرواية بالمأثور إلى الآتي:

١ – كثرة الوضع في التفسير.

٢ – دخول العديد من الروايات الإسرائيلية.

٣ – حذف الأسانيد أو اختصارها من الروايات.

---

(١) سورة النجم، الآيات ٤، ٥ .

المبحث الأول

(الوضع في التفسير)

الوضع في التفسير يقصد به تفسير القرآن الكريم بأحاديث موضوعة مختلفة ومكذوبة وهي شر الأحاديث الضعيفة التي لا يجوز روايتها أو الإستشهاد بها في التفسير أو في غيره.

نشأة الوضع في التفسير:

لقد نشأ الوضع في التفسير مع الوضع في الحديث الشريف، لأن التفسير كان نوعاً من أنواع الحديث، وحدد العلماء ابتداء الوضع في التفسير والحديث بعد الفتنة التي عمت المسلمين باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومع بداية العهد الأموي في سنة إحدى وأربعين للهجرة وهي السنة التي جَزَم العلماءُ بصفاء السُّنة قبلها، وقالوا بدخول الوضع في تلك الفترة نتيجة التطاحن الذي حدث بين المسلمين واشتغالهم بالفتن مما أدى إلى اختلافهم سياسياً وتفرقهم إلى شيعة وخوارج وجمهور وهذه التفرقة سهلت على الأعداء أن ينفذوا إلى صفوف المسلمين ويدسوا السموم حول عقيدة الإسلام فقاموا بالتشكيك في بعض الصحابة والتابعين، ووضعوا من الروايات الباطلة المدسوسة ليصلوا إلى أغراضهم السيئة ورغباتهم الخبيثة ولينالوا من الإسلام والمسلمين.

فقد جاء عن الزهري قال: "دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلاَّ هذه الصلاة وقد ضُيعت".

وقال الحسن البصري: "لو خرج عليكم أصحاب رسـول الله - صلى الله عليه وسلم- ما عرفوا منكم إلاّ قبلتكم".[1]

المطلب الأول

(أسباب الوضع في التفسير)

أولاً : التعصب المذهبي:

إن الأمة افترقت بعد الفتنة التي حدثت أيام علي ومعاوية إلى شيعة تطرفوا وغالوا في حب علي بن أبي طالب وإلى خوارج انصرفوا عنه وناصبوه العداء ووجد بجانب ذلك جمهور المسلمين وهؤلاء لم يمسسهم شيءٌ من ابتداع الشيعة أو الخوارج، فهذا التعصب المذهبي دفع بعض هذه الفرق إلى التعمد في اجتراح الكذب وخلق الروايات لإثبات صحة المذهب الذي يدينون له بالولاء.

فالشيعة وضعت الكثير من الأحـاديث في مـدح علـي وذم معاوية وبعض الصحابة، وألصقوا الآيات التي فيها المدح بعلي وآل البيت والآيات التي فيها قدح بمخالفيهم، فتهجموا على أم المؤمنين عائشة وحفصة وعلـى الخلفـاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم-.

أمّا الخـوارج فلـم يستحلوا الكـذب علـى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومرد ذلك اعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر والكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من الكبائر.

ومما جاء عن الشيعة إثبات وصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعلي بالخلافة من بعده فوضعوا كثيراً من الأحاديث في هذا الشأن منها أنهم نسبوا إلى

(١) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، ص ١١٠ .

النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "عليٌّ وصيي وموضع سري وخليفتي في أهلي وهو خير من يخلف بعدي".

ووضعوا في حق علي -رضي الله عنه وذريته وشيعته- الآتي: "يا علي إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك".[1]

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخباراً تنال من أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعائشة أم المؤمنين وقام بعض الوضاعين بالمقابل فوضعوا روايات ترفع من شأنهم -رضي الله عنهم-.

فقد وضعوا على عبدالله بن أبي أوفى أنه قال: "رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- متكئاً على عليّ وإذا بأبي بكر وعمر أقبلا فقال: يا أبا الحسن أَحِبَّهُما فَبحُبِّهِما تدخل الجنة"، وقالوا: "ما في الجنة شجرة إلاّ مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلاّ الله محمد رسول الله أبوبكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين".[2]

ثانياً – اللون السياسي:

قام بعض الوضاعين بدافع من الجهل والتعصب عندما استتب الأمر للدولة الأموية بالتقرب إلى خلفاء هذه الدولة على حساب الدين فوضعوا الأحاديث في فضلها والإشادة بخلفائها، ولّما انتهت الدولة الأموية واستلم لواء الحكم العباسيون انعكست الأمور فوضعت الأحاديث التي تبشر بدولة آل العباس والتنفير من بني أمية فوضعوا على علي بن أبي طالب وعلى عبدالله بن عباس لأن الوضع عليهما

(١) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص ٣٦٩ .

(٢) أصول الحديث، ص ٤٢٠ .

يكسب الموضوع ثقة وقيمة عاطفية من أجل التقرب من آل بيت النبي و لتقرب من العباسيين.[1]

ثالثاً – وجـود الزنادقة :

وهم أعداء الإسلام الذين اندسوا بين أبناء المسلمين وعمـدوا من الداخل إلى محاربة الإسلام والمسلمين عن طرق الدس والوضع في التفسير بعد أن عجزوا عن النيل من هذا الدين عن طريق الحـرب والقـوة أو عـن طريـق البرهان والحجة وكان من هؤلاء عبدالكريم بن أبي العوجـاء الـذي اعـترف قبـل أن تُضرب عنقه بوضعه في الحديث والتفسير، فقال: "والله لقد وضعت فيكـم أربعة آلاف حديث أُحرم فيها الحلال وأُحلّ الحرام".[2]

ومع ذلك لم تُخف هذه الأحاديث الموضوعة على رجال العلم فقد تتبعوها وبينوا الزنادقة الذين وضعوها.

رابعاً – وجود الزهاد والمتصوفة:

رأى بعض الصالحين والزهاد مـن المتصوفـة إنشـغال النـاس بـالعمل للدنيا وعدم الاهتمام بالآخرة نتيجة للترف والبذخ الذي ساد المجتمع آنذاك كـردة فعل لهذا الانفتاح والترف المادي قام الزهاد والمتصوفون بوضع الأحاديث التي تدعـوا إلى العزوف عن الدنيا وملذاتها والزهد فيها والإقبال على الآخرة بالطاعـات، فوضعـوا الأحاديث في فضـائل السـور والأيـام والشـهور وبعـض الرقـائق الروحية وإذا قيل لأحدهم من أين جئت بهذه الأحاديث؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها.

---

(١) انظر: دراسات في مناهج المفسرين ص ٢٥٨ .

(٢) أصول الحديث، ص ٤٢٢ .

وكانوا إذا ذكّروا بقوله -صلى الله عليه وسلم-: **"من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"** قالوا: نحن ما كذبنا عليه وإنما كذبنا له.[1] وكان العامة والدهماء من الناس وهم يشكلون السواد الأعظم يصدقونهم لذلك فقد كان خطرهم شديداً على الدين وكانوا أعظم ضرراً من غيرهم.

خامساً - وجـود القصاص:

كان القصاص يتخذون من الوضع على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حرفة للارتزاق منها، فإذا اجتمع الناس إلى أحدهم أخذ يقص من القصص المختلق الموضوع وذلك ليرضيهم مستشهداً بأحاديث مكذوبة ومختلقة لكي يحرك عواطفهم أو يمنيهم بما يحبون، وكان يفعل ذلك لينال بعض العطايا منهم، ومن أطرف ما روي في كذب القصاص، ما جاء عن أبي جعفر الطيالسي قال: "دخل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص فقال: حدثنا أحمد ويحيى عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قال لا إله إلاّ الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان" وأخذ يقص قصته فقال له يحيى بن معين: من حدثك هذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققت إلاّ هذه الساعة، كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد غيركما؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين".[2]

---

(١) انظر: أثر التطور الفكري في التفسير، ص ١١٢ ، وانظر: أصول الحديث، ص ٤٢٥ .

(٢) أصول الحديث، ص ٤٢٤، ٤٢٥ .

المطلب الثاني

(أثر الوضع في التفسير وقيمته)

أولاً : أثر الوضع في التفسير:

إن التفسير الموضوع في الغالب له قيمة علمية لا بأس بها، لأنه نابع عن تفكير ورأي حول النصوص، ولكن الذي أخلّ بهذه الروايات هي الأسانيد التي وضعت لها، مما أثر بالسلب على التفسير.

ونستطيع أن نلخص هذه الآثار بالآتي:

أ) **أفقدنا الكثير من الروايات الصحيحة:** كثرة الروايات الموضوعة في التفسير كان له من الأثر السلبي من ناحية ضياع العديد من التراث الذي خلفه لنا أعلام المفسرين من السلف الصالح لأن ما أحاط به الشكوك جعلنا نفقد كل رواية تطرق إليها شيء من الضعف وربما تكون صحيحة.

ب) **نسبة القول المتناقض إلى إمام أو مفسر واحد:** عندما تُنسب إلى إمام رواية مكذوبة موضوعة ستتناقض وما روي عنه بحق فهذا سبيل لأن يجعلنا نتهمه بالتناقض.

جـ) **عدم التمييز بين السقيم والصحيح:** لقد دخل التفسير الكثير من الروايات الموضوعة إلى جانب الروايات الصحيحة المأثورة عن السلف الصالح، فاختلط الصحيح بالسقيم مما جعلنا لا نستطيع التمييز بين هذه الروايات لولا أن قيض الله سبحانه لهذا العلم من الرجال الأفذاذ أصحاب العلم والإختصاص فهم وحدهم عندهم المقدرة على فصل الغث من السمين.(١)

ثانياً – قيمة التفسير الموضوع :

إن التفسير الموضوع له قيمة علمية من الناحية الذاتية بغض النظر عن الأسانيد التي وضعت له لأنه لم يكن أمراً خيالياً بعيداً عن الآية، بل أنه في كثير من الأحيان يأتي عن طريق الاجتهاد وإعمال الفكر والعقل حول الآيات لذلك فهو له

---

(١) انظر: أثر التطور الفكري في التفسير، ص ١١٤ .

قيمته العلمية وغالباً ما يكون صحيحاً، إلاَّ أن صاحب هذا الرأي أراد رواجاً لبضاعته ورأيه فنسبه إلى الصحابة أمثال علي بن أبي طالب أو ابن عباس ليحظى بهذا الرواج والزخم العلمي.[1]

المبحث الثاني

(الإسرائيليات وحذف الإسناد)

المطلب الأول

(الإسرائيليات)

أولاً : تعريف الإسرائيليات:

هي عبارة عن القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي عن طريق من أسلم من أهل الكتاب حقيقة أو تظاهر بالدخول في الإسلام وسُمّيت بالإسرائيليات لتغليب اللون اليهودي من باب إطلاق الجزء على الكل لأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر وذلك لكثرة تخالط اليهود بالمسلمين في المجتمع المدني.

وقد بدأ اليهود بالدس منذ الأيام الأولى لدخول الإسلام في المدينة المنورة، ودخلت الثقافات غير اليهودية وظهر أثر هذه الثقافات في العقلية المسلمة مع بقاء الروايات الإسرائيلية هي الظاهرة وخاصة فيما يتعلق بالتفسير.

وكانت الثقافة اليهودية تتمثل في التوراة وبما تحويه من الأسفار الموسوية وغيرها وتُسمى بالعهد القديم وهذه حُرفت كما ذكر الله في القرآن، قال تعالى: **﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾**[2] ، وكان لليهود بجانب التوراة سنن ونصائح

---

(١) التفسير والمفسرون بتصرف، جـ ١، ص ١٦٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١٣ .

وشروح لم تؤخذ عن موسى -عليه السلام- بطريق الكتابة وإنما أُخذت بطريق المشافهة إلاّ أنها حُرّفت بالزيادة عليها والنقص منها والتبديل والتغيير فيها، ثم دونت مع الزمن وعُرفت بالتلمود، وكان يوجد بجانب ذلك الكثير من الأدب والقصص والتاريخ والتشريع والأساطير اليهودية.

أمّا النصارى فكانت ثقافتهم تتمثل في الأناجيل المعتبرة لديهم ورسائل الرسل وتُسمى جميعاً بالعهد الجديد أمّا الكتاب المقدس فهو يعني عندهم التوراة والإنجيل ويسمى بالعهد الجديد والعهد القديم.

ثانياً – أسباب دخول الإسرائيليات في التفسير:

أ) إن القرآن الكريم تناول كثيراً من قصص الأنبياء والأمم السابقة والحوادث الغابرة بإيجاز مع التركيز على جانب الموعظة والعبرة من القصة دون الإعتناء بذكر التفاصيل ودقائق القصة، ولمّا كانت النفس البشرية تميل إلى معرفة الاستيفاء الكامل حول تفاصيل ودقائق القصص سأل بعض المسلمين من أسلم من أهل الكتاب عن تفاصيل القصص القرآني فأجابوهم بما هو وارد عندهم في التوراة والإنجيل.

ب) إسلام العديد من أهل الكتاب ودخولهم في هذا الدين ساهم مساهمة فعّالة في إدخال الإسرائيليات إلى كتب التفسير.

جـ) أذن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالرواية عنهم بعد أن حذّر من الاعتقاد بما يخالف شريعة الإسلام فقال -صلى الله عليه وسلم-: "**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**"(١) أي حدثوا عنهم ما يتفق وحدود الشريعة الإسلامية وضمن الشروط الواجبة في الأخذ عن أهل الكتاب.

---

(١) التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ١٧١ .

ثالثاً – أثر الإسرائيليات على التفسير:

كان للإسرائيليات أثر سيءٌ على التفسير، وتمثل هذه الآثار في الآتي:

أ) الإسرائيليات لم تقف عند الحد الذي رسمه -صلى الله عليه وسلم- في الأخذ عن أهل الكتاب مما أدى إلى دخول الكثير من القصص القائم على الخرافة وخاصة بعد عصر الصحابة حيث جاء أقوام رووا كل ما قيل لهم سواء كان صدقاً أم كذباً فمثل هذه الروايات والآثار شوهت كتب التفسير التي دخلتها وقللت من قيمتها العلمية.

ب) دخول الإسرائيليات في كتب التفسير جعل الكثير من الناس ينظر إلى كتب التفسير التي حوتها نظرة ريبة وشك لإعتقادهم أن الكل من واد واحد.

جـ) إن نسبة الإسرائيليات المغلوطة إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعل بعض الناس ينظرون إليهم نظرة ريبة وإتهام.

د) القارىء للتفاسير المليئة بالإسرائيليات يفقد التدبر والاعتبار حول آيات القرآن الكريم لأن الإلتفات يكون لها والتركيز عليها.

رابعاً – موقف المفسر من الإسرائيليات:

لقد ذكر الذهبي موقف المفسر إزاء هذه الإسرائيليات، نلخصه في الآتي:

أ) يجب على المُفسر أن يكون ناقداً ويقظاً لكي يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم ما يتناسب وروح الشريعة الإسلامية ويتفق مع العقل والنقل.

ب) يجب أن لا نأخذ عن أهل الكتاب ما كان موضحاً في سنة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، لأن ما أوضحته السنة النبوية فيه الكفاية.

جـ) يجب على المفسر أن لا يأخذ من الإسرائيليات إلاّ اليسير وعند الضرورة بشرط أن يكون وفقاً لموقف الإسلام منها.

د) إذا اختلف الأقدمون في شيء فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال جميعاً على أن ينبه إلى الصحيح منها ويبطل الباطل مع بيان الدليل.[1]

خامساً – حكم الإسرائيليات :

لقد دخل التحريف والتغيير والتبديل على التوراة والإنجيل فقد جاء في حق أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿**يحرفون الكَلِمَ من بعد مواضعه**﴾[2] ولتحريفهم للتوراة والإنجيل فإن ما جاء عنهم من إسرائيليات لا يخلو من حالات ثلاث:

أ) أن توافق ما جاء في شرعنا الإسلامي:

فقد جاء عن أهل الكتاب بعض الروايات التي توافق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فمثل هذه الروايات لا تعتبر إسرائيليات بل نعتبرها في الثقافة الإسلامية، وحكم هذه المرويات القبول وتؤخذ من أجل الاستئناس بها لا الاستدلال، ومثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**﴾[3]، فهذه الآية موجودة في التوراة بلفظ آخر رواه البخاري في صحيحه فقال: "أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**﴾ قال: في التوراة: **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين أنت عهدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة لكن يعفو**

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٥ .

ويصفح، ولن يقبضه ا لله حتى يقيم به الملة العوجاء، بـأن يقولـوا لا إلـه إلا ا لله، فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً".[1]

ب) أن تخالف شرعنا :

ما جاءنا من إسرائيليات مخالفاً لشريعتنا نـرده ونضـرب بـه عـرض الحـائط لمعرفة كذبه فلا يجوز روايته إلاّ على سبيل التحذير منه والإبتعاد عنه مثالـه: خرافـة قرن الثور الذي تقف عليه الأرض، وأيضاً ما نسبه يهـود إلى ا لله تعـالى، أنـه خلـق الخلق في ستة أيام ثم سبت "بمعنى استراح" ثم أكمـل الخلـق في اليـوم التـالي، فهـذا ينافي ما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**ولقـد خلقنـا السـموات والأرض في ستة أيام وما مسّنا من لغوب**﴾.[2]

جـ) أن لا توافق ولا تخالف شرعنا:

فهذا النوع لا نعلم صدقه ولا كذبه، لأنـه لم يـرد في شـرعنا مـا يؤيـده أو يمنعه فنتوقف عنده، فلا نكذبه خوفاً من أن نكذب بصدق ولا نصدقه خوفاً من أن نصدق بكذب وباطل، وهذا النوع يشكل غالب الإ سـرائيليات وهـو لا فـائدة مـن معرفته ومثاله: تفصيلات سفينة نـوح والخـوض في البقـرة الـتي ذبحهـا يهـود وثمنهـا والميت الـذي ضربـوه ببعضهـا، ونـوع الدراهـم الـتي اشـتروا بهـا يوسـف – عليـه السلام–، وتفصيلات أصحاب الكهف، وغيرها.

---

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، ص ٢٨٢ ، وانظر: صحيح البخاري، ١٦٩/٦ ، ١٧٠.

(٢) سورة ق، الآية ٣٨ .

المطلب الثالث

(حـذف الإسنــاد)

إن العرب قبل الإسلام كانو يسندون القصـص والشعر فيذكرونه معزواً إلى أصحابه وأيضاً فإن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يتحرون الصحة فيما يتحملون من الروايات، فالصحابي لا يروي الحديث إلاَّ إذا كان متيقناً من صحته وكانوا يذكرون الإسناد لرواية التفسير بالمأثور، مع أنه لم يعرف عنهم بهم كانوا يسألون عن الإسناد وذلك لإتصاف عصرهم بالعدالة والأمانة والصدق

وعرف عن بعض الصحابة نه كان لا يقبـل الحديـث إلاّ بعـد الشـهادة و اليمين والغرض من ذلك التأكيد على صحة الرواية وليس عدم الثقـة ف ثقـة كـانت متوفرة بينهم ويؤيد ذلـك مـا جـاء عـن الحسـن البصـري أنَّ أبـا موسى الأشـعري استأذن على عمر -رضي الله عنه- ثلاثاً فلم يـؤذن لـه فرجـع، فأرسل إليـه عمـر فقال: ما الذي أرجعك؟ فقال: قـال رسـول الله -صلـى الله عليـه وسلم-: **"مَنْ استأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع"** فقال عمر -رضي الله عنه-: لتجيئني ببينة أو لأوجعنك نكالاً، فأتى طلحة فشهد

وفي بعض الروايات أن عمر -رضي الله عنه- قـال لأبـي موسى: إنـي لم أتهمك ولكني أردت أن أتثبت.[1]

وجاء عصر التابعين فظهر الوضع وفشا الكـذب، ونتيجـة لذلك كـانوا لا يقبلون حديثاً إلا إذا جاء مسـنداً و بثـت عدالـة رواتـه، وأمّـا إذا حُـذف السند أو وجدوا في رواته من لا يُوثق به فكا وا لا يقبلونه لأنهم كانوا يعتبرون سند للخـبر

---

(١) دراسات في القرآن وعلومه، ص ٩٠.

كالنسب للمرء واعتبره سفيان الثوري سلاح للمؤمن فقال: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل"، وقال ابن المبارك: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"، لذلك فكانوا يقولون بيننا وبين القوم القوائم أي الأسانيد.(١) وصدق الشاعر:

العلم إن فاته إسنادُ مُسنده كالبيت ليس له سقف ولا طنبُ

وظل طابع المحافظة على السند في الرواية حتى بعد عصر التابعين وأُلِّفَتْ تفاسير تجمع أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقوال الصحابة والتابعين في التفسير مع ذكر الأسانيد ومن أهم هذه التفاسير التي ظهرت في تلك الفترة: تفسير سفيان بن عيينة، وتفسير لوكيع بن الجراح.

ثم جاء بعد هؤلاء أقوام كتبوا التفسير فاختصروا الأسانيد ونقلوا الروايات غير معزوة إلى قائليها ؛ مما أدى إلى التباس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يستحسن قولاً يورده، فظن مَنْ جاء بعدهم أنَّ له أصلاً.

لهذا يجب التثبت من صحة الرواية ومعرفة السند في التفسير حتى لا يختلط الصحيح بالضعيف أو يُردّ الصحيح ويقبل الدخيل.

---

(١) انظر: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٤٢٩.

الفصل الثـالـث

(أهم مؤلفات التفسير بالمأثور)

١ - المبحث الأول: أهم مؤلفات التفسير بالمأثور

٢- المبحث الثاني: تفسير ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير

المبحث الأول

(أهم مؤلفات التفسير بالمأثور)

لقد وصلنا العديد من التفاسير بالمأثور، نذكر منها الآتي:

١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ .

٢ - تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم الرازي، ت ٣٢٧هـ .

٣ - بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي، ت ٣٧٥هـ .

٤ - الكشف والبيان من تفسير القرآن: لأبي إسحاق الثعلبي، ت ٤٢٧هـ .

٥ - معالم التنزيل: لأبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي، ت ٥١٦هـ .

٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي، ت ٥٤٦هـ .

٧ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ .

٨ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبدالرحمن الثعالبي، ت ٨٧٦هـ .

٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ .

١٠ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ .

١١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، ت ١٣٩٣هـ.

ونستطيع أن نجزم أن أقدم تفسير بالمأثور شامل للقرآن الكريم وصل إلينا هو تفسير ابن جرير الطبري -عليه رحمة الله تعالى- .

المبحث الثاني

(تفسير ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير)

المطلب الأول

(تعريف بالطبري)

أولاً – نسبه ووفاته:

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام المجتهد علاّمة عصره، ولد في مدينة "آمُل" بطبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات وحفظ الحديث، رحل في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة وطاف بمصر وبلاد الشام والعراق ثم ألقى عصاه ببغداد حتى توفي عام ٣١٠هـ.(١)

ثانياً – مكانته العلمية:

جمع ابن جرير الكثير من العلوم التي أهلته لتفسير القرآن الكريم، فكان عالماً حافظاً لكتاب الله، عالماً بالقراءات عارفاً بالمعاني فقيهاً بالأحكام وشيخاً للمؤرخين، كان شافعي المذهب، فقال: أظهرت فقه الإمام الشافعي وأفتيت به

---

(١) طبقات المفسرين للداودي، جـ ٢ . ص ١١٤ ، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص ٩٦ .

ببغداد عشر سنين، اشتهر بالاجتهاد والموازنة بين الآراء وتمييز السليم من العليل فكان بحق موسوعة علمية في المنقول والمعقول، مما أهله إلى الانفراد في الفقه بمذهب مستقل يسمى بالجريرية وله أتباع ومقلدون إلاّ أن مذهبه لم يستمر طويلاً.

اتهم بأنه رافضي وكان يضع للروافض، وهذا رجم بالظن الكاذب، ولعل هؤلاء قصدوا بهذا الاتهام محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي، أمّا شيخنا فهو سلفي المذهب صحيح الاعتقاد.

ثالثاً – ثناء العلماء عليه:

قال ابن الخطيب البغدادي: لقد جمع ابن جرير من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، وشهد له ابن خزيمة بأنه أعلم أهل الأرض فقال: "ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير".

وقال عنه السيوطي: "إنه رأس المفسرين على الإطلاق".[1]

وقال أبوالعباس بن سريج: محمد بن جرير فقيه عالم، وهذه الشهادة صادقة لابن جرير، فقد برع في علوم كثيرة وأبدع في التأليف، وأجاد.

رابعاً – أشهر مصنفاته :

لقد صنّف الإمام الطبري كتباً كثيرة تدل على سعة علمه وغزارة المعرفة عنده، ومن أشهر مؤلفاته الآتي:

١ – جامع البيان في تأويل آي القرآن؛ الذي نحن بصدد الحديث عنه.

٢ – تاريخ الأمم والملوك.

٣ – كتاب القراءات.

٤ – كتاب أحكام شرائع الإسلام.

٥ – تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين.

٦ – التبصير في أصول الدين.

٧ – اختلاف العلماء.

---

(١) انظر:علوم التفسير، ص ١٦٩ .

معظم هذه الكتب قد اختفى عن الوجود، ومن أشهر ما وصلنا للطبري، كتابان: كتاب التفسير المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن، وكتاب التاريخ، يتحدث عن تاريخ الأمم والملوك منذ بدء الخليقة وإلى أيام الطبري. و طلع على هذين الكتابين يعتبر الإمام الطبري شيخاً للتفسير والتاريخ الإسلامي، وكيف لو وصلنا جميع مؤلفاته!!

المطلب الثاني

(تعريف بتفسير الطبري)

أولاً – أهمية تفسيره:

إن تفسير ابن جرير من أشهر التفاسير بالمأثور، ولا يقل في الأهمية من ناحية التفسير العقلي لما فيه من الاستنباطات والتوجيه للأقوال والترجيح القائم على النظر العقلي والبحث الحر المستقل.

يقع تفسير الطبري في ثلاثين جزءاً، وكان مفقوداً منذ زمن بعيد، وكان لظهوره مفاجأة سارة في العالم بأسره وخاصة في العالم الإسلامي، فقد وُجد في حيازة أمير منطقة "حائل" الأمير حمود بن عبدالرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة في التفسير بالمأثور، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات من أجودها طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق وتخريج الأسانيد للأخوين أحمد ومحمود شاكر، لكن هذه الطبعة لم تكتمل فقد توقفت عند الجزء السادس عشر.

وكان لكتابة تفسير الطبري قصة حيث ذكر السبكي في طبقاته الكبرى: "أن أباجعفر قال لأصحابه: أتنشطون لكتابة تفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟

فقال: ثلاثون ألف ورقة، قالوا: تفنى الأعمار، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لكتابة التاريخ من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا كثير، فقال الطبري: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر كتاب التفسير.(١)

ثانياً – ثناء العلماء على تفسيره:

أجمع العلماء والباحثون في الشرق والغرب على أهمية تفسير الطبري وقيمته العلمية من ناحية أن له السبق الزمني فهو أول تفسير كامل للقرآن بالمأثور وصلنا، ومن ناحية الصناعة الفنية، فقال عنه أبوحامد الاسفراييني: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً"، واعتبره السيوطي من أجل التفاسير وأعظمها لأنه يتعرض لترجيح الأقوال والإعراب والاستنباط ويفوق تفاسير الأقدمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أمّا التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري فهو يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كالكلبي ومقاتل بن بكير".

وذكر صاحب لسان الميزان: "أن ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير الطبري من ابن خالويه، فرده بعد سنين، ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير".

وشهد النووي فقال: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري".(٢)

---

(١) انظر: علوم التفسير، ص ١٧٢ .

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٢٠٨ ، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، جـ ٢ ، ص ٤١٨ .

المطلب الثالث

(منهج الطبري في تفسيره)

إذا نظرنا في تفسير الطبري نظرة إمعان وتفحص بعقول مستنيرة نستطيع أن نلخص منهجه في التفسير في النقاط الآتية:

أولاً – إذا أراد أن يفسر آية كان يقول:

"القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا..." ثم يفسر ويستشهد بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين، وإذ وجد في الآية أكثر من قول يعرضها جميعاً، ولا يقتصر على مجرد الرواية، بل يتعرض لتوجيه الآراء وترجيح الراجح منها، ونجده يتعرض لتوجيه الإعراب إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ويستنبط الأحكام التي تؤخذ من الآية مع توجيه الأدلة وترجيح ما يراه مناسباً.

ثانياً – إنكاره على من يفسر بالرأي:

خاصم ابن جرير بقوة أصحاب الرأي المستقلين في تفسير القرآن ولا سيما عند تأويل الآيات التي تتحدث عن الصفات أو الآيات التي تتضمن بعض المعجزات أو بعض الأمور غير المألوفة، وأكد على الرجوع إلى المأثور عن الصحابة والتابعين ويعتبر ذلك هو التفسير الصحيح، وأنكر قول مجاهد بن جبر في الآية: **﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾**[1]، قال

---

(١) سورة البقرة، الآية ٦٥ .

مجاهد: مُسخت قلوبهم و لم يمسخوا قردة وقال: إنما هو مثل ضربه ا الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وعقّب ابن جرير على تفسير مجاهد فقال: "هذا القول مخالف لما دلَّ عليه كتاب ا الله تعالى".(١)

ثالثاً – التزامه بالإسناد في الرواية:

يذكر الطبري في تفسيره الروايات بأسانيدها لكنه لم يتعقب السند بتصحيح أو تضعيف إلا في القليل النادر، لأنه يعتقد أن من أسند فقد أوكل العهدة إلى غيره، وأحياناً يقف موقف الناقد البصير فيعدل ويجرح من رجال الإسناد ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها.

مثال: قال تعالى: **﴿فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سَدّاً﴾**(٢)، قال ابن جرير في تفسيرها أن هارون نقل عن أيوب عن عكرمة فقال: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّد بفتح السين، وما كان من صنع ا الله فهو السُّد بضم السين، ثم عقب على هذا السند فقال: فيه نظر. ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه.(٣)

رابعاً – موقفه من القراءات:

اعتنى ابن جرير بالقراءات وكان يرد القراءة الشاذة التي تقوم على أصول مضطربة، ولا تُعتمد عند علماء القراءات، مثال: قال تعالى: **﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾**.(٤)

---

(١) انظر: تفسير الطبري، مجلد ١ ، ص ٣٧٣ .

(٢) سورة الكهف، الآية ٩٤ .

(٣) التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٢١٣ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٨١ .

يذكر أن عامة القراء قرأوا: "الريحَ" بالنصب على أنها مفعول لفعل محذوف سخرنا، ولكن عبدالرحمن الأعرج قرأ "الريحُ" بالضم على أنها مبتدأ ثم عقّب ابن جرير فقال: والقراءة التي لا استجيز غيرها في ذلك ما عليه قُراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليها.[1]

خامساً – يأخذ بالإجماع ويعمل به :

يقدر ابن جرير إجماع العلماء ويعطيه سلطاناً كبيراً فيما يذهب إليه من التفسير، مثال: قال تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**﴾.[2]

يقول فإن قال قائل: أيُّ النكاحين عنى الله؟ الجماع أم العقد، كلاهما، قال: أجمعت الأمة أن النكاح هو العقد الذي يترتب عليه الدخول الحقيقي.[3]

سادساً – نظرته إلى الإسرائيليات :

ذكر الطبري في تفسيره أخباراً مأخوذة من القصص الإسرائيلي يرويها إلى كعب الأحبار أو وهب بن منبه وإلى ابن جريج وغيرهم، ويروي خبراً لأبي عتاب الذي كان نصرانياً فأسلم عن طريق ابن حميد قال: حدثنا سَلَمَة عن ابن إسحق عن أبي عتاب أن ذا القرنين هو مرزابا اليوناني بن يافث بن نوح عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض**﴾.[4]

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٢١٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٠ .

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، مجلد ٢ ، ص ٤٨٩ .

(٤) سورة الكهف، الآية ٩٤ .

نراه يكثر في تفسيره من الإسرائيليات لتأثره بالروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة ولاعتقاده أن من أسند فقد ترك النظر لغيره في تفقد الروايات وهذا لا يضر بقيمة تفسيره لأنه كان يذكر تلك الروايات بأسانيدها.

سابعاً – ابتعاده عما لا فائدة من ذكره :

لم يهتم بالأمور التي لا فائدة من ذكرها في التفسير فلم يخض في ألوان الأطعمة التي على مائدة عيسى -عليه السلام- عند قوله تعالى: ﴿**إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء**﴾،[١] وإنما اكتفى بأن قال كان عليها مأكول فهو غير نافع العلم به ولا ضار الجهل به وكذلك عند قوله تعالى: ﴿**وشروه بثمن بخس دراهم معدودة**﴾،[٢] يعرض تفسيرات تحدد عدد الدراهم ثم يُعقّب ويقول أن الله تعالى أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة و لم يحدد مقدار ذلك لأنه لا فائدة من الخوض في ذلك.

ثامناً – رجوعه إلى لغة العرب في التفسير:

إذا اختلفت الروايات في تفسير لفظ فكان يميل إلى ما هو معروف في لغة العرب، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور**﴾[٣] يذكر الروايات عن السلف في معنى التنور والتي تتمثل في الآتي:

١ – أن التنور عبارة عن وجه الأرض.

٢ – أنه عبارة عن تنوير الصبح.

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١٢ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٠ .

(٣) سورة هود، الآية ٤٠ .

٣ - أنه يقصد به الأرض المرتفعة المشرفة على غيرها.

٤ - التنور هو ما يخبز فيه.

ثم يُرجّح الرأي الأخير فيقول وأولى الأقوال عندنا أن التنور هو الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب.(١)

تاسعاً - رجوعه إلى الشعر العربي :

سلك ابن جرير في تفسيره منهج ابن عباس في الرجوع إلى الشعر فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾(٢)، يقول أبوجعفر الأنداد: جمع نِدّ والنّد: العِدْل والمِثل، واستشهد ببيت من الشعر لحسان ابن ثابت:

أتهجوه ولستَ له بندّ فشرّكُمَا لخيركما الفداءُ(٣)

عاشراً - اهتمامه بالمذاهب النحوية:

كان يتعرض لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف ويوجه الأقوال ويرجح ما يراه مناسباً دون التعصب إلى إحدى المدرستين، والاهتمام بالجانب اللغوي كان وسيلة للتفسير لكي يوفق بين ما جاء من السلف وبين المعارف اللغوية.

حادي عشر - دقته في استنباط الأحكام الشرعية:

عالج الطبري في تفسيره أقوال ومذاهب الفقهاء وكان يخلص برأي يختاره لنفسه ويأتي بالأدلة العلمية القيمة لما يراه صحيحاً ومناسبا.(٤)

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، جـ ١ ، ص ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢ .

(٣) تفسير الطبري، مجلد ١ ، ص ١٩٨ .

(٤) انظر: تفسير الطبري، مجلد ٧، ص ٥٦٣، ٥٦٤ .

(الباب الثاني)

(التفسير بالرأي واتجاهاته وكتبه)

ويتكون من الفصلين الآتيين :

الفصل الأول : التفسير بالرأي

المبحث الأول : تعريف التفسير بالرأي وحكمه وأقسامه

المبحث الثاني : شروط المفسر بالرأي ومصادره وآدابه

المبحث الثالث : منهج التفسير بالرأي ومتجنباته وتعارضه مع المأثور

الفصل الثاني : أهم اتجاهات التفسير بالرأي وكتبها

المبحث الأول

(تعريف التفسير بالرأي وحكمه وأقسامه)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

(تعريف التفسير بالرأي الجائز)

أولاً : التعريف :

التفسير بالرأي الجائز هو : أن يجتهد المفسر في بيان معنى القرآن بما علم لغة وشرعاً ، إذا تحققت فيه شروط التفسير .

ثانياً : شرح التعريف :

- يطلق **(الرأي)** على معانٍ كثيرة ؛ منها : الاعتقاد ، والاجتهاد ، والقياس ، ومنه قيل للحنفية : أصحاب الرأي ؛ أي أصحاب القياس (١) .

ومن الواضح أن المراد بالتفسير بالرأي هو التفسير بالاجتهاد لا بالاعتقاد ، ولا بالقياس .

- وكلمة : **(الجائز)** : قيدٌ في التعريف أخرج التفسير المذموم غير الجائز ، لأن صاحبه لا يتمتع بأهلية التفسير ؛ بل يعتمد على الهوى، والظن دون علم .

وهذا التفسير مذموم غير مباح لقوله - تعالى - : ﴿ **... ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ (٢) ، ولقول رسوله - ﷺ - :

---

(١) انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٣٣١/٤ ، ٣٣٢ . (٢) لقمان/ ٢٠ والحج/٨ .

(من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار) [1] .

- والمراد بقولنا : (**أن يجتهد المفسر**) : أي : الاجتهاد المُخلص المحمود الذي يستفرغ فيه المفسر جهده ووسعه وطاقته العقلية والعلمية ، والذي يعتمد فيه على فهمه واستنباطه الخاص .

- والمقصود : (**بما علم لغةً**) : أي : يستعين المفسر بالرأي في تفسيره بقواعد اللغة العربية ، وأساليب بيانها ، ودلالة ألفاظها ، وشواهدها من الشعر الجاهلي وما إلى ذلك .

- والمقصود : (**بما علم شرعاً**) : أي : أن لا يخالف المفسر بالرأي تفسيراً صح عن النبي - ﷺ - ، أو عن الصحابة - رضي الله عنهم - أو أجمع عليه التابعون - رحمهم الله - ، أو ينافى مع ما صح من أسباب النزول ، أو يتناقض مع ما ثبتت صحته من الناسخ والمنسوخ ، أو يتعارض عمومه مع الإسلام وروح الشريعة ، سواء كان في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق ... إلخ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك ؛ بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه ... ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه ، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله - ﷺ -" [2] .

---

(١) سنن الترمذي . كتاب ٤٨ (تفسير القرآن) باب ١ (ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه) ١٨٣/٥ (٢٩٥٠) قال عنه الترمذي "هذا حديث حسن صحيح" .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣ ، ٣٦٢

ويؤيد هذا قوله – ﷺ – : **(خير الناس قرني [1] ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)** [2] .

– المراد بقولنا : (إذا تحققت فيه شروط التفسير) : أي : تتوفر في المفسر بالرأي الشروط العلمية المطلوبة وأهمها : العلم : باللغة والبلاغة ، وبالقراءات ، وبعلوم القرآن ، وبالسنة ، وبأصول الدين والعقيدة ، وبالفقه وأصوله ، وبعلوم الدنيا المطلوبة .

وكذا الشروط العقلية : بأن يكون عاقلاً ، ذكياً ، حليماً ، موهوباً .

وكذلك الشروط الدينية والخلقية : بأن يكون ملتزماً عقيدة السلف وما كانوا عليه ، مؤدياً للفرائض ، مجتهداً في السنن ، مجتنباً للمعاصي ، متجرداً عن الهوى ، زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، مخلصاً وتقياً لله [3] .

---

(١) اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه – ﷺ – . واختلف في المراد بالقرن . والصحيح أن قرنه الصحابة ، والثاني التابعون والثالث تابعوهم .

(٢) صحيح مسلم . كتاب ٤٤ (فضائل الصحابة) باب ٥٢ (فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ...) ١٩٦٣/٤ حديث (٢٥٣٣) .

(٣) سيأتي الحديث مفصلاً عن ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل .

المطلب الثاني

(حكم التفسير بالرأي)

اختلف العلماء في حكم تفسير القرآن بالرأي إلى قولين ، وتفصيل المسألة وتحقيق الخلاف فيها ونتيجته كما يلي :

أولاً : القول الأول : تحريم تفسير القرآن بالرأي مطلقاً :

ذهب فريق من العلماء إلى حظر تفسير القرآن بالرأي وتحريمه وإن كان المفسِّر عالماً باللغة والدين ، وأوجبوا عليه أن لا يتجاوز تفسير النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - ، ومن أخذ عنهم من التابعين - رحمهم الله - وأن ينتهي إلى ذلك ويتوقف عنده .

وقد استدلوا على ذلك بأدلة من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية ، ومن أقوال السلف من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين - رحمهم الله - ، وتفصيل أدلتهم كما يلي :

أ) أدلتهم من القرآن الكريم :

١- استدلوا بقوله - جل ثناؤه - : ﴿ ... **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ (١) .

ووجه دلالتهم أن الله - تعالى - أضاف البيان لنبيه - ﷺ - فقط ، فعُلم أنه ليس لغيره شيءٌ من ذلك ، إلا أن ينقل ما صحَّ عنه - ﷺ - .

---

(١) النحل / ٤٤ .

٢- قالوا : إن المفسر بالرأي لا يستطيع أن يقطع أو يجزم أنه أصاب مُراد الله ، وغاية جهده أن يقول بالظن ، والقول بالظن قول على الله بغير علمٍ ، وهذا منهيٌّ عنه في قوله - تعالى - : ﴿ ... **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ (١) ، وقوله - تبارك وتعالى - : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علمٌ** ... ﴾ (٢) .

ب) أدلتهم من السنة النبوية :

استدلوا بالأحاديث النبوية الشريفة التي يدل ظاهرها على تحريم القول في القرآن بالرأي ، بل وتنص على الوعيد الشديد لمن تجرأ على ذلك ، ومنها :

١- ما رواه الترمذي بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، عن النبي - ﷺ - قال : (**اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن (٣) .

٢- وما رواه الترمذي وأبو داود عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - : (**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**) (٤) .

٣- وما رواه الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح (٥) .

---

(١) الأعراف / ٣٣ . (٢) الإسراء / ٣٦ . (٣) سنن الترمذي . كتاب ٤٨ (تفسير القرآن) باب ١ (ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه) ١٨٣/٥ حديث (٢٩٥١) .

(٤) المرجع السابق . ونفس الكتاب والباب ١٨٣/٥ ، ١٨٤ حديث (٢٩٥٢) . وسنن أبي داود . كتاب (العلم) باب (الكلام في كتاب الله بغير علم) ٣/ ٣٢٤ حديث (٣٦٥٢) .

(٥) سبق تخريجه صفحة / ١٠٨ .

ج) أدلتهم من أقوال السلف :

واستدلوا بالآثار الكثيرة الواردة عن السلف الصالح من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين - رحمهم الله - التي تدل على أنهم كانوا يعظمون القول في تفسير القرآن ، ويتحرجون منه ، بل ويمتنعون عنه ، ومن ذلك :

١- ما روي عن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر الصديق في تفسير حرف من القرآن فقال : "أي سماء تظلني ، وأي أرضٍ تقلني ، وأين أذهب ، وكيف أصنع إذا قلت في حرفٍ من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى ؟" .

٢- وما أخرج أبو عبيد بن سلام بسنده عن إبراهيم التيمي : "أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - سُئل عن الأبّ في قوله - تعالى - : ﴿ **وفاكهة وأباً** ﴾ [1] فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرضٍ تقلني إذا قلتُ في كلام الله ما لا أعلم" .

٣- وما روى الطبري بسنده عن أنس قال : "قرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ﴿ **عبس وتولى** ﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿ **وفاكهة وأباً** ﴾ [2] قال : قد عرفنا الفاكهة ، فما الأب ؟ قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف" [3] .

٤- وما روي عن يحيى عن سعيد بن المسيب "أنه كان إذا سُئل عن تفسير آيةٍ من القرآن قال : "إنا لا نقول في القرآن شيئاً" . وورد عنه : "أنه كان إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم ، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئاً"

٥- وما رواه أبو عبيد بسنده عن الشعبي عن مسروق قال : "اتقوا التفسير ؛ فإنما هو الرواية عن الله" .

وما روي عن الشعبي أنه قال : "ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأي" .

---

(١) عبس / ٣١ .   (٢) عبس / ٣١ .   (٣) جامع البيان ٣/٥٩ .

٦- وما رواه ابن جرير بسنده عن عبيد الله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم : سالم بن عبد الله ،والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

٧- وروي ابن مجاهد أن رجلاً قال لأبيه مجاهد : أنت الذي تفسر القرآن برأيك ؟ فبكى مجاهد ثم قال : إني إذاً لجريء ، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي - ﷺ - ورضي الله عنهم - .

٨- وكان الأصمعي الإمام في اللغة البحر في العلم إذا سئل عن تفسير الكتاب أو السنة يقول : "العرب تقول : معنى هذا كذا ، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو" .

ثانياً : القول الثاني : جواز تفسير القرآن بالرأي بشروط :

ذهب فريق آخر من العلماء إلى جواز تفسير القرآن بالرأي لمن توفرت فيه شروط معينة ، واستدلوا على قولهم بأدلة من القرآن ، والسنة ، وآثار السلف ، والمعقول ، إضافة إلى ردِّهم على أدلة الفريق الأول . وتفصيل ذلك كما يلي :

أ - أدلتهم من القرآن الكريم :

استدلوا بآيات قرآنية كثيرة ؛ منها :

١- قوله - جل ثناؤه - : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [(١)] ، وقوله : ﴿ **كتابٌ أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ [(٢)] .

فالله - سبحانه - يحث على تدبر آيات القرآن الكريم لفهم معانيها ، ولمعرفة

---

(١) محمد / ٢٤ . (٢) ص / ٢٩ .

مقاصدها ، ولاستنباط أحكامها ، ولاستخلاص الدروس والعبر منها . إلخ "ولا يكون التدبر إلا بالتأمل الذي يعتمد على الفهم وإعمال الفكر والاجتهاد ، وبذلك يكون القرآن نفسه أمراً بالتفسير بالرأي ؛ فتدبر القرآن متوقف على فهمه ، ولا نستطيع أن نفهم الآيات التي لم يرد في شرحها أثرٌ أو حديثٌ إلا بأن نجتهد في تفسيرها ضمن الشروط التي نص العلماء على ضرورة توافرها" [1] .

٢- وقوله - تعالى ذكره - : ﴿ ... **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ... ﴾ [2] . قالوا : إن الله - تبارك وتعالى - ... أثبت لأهل العلم استنباطاً ، ومن البدهي أن الاستنباط يأتي وراء السماع ، ومن هنا يتعين أن يكون هناك فهم للقرآن لكل إنسان مستكمل لأدوات الاستنباط أن يستنبط منه بقدر فهمه وسعة إدراكه" [3] .

٣- وقوله - عز وجل - : ﴿ ... **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ... ﴾ [4] . "فقال المفسرون : إن الحكمة المقصودة في هذه الآية هي فهم القرآن ، وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - اعتبر فهم القرآن خيراً ، فإن على القادر على إدراك هذه الحكمة أن يحاول نيلها ، ليناله الخير الكثير" [5] .

ب - أدلتهم من السنة النبوية :

استدلوا بأن النبي - ﷺ - دعا لابن عباس - رضي الله عنهما - فقال : (**اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل**) [6] . "فلو كان التأويل مقصوراً على

---

(١) لمحات في علوم القرآن ومناهج المفسرين . د. محمد الصباغ / ١٩٦ .

(٢) النساء / ٨٣ .   (٣) مباحث في علوم القرآن . للقطان / ٢٩٢ .

(٤) البقرة / ٢٦٩ .   (٥) دراسات في التفسير ورجاله . للجبوري / ٥ .

(٦) سبق تخريجه ص / ٥٣ .

السماع والنقل كالتنزيل ، لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعـاء . فدل ذلك على أن التأويل الذي دعا به الرسول - ﷺ - لابن عباس أمر آخر وراء النقل والسماع . ذلك هو التفسير بالرأي والاجتهاد ، وهذا بيِّن لا إشكال فيه" [١] .

ج - أدلتهم من أفعال الصحابة :

إن الصحابة - رضي الله عنهم - فسروا كثيراً من آيات القرآن الكريـم ، فاتفقوا في معنى بعضٍ منها ، واختلفوا في البعض الآخر ، فلو سمعوا كل تفسيره من النبي - ﷺ - لما اختلفوا في النقل عنه لعدالتهم وصدقهم ، فـدل ذلـك علـى أنهـم سمعوا بعضاً اتفقوا عليه ، واجتهدوا بعلمهم ورأيهم في البعض الآخر الذي اختلفـوا في أشياء منه أحياناً . فلو كان الاجتهاد في تفسير القـرآن محرمـاً لمـا فعلـه الصحابـة الأعلم بأحكام الله ، والأتقى له ، والأورع في الدين .

ومثال ذلك قوله - تعالى - : ﴿ **والعاديات ضبحـاً** ﴾ [٢] ، فقـد فسـرها ابن عباس بخيل المجاهدين ، بينما فسرها علي بن أبي طالب وابن مسعود - رضـي الله عنهـم - بإبل الحُجَّاج من عرفة إلى مزدلفة [٣]

د - أدلتهم من المعقول :

لو كان الاجتهاد بالرأي في التفسير غير جـائز لمـا كـان الاجتهـاد جـائزاً ، ولتعطلت نتيجة ذلك كثيرٌ من الأحكام ، وهذا في غاية البطلان لأن باب الاجتهـاد مفتوح إلى يوم القيامة ، والمجتهد في الإسلام مأجور أصاب أو أخطأ ، مما يدل علـى

---

(١) التفسير والمفسرون . للذهبي ٢٦٣/١ . (٢) العاديات / ١ . (٣) انظر : جامع البيان . للطبري ٢٧٢/٣٠ ، ٢٧٣ . والدر المنثور . للسيوطي ٦٠٠/٨ ، ٦٠١ .

جواز الاجتهاد بالرأي في تفسير ما لم يفسره النبي - ﷺ - ، وفي استنباط ما لم يستخرجه لنا من أحكام وعبر وعلوم من آيات القرآن .

هـ - ردودهم على أدلة المانعين :

(أولها) ردهم على استدلالهم بالقرآن :

١- قالوا : إنه لا تعارض بين قوله - تعالى - : ﴿ ... **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ... ﴾ [١] وبين التفسير بالرأي ؛ لأن ما بينه وفسره النبي - ﷺ - كافٍ عن كل تفسير ، وما لم يبينه ولم يفسره ففيه مجال الاجتهاد للمفسرين المؤهلين الأكفاء ليبينوه ويستخرجوا كنوزه ، وليستدلوا بما بينه ﷺ على ما لم يبينه ، والله - جل ثناؤه - ختم الآية الكريمة بقوله : ﴿ **ولعلهم يتفكرون** ﴾ .

٢- قالوا إن التفسير بالرأي ليس ظناً ، وقولاً على الله بغير علم ؛ بل هو اجتهاد محمود بإعمال العقل ضمن شروط علمية وعقلية ودينية [٢] قوية لفهم كتاب الله .

وقد أجاز النبي - ﷺ - ذلك عندما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال : (**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء**) ؟ قال : أقضي بكتاب الله ، قال : (**فإن لم تجد في كتاب الله**) ؟ قال : فبسنة رسول الله - ﷺ - ، قال : (**فإن لم تجد في سنة رسول الله - ﷺ - ولا في كتاب الله**) ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلوا . فضرب رسول الله - ﷺ - صدره وقال : (**الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله**) [٣] ، بل وأجزل الله - جل ثناؤه - الثواب للمجتهد ،

---

(١) النحل / ٤٤ . (٢) سيأتي تفصيل الحديث عن هذه الشروط في المبحث الثاني من هذا الفصل . (٣) سنن أبي داود . كتاب (الأقضية) ، باب (اجتهاد الرأي في القضاء) ٣٠٣/٣ حديث (٣٥٩٢) . وسنن الترمذي . كتاب ١٣ (الأحكام) باب ٣ (ما جاء في القاضي كيف يحكم) ٦١٦/٣ حديث (١٣٢٧) .

فقال رسول الله - ﷺ - : (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجرٌ**) [1] .

(ثانيها) ردهم على استدلالهم بالسنة :

أجاب المجيزون للتفسير بالرأي عن أدلة السنة للمانعين له بأجوبة عديدة ، تفصيلها كما يلي :

١- إن النهي في هذه الأحاديث محمول على من قال برأيه في مشكل القرآن ومتشابهه ، مما لا يعلم إلا عن طريق النقل عن النبي - ﷺ - وصحبه - رضي الله عنهم - .

٢- إن المقصود بالرأي في الأحاديث هو القائم على غير دليل وبرهان ، والذي يغلب على صاحبه اتباعه لهواه ، ولو كان الحق في غير جانبه . وأما الرأي القائم على العلم والدليل والبرهان فجائز .

٣- إن النهي محمول على من يقول في القرآن بظاهر العربية ، من غير أن يرجع إلى تفسير النبي - ﷺ - للقرآن ، وإلى سننه المبينة لكتاب الله ، وإلى آثار أصحابه - رضي الله عنهم - الذين عاصروا الوحي وشاهدوا التنزيل .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . كتاب ٩٦ (الاعتصام) باب ٢١ (أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب) حديث (٢٥٩٣) . وصحيح مسلم . كتاب ٣٠ (الأقضية) باب ٦ (بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ...) ١٣٤٢/٣ حديث (١٧١٦) . وسنن أبي داود . كتاب (الأقضية) باب (في القاضي المخطئ) ٢٩٩/٣ حديث (٣٥٧٤) . وسنن الترمذي . كتاب ١٣ (الأحكام) باب ٢ (ما جاء في القاضي يصيب ويخطئ) ٦١٥/٣ حديث (١٣٢٦) قال الترمذي : "حديث حسن غريب" .

"فمثلاً قوله – تعالى – : ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها ﴾ [1] معناه : وآتينا ثمود الناقة معجزة واضحة ، وآية بينةً على صدق رسالته ، فظلموا بعقرها أنفسهم ، ولكن الواقف عند ظاهر العربية وحدها بدون أن يستظهر بشيء مما تقدم ، يظن أن مبصرة من الإبصار بالعين ، وهو حال من الناقة ، ووصف لها في المعنى ، ولا يدري بعد ذلك بما ظلموا ولا من ظلموا" [2] .

٤- إن حديث جندب لم تثبت صحته ، بل هو ضعيف لا يحتج به ، لأن سهيل بن أبي حزم أحد رواته ضعَّفه بعض أهل الحديث منهم : البخاري والنسائي والإمام أحمد ، وأبو حاتم ، وابن معين [3] . والترمذي نفسه يقول بعد روايته لهذا الحديث : وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم .

٥- إن "الناظر في الحديث [الأخير] يرى أن الاستدلال فيه ليس في محله ؛ لأن الحديث يتوعد من قال في القرآن بغير علم ، والذي يتكلم في التفسير دون أن يستكمل أدواته من معرفة باللغة العربية إلى علم بأساليبها وبالبيان والبديع ، وبمعرفة للمأثور عن الرسول – ﷺ – فإنه يقول بغير علم ، أما من علم ذلك كله فإنه لم يقل بالقرآن بغير علم لذا خرج من الوعيد" [4] .

(ثالثها) ردهم على استدلالهم بأقوال السلف :

أجاب المجيزون للتفسير بالرأي على آثار السلف التي استدل بها المانعون ...

---

(١) الإسراء . من الآية / ٥٩ . (٢) التفسير والمفسرون . للذهبي ٢٥٩/١ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال ٤٣٢/١ . وتهذيب التهذيب ٢٦١/٤ .

(٤) لمحات في علوم القرآن . للصباغ / ٢ .

بأجوبة عديدة ، تفصيلها كما يلي :

١- إن إحجامهم عن التفسير بالرأي كان ورعاً منهم ، واحتياطاً لأنفسهم ، خشية عدم إصابة الحق بالقول على الله ، لأنهم كانوا يرون التفسير شهادة على الله أنه عنى كذا وكذا . ويدل على ذلك قول أبي بكر - رضي الله عنه - ، وقول مسروق ، وقول الأصمعي .

٢- إن من إحجامهم ما كان مقيداً بما لم يعلموا وجه تفسيره وتأويله ، وأما ما عرفوا تفسيره فكان منهم من لا يتحرج في بيانه للناس ، ولو بطريق غلبة الظن . يدل على ذلك ما رواه الطبري بسنده عن الشعبي قال : "قال أبو بكر - رضي الله عنه - : إني قد رأيت في الكلالة [1] رأياً ، فإن كن صواباً فمن الله وحده لا شريك له ، وإن يكن خطأ فمني والشيطان والله منه بريء ، إن الكلالة : ما خلا الولد والوالد" [2] .

٣- إن منهم من أحجم عن التفسير فلم يقدم عليه ، لأنه يرى أنه لا يتعين عليه ، لوجود الأعلم الذي يقوم بذلك ويجيب السائل ، وإلا لكانوا كاتمين للعلم الذي أمرهم الله - جل ثناؤه - ببيانه للناس في قوله : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ ... **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ... ﴾ [4] . ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن مرة قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية

---

(١) قال الطبري : "والصواب ... أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده وذلك لصحة الخبر الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال قلت يا رسول الله إنما يرثني كلالة ، فكيف بالميراث" جامع البيان ٤/٢٨٦ .

(٢) جامع البيان ٤/٢٨٣ ، ٢٨٤ . (٣) البقرة / ١٥٩ . (٤) آل عمران / ١٨٧ .

من القرآن فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء ؛ يعني عكرمة" .

قال السيوطي : "إلا أن المدقق في هذه الأخبار وغيرها مما روي عن الصحابة الكرام يجد أنها لا تدل على منع التفسير بالرأي طالما اجتمعت كل الأمور التي يحتاج المفسر للقرآن بالرأي ، بل غاية ما تدل عليه هذه الأخبار أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلف في التفسير ؛ بل يقول ما يعلمه ، وإذا لم يعلمه لا يفسره بهواه" [(١)]

ج) حقيقة الخلاف والرأي الراجح :

بعد البحث والتدقيق والتقصي والنظر في قولي الفريقين وأدلتهم ، وردود الفريق المجيز على أدلة الفريق المانع يصل الباحث إلى الخلاصة التي تمثل المحجة البيضاء ، والراجح من ذلك كله ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١- تحريم التفسير بالرأي الجائز والاقتصار على المأثور غلوٌ مذموم :

إن تحريم التفسير بالرأي بشروط وضوابط معينة ، والاقتصار في التفسير فقط على المسموع والمنقول عن النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - ومن أخذ عنهم من التابعين - رحمهم الله تعالى - ، يعتبر غلواً مذموماً وجموداً وتقصيراً وتفريطاً ، وتضييعاً وتفويتاً لكثير من الخير الذي جاء به القرآن الكريم .

وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني : "فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه" [(٢)] ، ويقول حجة الإسلام الغزالي : "إن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ، ومتسعاً بالغاً ، وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه" [(٣)] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١٨٢/٢ ، ١٨٢ . (٢) مقدمة في التفسير . للراغب / ٤٢٣ .

(٣) إحياء علوم الدين ١٣٦/٣ .

٢- تحريم التفسير بمجرد الرأي :

إن تفسير القرآن بمجرد الرأي والهوى ، أو فتح بابه لكل واحد دون ضوابط وشروط وقيود معينة ومحددة ، يعتبر غلواً وتجاوزاً وإفراطاً يؤدي إلى التخبط والانحراف والجهل والضلال ، وهذا مرفوض ومذموم وحرام .

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام" [(١)] ، واستدل على فتواه بالأحاديث والآثار التي استدل بها الفريق الأول ، واعتبر أن المقصود بها الرأي القائم على الهوى والظن والجهل ؛ أي من غير علم .

وقال الراغب الأصفهاني : "ومن أجاز لكل أحدٍ الخوض فيه فقد عرضه للتخليط ، ولم يعتبر حقيقة قوله - تعالى - : ﴿ **ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [(٢)]" [(٣)] .

وقال الطبري : "وهذه الأخبار شاهدة على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله - ﷺ - أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه ..." [(٤)] .

٣- إمكان الجمع والتوفيق بين القولين :

"يمكن أن يجعل الخلاف لفظياً بأن يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي على التفسير بالرأي المستوفي لشروطه ... فإنه حينئذ يكون موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وكلام العرب ، وهذا جائز ، ليس بمذموم ولا منهي عنه . ثم يحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي على ما فقدت شروطه السابقة ، فإنه يكون حينئذ مخالفاً للأدلة الشرعية واللغة العربية ، وهذا غير جائز ؛ بل هو محط النهي

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٣٧٠ .
(٢) ص . من الآية / ٢٩ .
(٣) مقدمة ي التفسير ٤٢٣ .
(٤) جامع البيان ١/٧٨ .

ومصبُّ الذم . وعليه يحمل كلام ابن مسعود إذ قال : ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع وإياكم والتقطُّع ، وكذلك يحمل قول عمر أيضاً : إنما أخاف عليك رجلين رجلاً يتأول القرآن على غير تأويله ، ورجلاً ينافس الملك على أخيه ، وقول عمر أيضاً : ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ، ولا من فاسق بيِّن فسقه ، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوَّله على غير تأويله" (١) .

٤- الترجيح :

إن تفسير القرآن بالرأي لمن استوفى شروطه واستكمل أدواته ضمن شروط وضوابط وقيود محددة أمرٌ جائزٌ ؛ بل هو ممدوح ومحمود ، وصاحبه مأجور إن شاء الله - تعالى - .

قال شيح الإسلام ابن تيمية في ذلك : "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به . فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ (٢) ، ولما جاء في الحديث المروي من طرق : (**من**

---

(١) مناهل العرفان . للزرقاني ٥٨/٢ ، ٥٩ .   (٢) آل عمران . من الآية ١٨٧ .

(٣) سنن أبي داود . كتاب (العلم) باب (كراهية منع العلم) ٣٢١/٣ حديث (٣٦٥٨) . =

سئل عن علمٍ فكتمه ، أُلْجِم يوم القيام بلجامٍ من نـار) [٣] وقـال ابـن جريـر ... عن أبي الزناد قال : قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العـرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحـدٌ بجهالتـه ، وتفسير يعلمـه العلمـاء ، وتفسـير لا يعلمه إلا الله" [١] . [٢]

= وسنن الترمذي . كتاب ٤٢ (العلـم) بـاب ٣ (مـا جـاء في كتمـان العلـم) ٥/٢٩ حديث (٢٦٤٩) قال عنه الترمذي : "حديث حسن" . وسنن ابن ماجة . بـاب ٢٤ (مـن سـئل عـن علم فكتمه) ١/٩٧ حديث (٢٦٤) . وصححه ابن حبان (٩٠) .

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢) رجعنا في هذا المطلـب إلى المراجـع الآتيـة : منـاهل العرفـان في علـوم القـرآن . للزرقـاني ٢/٤٩ وما بعدها . والتفسير والمفسرون . للذهبي ١/٢٥٥ وما بعدها . ومجموع فتاوى أحمـد ابن تيمية ١٣/٣٦٣ وما بعدها . ولمحات في علوم القرآن ومناهج المفسرين . للصبـاغ / ١٩٦ وما بعدها . ودراسات في التفسير ورجاله . لابن اليقظان عطية الجبوري / ٤٢ ومـا بعدهـا . ومباحث في علوم القرآن . لمناع القطان / ٣٦٢ وما بعدها .

المطلب الثالث

(أقسام التفسير بالرأي)

بناء على ما تقدم يتضح لنا ن التفسير بالرأي عموماً ينقسم إلى قسمين :

أولاً : التفسير الممدوح الجائز

إذا تحققت في المفسر شروط التفسير ، وتوفرت له أدواته ، ضمن ضوابط وقيود معينة ومحددة ، وبذل جهده واجتهاده ، وأعمل عقله وبصيرته ، كان تفسيره جائزاً محموداً ، يؤخذ منه ويرد عليه ، فما أصاب فيه الحق فله أجران ، وما أخطأ فيه فله أجر واحد ، قال رسول الله - ﷺ - : (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجرٌ**) [1] .

ثانياً : التفسير المذموم غير الجائز :

إذا لم تتوفر في المفسر الشروط المطلوبة التي تؤهله للتفسير [2] واعتمد في تفسيره على مجرد الرأي المستند على الجهل والهوى بعيداً عن العلم ، فتفسيره باطل مذموم غير محمود ، وعليه إثم ما فعل ووزره لقوله - تعالى - : ﴿ .. **ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير** ﴾ [3] ، ولقول رسول - ﷺ - : (**من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار**) [4]

---

(١) سبق تخريجه ص / ١١١ . (٢) سيرد الحديث مفصلاً عن هذه الشروط في المبحث التالي .

(٣) لقمان / ٢٠ والحج / ٨ . (٤) سبق تخريجه ص / ١٠٨ .

المبحث الثاني

(شروط المفسر بالرأي ومصادره آدابه)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

(شروط المفسر بالرأي)

ذهب العلماء إلى أنه لا يجوز للمفسر أن يفسر القرآن برأيه إلا إذا توفرت فيه جملة من الشروط ، ويمكن تقسيم هذه الشروط إلى ثلاثة أقسام ، والتفصيل كما يلي :

أولاً : شروط علمية :

اشترط العلماء جملة من العلوم يجب توفرها في مفسر القرآن بالرأي ، واعتبروها بمثابة أدوات تعينه على تفسير القرآن بالرأي تفسيراً معقولاً ومقبولاً بعيداً عن الزلل والخطأ والتقول على الله ، وتفصيل الحديث عن هذه العلوم كما يلي :

أ) علوم العربية :

يجب على المفسر بالرأي أن يعلم من العربية العلوم الآتية :

١- علم اللغة :

له أهمية كبيرة وبالغة ؛ إذ يستحيل على من لا يعرف لغة العرب أن يفسر القرآن الكريم الذين نزل بلسانهم . قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ (١) ، وقال مجاهد : "لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم

---

(١) يوسف / ٢ .

الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغة العرب" (١) .

وثمرة علم اللغة تتمثل في معرفة معاني المفردات ، وفهم حقائق الألفاظ ، وشرح مدلولاتها بحسب الوضع .

وطريقة تحصيله ومعرفته واستخدامه تكون باتباع الآتي :

١- التوسع والتبحر في ذلك ؛ لأن اليسير لا يكفي ، فربما كان اللفظ العربي له أكثر من معنى ، والمفسر يعلم معنىً واحداً منها ، والمراد من اللفظ القرآني معنىً آخر .

٢- الاطلاع على معاني المفردات زمن تنزيل القرآن ، لأن هذا يعين على تحديد المعنى المراد للكلمة .

٣- معرفة المترادف والمشترك وما إلى ذلك من أنواع اللغة .

٤- الأفضل أن يفهم معنى اللفظ من القرآن نفسه ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وذلك باستقصاء المعاني التي دل عليها هذا اللفظ في آيات القرآن ، ثم يختار المعنى المنسجم مع جملة الآية ، وذلك بموافقته للقول السابق واللاحق ، واتفاقه مع جملة المعنى ، وائتلافه مع المقصد الذي جاء له الكتاب بجملته ، وقد قالوا : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً .

ومثال ذلك قوله - تعالى - في قصة أصحاب الجنة : ﴿ **فأصبحت كالصريم** ﴾ (٢) ، فهذه الكلمة لها عدة معاني ، قال الشوكاني : " أي كالشيء الذي صرمت ثماره : أي قطعت . . وقال الفراء : كالصريم كالليل المظلم .. والصريم الرماد بلغة خزيمة . وقال الأخفش : أي كالصبح انصرم من الليل ، يعني أنها يبست وابيضت ... وقال المؤرج : الصريم : الرملة لأنها لا يثبت عليها شيء ينتفع به ..." (٣) .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/١٨١ . (٢) القلم / ٢٠ . (٣) فتح القدير ٥/ ٢٧ ، ٢٧٢ .

وبالرجوع إلى القرآن نجد هذا اللفظ ذكر في آيتين أخريين وفي نفس السورة وهو قوله تعالى : ﴿ ... **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** ﴾ [1] أي : ليقطعنها ، وقوله : ﴿ **أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ [2] أي : قاطعين لثماركم [3] .

وباستعانة المفسر بما ذكر يستطيع أن يفهم المعنى المراد من لفظ ﴿ **كالصريم** ﴾ .

٢- علم النحو :

لابد من اعتباره في التفسير ؛ لأن فهم المعنى يتوقف أحياناً كثيرة على معرفة الإعراب ؛ إذ قد يتغير المعنى ويختلف باختلاف الإعراب ، ويقع المتصدرون للتفسير وهم يجهلون هذا العلم في أغلاط شنيعة ، فقد أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ، ويقيم بها قراءته ، فقال : "حسن فتعلمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فَيَعْيَ بوجهها فيهلك فيها" .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ... **أنَّ الله بريءٌ مِنَ المشركينَ ورسولُه** ... ﴾ [4] ، فلو أبدل ضمة لام ﴿ **رسولُه** ﴾ بكسرة لكان المعنى باطلاً ، ولكفر من اعتقده .

٣- علم الصرف :

وبواسطته تعرف الأبنية والصيغ ، وتتضح معاني الكلمات المبهمة إذا صرفت بمصادرها ، والجهل بهذا العلم يؤدي إلى أخطاء فاحشة غير مقبولة .

---

(١) القلم / ١٧ .   (٢) القلم / ٢٢ .   (٣) فتح القدير ٥/٢٧١ .   (٤) التوبة / ٣ .

ومثال على ذلك ما ذكر السيوطي عن الزمخشري أن من بدع التفاسير قول من قال : إن الإمام في قوله – تعالى – : ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ [1] جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم ، والحكمة من ذلك رعاية حق عيسى – عليه السلام – وإظهار شرف الحسن والحسين ، وألا يفضح أولاد الزنى ، وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف ، فإن أماً لا تجمع على إمام [2] . والأُمّ : الوالدة تجمع على (أُمَّات) ، وأصل الأم : أُمَّهَةٌ ولذلك تجمع على (أُمَّهات) [3] .

٤– علم الاشتقاق :

إن العلم بالاشتقاق يعين على الفهم الدقيق لمعنى الآية ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين فإن المعنى يختلف باختلافهما ، ولذلك فإن معرفة المعنى في مثل هذه الحالة يتوقف على معرفة المادة التي اشتق منها اللفظ

ومثال على ذلك لفظ (المسح) المتكرر كثيراً في القرآن ؛ هل هو مشتق من السياحة أم من المسح ؟

ولفظ (تستأنسوا) المذكور في قوله – تعالى – : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ...** ﴾ [4] هل مشتق من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستخبار والاستكشاف كما ذهب الخليل وغيره ، أم من الاستئناس المأخوذ من أنس وهو خلاف الاستيحاش كما ذهب الطبري ، أم من الإنس : وهو أن يتعرف هل ثم إنسان أم لا ، أم المعنى مجازي وهو : الاستئذان كما قال جماعة من المفسرين منهم ابن عباس – رضي الله عنهما – [5] .

---

(١) الأسراء . من الآية / ٧١ .
(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ١٨١/٢ . والكشاف . للزمخشري / .
(٣) مختار الصحاح . للرازي / ٢٥ .
(٤) النور / ٢٧ .
(٥) فتح القدير . للشوكاني ١٩/٤ ، ٢٠ .

٥- علم البلاغة والأدب :

إن هذه العلوم مهمة للمفسر وضرورية ؛ لأن البلاغة والتذوق الأدبي يعين على فهم آيات القرآن ، وإبراز الجمال الفني فيها وتحليلها ، وهو ما يقتضيه الإعجاز الذي لابد من مراعاته ، وهذا لا يتم إلا بمعرفة أوضاع اللغة وأسرارها وأساليبها من إيجاز وإطناب وظهور واستتار ... إلخ ، وخاصة العلوم التالية ، قال الزمخشري : "من حق مفسرٍ كتاب الله الباهر ، وكلامه المعجز ، أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدي سليماً من القادح"[(١)] .

والأنواع التي تشتد حاجة المفسر إليها من هذه العلوم ثلاثة :

(أولها) علم المعاني : ويعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى .

(ثانيها) علم البيان : ويعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها .

(ثالثها) علم البديع : ويعرف به وجوه تحسين الكلام .

وعلم البلاغة والأدب لا يمكن تحصيله والتمكن منه إلا بأمرين وهما :

١- العلم بهذه الفنون ، وفهم مسائلها ، وحفظ أحكامها ، وقراءة كلام البلغاء وآثارهم فيها ، وحفظ مختارات منها ، واطلاع على نتاج النقاد ، ودراسة للشعر والرسائل والخطب ... إلخ .

٢- ممارسة الأدب والكلام البليغ ومزاولته بالكتابة ، والمحاضرة ، والخطاب ، والحوار ، وغير ذلك ، مع التفطن لنكته ومحاسنه وبلاغته .

وهذان الأمران لا يتمان إلا بالمثابرة والمصابرة وطول العناء .

ب) علوم القرآن :

إن علوم القرآن كما يدل اسمها لها صلة وثقى بالقرآن وتفسيره ، والمفسر لا يمكنه أن يستغني عنها بحال ، ومن يجهلها أو يتجاهلها فتفسيره حتماً سيكون أبتر ، ومملوءاً بالتخبط والانحراف والضلال ، وأهم علوم القرآن ما يلي :

---

(١) الإتقان في علوم القرآن . للسيوطي ١٨١/٢ .

١- علم القراءات :

وبهذا العلم تتم معرفة القراءات المشهورة المختلفة في النطق بالقرآن ، وبهذه المعرفة يمكن ترجيح بعض الوجوه على بعض ، ويمكن تفسير بعض الآيات بسبب الزيادة الموجودة في القراءة الثانية المشهورة .

ومثال ذلك قوله - تعالى - : ﴿ ... **وإن كان رجلٌ يورث كلالةً أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس** ... ﴾ (١) ، فقد فسرتها وأوضحتها قراءة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : ﴿ **وله أخ أو أختٌ من أم** ﴾ (٢) ، وكقراءة أبيّ وابن مسعود في كفارة اليمين حيث كانا يقرآن : ﴿ ... **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ... ﴾ (٣) بإضافة كلمة ﴿ **متتابعات** ﴾ (٤) . وغير ذلك كثير في القرآن .

٢- علم أسباب النزول :

لابد للمفسر أن يلم بهذا العلم ، لأن معرفته تجنبه كثيراً من الأخطاء ، وتعينه كثيراً على فهم المراد من الآية فهماً صحيحاً دقيقاً بحسب ما نزلت فيه ، لأن معرفة السبب تستلزم معرفة المسبب .

ومثال ذلك ما روى الطبري والحاكم وصححه وابو داود والترمذي وصححه وغيرهم واللفظ للترمذي عن أسلم أبي عمران التُّجيبي قال : "كنا بمدينة الروم ، فأخرجوا لنا صفاً عظيماً من الروم ، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر . وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل

(١) النساء / ١٢ . (٢) انظر : جامع البيان . للطبري ٢٨٧/٤ . وفتح القدير . للشوكاني ٤٣٤/١ . (٣) المائدة / ٨٩ . (٤) انظر : جامع البيان . للطبري ٧/ ٢ .

رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا : سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب فقال : يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأول ، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ؛ لما أعز الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعضٍ سراً دون رسول الله – ﷺ – : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا ، فأصلحنا ما ضاع منها . فأنزل الله على نبيه – ﷺ – يَرُدُّ علينا ما قلنا : ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ [1] فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها ، وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [2] .

٣– علم الناسخ والمنسوخ :

يجب على المفسر أن يكون على معرفةٍ تامةٍ بهذا العلم ، لأهميته الكبرى في تفسير كتاب الله ، خاصة في تفسير الآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد ، ومن كانت بضاعته مزجاة في هذا العلم فربما أفتى بحكمٍ منسوخ ؛ فيقع في الضلال والإضلال .

ومثال ذلك قوله – تعالى – : ﴿ **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ [3] ، فهذه الآية توجب على المسلم

---

(١) البقرة . من الآية / ٩٥ . (٢) سنن الترمذي . كتاب ٤٨ (تفسير القرآن) باب ٣ (ومن سورة البقرة) ١٩٦/٥ (٢٩٧٢) . وسنن أبي داود . كتاب (الجهاد) باب في قوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ ١٢/٣ ، ١٣ (٢٥١٢) . وجامع البيان . للطبري ٢٠٤/٢ . وفتح القدير . للشوكاني ١٩٤/١ . (٣) الأنفال / ٦٥ .

المجاهد أن يثبت لعشرة من الكفار ، إلا أن هذا الحكم نسخ بحكمٍ آخر يوجب على المسلم أن يثبت فقط لإثنين من الكفار وذُكر الناسخ في الآية التالية لتلك لآية وهو قوله – تعالى – : ﴿ **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ...** ﴾ [1] ( ) .

٤– العلم بالمحكم والمتشابه :

وهو من الأمور الأساسية في التفسير ، ليتخلص المفسر من عناء الدخول في متاهات المتشابه ككيفية أسماء الله وصفاته ، وحقائق اليوم الآخر وعلم الساعة ، والحروف المقطعة أوائل السور ، وليبذل جهده وطاقته في تفسير المحكم كالناسخ والحلال والحرام والحدود والفرائض والوعد والوعيد .

ومثال على المتشابه قوله – تعالى – : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ [3] ، فلا يخوض المفسر في البحث عن كيفية هذا الاستواء لأنه لا سبيل للخلق لمعرفته ، وإنما يكون أمره فيها كالسلف الصالح ، ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن هذه الآية قالوا : "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة" [4] .

٥– العلم بالمكي والمدني :

وهو أمر أساس في إدراك معاني الآيات وأهدافها واستنباطها ، فلكلٍ صفاته ومميزاته وسماته ، ومعرفة المكي والمدني يساعد المفسر في فهم الآية وتفسيرها

---

(١) الأنفال / ٦٦ .
(٢) انظر جامع البيان . للطبري ١٠/٣٨ وما بعدها .
(٣) طه / ٥ .
(٤) مباحث في علوم القرآن . للقطان / ٢٢٤ .

تفسيراً صحيحاً ، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما تمكنه عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ ، فإن المدني يكون ناسخاً للمكي لتأخره عنه في النزول .

فمثلاً - يمكن بمعرفة هذا العلم - تصور المراحل التي مرَّ بها حكم الجهاد في سبيل الله وهي :

(أولها) أن يقاتل المسلمون من قاتلهم . قال الله - تعالى - : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ...** ﴾ (١) .

(ثانيها) ابتداء المشركين بالجهاد في غير الأشهر الحرم . قال الله - تعالى - : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ...** ﴾ (٢) .

(ثالثها) ابتداء المشركين بالجهاد على الإطلاق دون تقييد بشرط . قال الله - تعالى - : ﴿ **... وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافة ...** ﴾ (٣) (٤) .

٦- العلم بالقصص القرآني :

وله أهميته التي لا تخفى على ذي لب ، نظراً لكثرة القصص في القرآن الكريم ، فمعرفة القصة تفصيلاً يساعد على توضيح ما أجمل وما أخفي منها في القرآن ، وأهم مصادر القصة القرآنية : القرآن الكريم ، فما أوجز في موضع فصل في آخر ، وما أخفي في موضع ذكر في آخر . ثم ما صحَّ من السنة النبوية ، ثم ما صحَّ من آثار الصحابة فيما شاهدوه من قصص القرآن . وأما ما دون ذلك ككتب التاريخ والإسرائيليات فما وافق منه ما سبق ذكره فيجوز ذكره للعلم والاستئناس

---

(١) البقرة / ١٩٠ . (٢) التوبة / ٥ . (٣) التوبة / ٣٦ .

(٤) انظر : معالم الجهاد . د. جمال الهوبي ١٢٨/١ .

لا للاستدلال وما عندنا يغني عنه ، وما خالف في ذلك فمرفوض ومكذوب ، وما سُكت عليه و لم تقم الحجة على بطلانه نكله إلى الله ولا نستدل به فالله أعلم به .

ومثال ذلك قوله – تعالى – في قصة آدم عليه السلام : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾ (١) فقد ذهب المفسرون أن الكلمات التي لقاها لآدم هي قوله تعالى : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ (٢)(٣) .

وقوله – تعالى – في قصة فرعون : ﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة والأولى** ﴾ (٤) فقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالأولى هي قوله : ﴿ .. **ما علمت لكم من إله غيري** ... ﴾ (٥) وأما الآخرة فهي قوله : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ (٦)(٧) .

ومثال ذلك أن قصة موسى – عليه السلام – مع الخضر مذكورة في سورة الكهف وردت عنها تفصيلات كثيرة في أحاديث صحيحة أخرجها الإمام مسلم ، ومنها أن فتى موسى هو : يوشع بن نون ، وأن الرجل الذي صاحبه موسى ليتعلم منه هو : الخضر – عليه السلام – (٨) .

ج) علوم الأحاديث والسيرة والآثار :

١– علم الأحاديث :

كان من مهامه – ﷺ – تبيان ما نزل إليه ، وتفسير ما أجمل وأبهم ،

---

(١) البقرة / ٣٧ . (٢) الأعراف / ٢٣ (٣) انظر : جامع البيان . للطبري ١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٤) النازعات / ٢٥ . (٥) القصص / ٣٨ . (٦) النازعات / ٢٤ .

(٧) انظر : جامع البيان . للطبري ٣/٤١ ، ٤٢ . (٨) انظر : صحيح مسلم . كتاب (الفضائل) باب (من فضائل الخضر عليه السلام) ٤/١٨٤٧ وما بعدها . حديث (٢٣٨٠) وما بعده .

ولذلك فعلى المفسر أن يتقصى ويعرف الأحاديث النبوية الصحيحة المفسرة لآياتٍ من القرآن ، ويستعين بها على الفهم والتوضيح والاستنباط والاستدلال ، وحتى لا يخالفها بتفسيره .

ومثال ذلك قوله - تعالى - : ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون** ... ﴾ [1] ، فقد روي عن أبي أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله - ﷺ - في السياحة ، فقال : (**إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى**) [2] .

٢- علم السيرة :

العلم بسيرة النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون الدنيوية والأخروية ، يساعد في تجلية المعنى المراد لكثير من الآيات ، وذلك كما في الآيات التي تتحدث عن الغزوات ، كآيات آل عمران التي تتحدث عن غزوة أحد [3] .

فمثلاً : قوله - تعالى - : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [4] لن يستطيع المفسر أن يوفي هذه الآية الكريمة حقها بدون الرجوع إلى سيرة النبي - ﷺ - ليرى كيف كان متربعاً على عرش الأخلاق في الصدق والأمانة والطهر والعفاف والزهد والورع والخشية والكرم والشجاعة والعطف والرحمة ... إلخ .

---

(١) التوبة /١١٢ .

(٢) سنن أبي داود . كتاب (الجهاد) باب (في النهي عن لسياحة) ٥/٣ حديث (٢٤٨٦) قال عنه النووي : "رواه أبو داود بإسناد جيد" رياض لصالحين / ٥١٤ . والمستدرك للحاكم . كتاب (الجهاد) ٧٣/٢ . صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) انظر الآية (١٢١) وما بعدها .

(٤) القلم / ٤ .

وكذلك قوله – تعالى – : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ... ﴾ (١) فلن يستطيع المفسر أن يفسره على الوجه الأفضل والأكمل دون الرجوع إلى سيرة أصحاب النبي – ﷺ – ورضي الله عنهم أجمعين .

٣– علم أقوال الصحابة :

الصحيحة المروية عنهم في التفسير ، فليس للمفسر برأيه أن يهجر ما صح من قول الصحابي ، لأنهم الأورع والأتقى والأعلم ؛ لما اختصوا به من الصحبة ، ومعاصرة الوحي والتنزيل ، والفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الأربعة ، وأبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس – رضي الله عنهم أجمعين – .

د – علم أصول الدين والعقيدة :

وهذا العلم مهم جداً وضروري للمفسر ولابد منه ، وذلك ليستطيع أن يشرح الآيات القرآنية الكثيرة جداً المتعلقة بالعقيدة ، وليتمكن من التبيان والاستدلال على ما يجب في حق الله ويجوز ، وما يستحيل ولا يجوز . وليبتعد عن الجهل والضلال والنظرة غير الصائبة في الآيات المتعلقة بالعقيدة ، سواء في ذات الله وأسمائه وصفاته ، أو النبوات ، أو المعاد ... إلخ وذلك كالتأويل الصحيح للآيات القرآنية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله – تعالى – ، كقوله – جل ثناؤه – لنوح – عليه السلام – : ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا** ... ﴾ (٢) قال الشوكاني : "أي

---

(١) الفتح / ٢٩ .   (٢) هود / ٣٧ .

بمرأى منا ، والمراد بحراستنا لك وحفظنا لك" [1] ، وقوله – عز وجل – في حق موسى – عليه السلام – : ﴿ **ولتصنع علي عيني** ﴾ [2] قال ابن جرير الطبري : "وعنى بقوله ﴿ **على عيني** ﴾ بمرأى مني ومحبة وإرادة" [3] .

هـ) علم الفقه وأصوله :

١– علم الفقه :

إن الفقه الإسلامي يعرض الأحكام الواردة في آيات الأحكام القرآنية مبوبة ومفصلة وبأدلتها ، واستحضارها يساعد المفسر على إعطاء تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام ، ويمكنه من تفسير الأحكام الواردة فيها ، ويعينه على استنباط أحكام جديدة على ضوء الأحكام الموجودة .

فمثلاً قوله – تعالى – : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ...** ﴾ [4] ، فإذا رجع المفسر إلى تفصيلات أحكام الوضوء في كتب الفقه فإنه سيعرف : حكم الوضوء ، وفرائضه ، وأركانه ، وسننه ، وكيفيته ، ونواقضه ... إلخ وهذا يمكنه من تفسير الآية تفسيراً جميلاً يجي فيه الحكم الشرعي للوضوء بصورة رائعة .

٢– علم أصول الفقه :

وهو من أهم العلوم التي تفيد المفسر في تفسير آيات الأحكام ، فبه يعرف المفسر كيف يستنبط الأحكام من الآيات ، وكيف يستدل عليها ، وبه يعرف

---

(١) فتح القدير ٤٩٧/٢ . (٢) طه / ٣٩ . (٣) جامع البيان ١٦٣/١٦ . (٤) المائدة / ٦ .

الإجمال والتبيين ، والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، ودلالة الأمر والنهي ... إلخ .

فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ...** ﴾ [1] ، فحكم الحرابة هذا عام ، إلا أنه قيد وخصص بحكم آخر استثني منه وذكر في الآية التالية وهو قوله – تعالى – : ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم** ﴾ [2] .

ومثال آخر : قوله – تعالى - بشأن البيت الحرام : ﴿ **... ومن دخله كان آمناً ...** ﴾ [3] ، هذا أمر بصيغة الخبر ، والمراد : أي أَمِّنُوا من دخل واحتمى بالبيت الحرام .

و) علوم أخرى :

كالعلوم الاجتماعية والعقلية والكونية وما يتصل بالثقافة العامة مما له أهمية خاصَّةٌ في تفسير آيات قرآنية معينة تتعلق بها تعلقاً مباشراً ، ووقوف المفسر عليها يعينه على تحليلها وشرحها وتفسيرها تفسيراً عصرياً متصلاً بحياة الناس . والمفسر يختار من هذه العلوم ما كان حقيقة ويقيناً ، وأهم هذه العلوم ما يلي :

١– علم التاريخ :

كتاريخ العرب وعاداتهم في الحرب والسلم ، والحل والإحرام يساعد المفسر مثلاً في معرفة المراد من النسيء [4] في قوله – تعالى – : ﴿ **إنما النسيء**

---

(١) المائدة /٣٣ . (٢) المائدة / ٣٤ . (٣) آل عمران / ٩٧ .

(٤) النسيء : أي أن المشركين قبل الإسلام كانوا بأهوائهم تارة يحلون الشهر المحرم الذي =

زيادة في الكفر ... ﴾ [1] ، ومعرفة أحوال أهل الكتاب في جزيرة العرب أمر ضروري للفهم الصحيح للآيات التي تتحدث عنهم في أعمالهم ، والرد على باطلهم ، وإظهار ما يخفونه من سوء وهم يبدون خلافه للناس .

٢- علم الفلك :

وهذا العلم يعين المفسر على توضيح الإعجاز العلمي المشار إليه في مثل قوله - تعالى - : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...** ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **وهو الذين خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌ في فلك يسبحون** ﴾ [3] وقوله : ﴿ **وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً** ﴾ [4] .

٣- علم الطب :

ويمكن هذا العمل المفسر من إظهار كثيرٍ من آيات الله الدالة على علمه وحكمته وإبداعه المشار إليها في مثل قوله - تعالى - : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين O وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ **ألم يك نطفة من مني يمنى O ثم كان علقةً فخلق فسوى O فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى** ﴾ [6] .

٤- علم البحار :

يبين هذا العلم للمفسر المراد من مثل قوله - تعالى - : ﴿ **مرج البحرين**

= حرمه الله ويحرمون بدله شهر صفر الذي أحله الله وهو ليس من الأشهر الحرم ، وتارة يفعلون العكس . انظر : تفسير القرآن العظيم . لابن كثير ٢/٣٥٦ .

(١) التوبة / ٣٧ . (٢) فصلت / ٥٣ . (٣) الأنبياء / ٣٣ ، ويس / ٤٠ .

(٤) نوح / ١٦ . (٥) الذاريات / ٢٠ ، ٢١ . (٦) القيامة / ٣٧ - ٣٩ .

يلتقيان O بينهما برزخ لا يغيان ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ أو كظلمات في بحرٍ لُجي يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ (٢) .

٥- علم الجغرافيا :

يساعد هذا العلم في تفسير مثل قوله - تعالى - : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين** ﴾ (٣) ، وفي تحديد مصارع الغابرين المشار إليهم في قوله ﴿ ... **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ...** ﴾ (٤) ... إلخ .

ثانياً : شروط عقلية :

ويقصد بذلك أن يكون المفسر له نصيب ممتاز من علم الموهبة ، أي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ، ومَقْدِرة ممتازة في : قوة الفهم ، وسعة الإدراك ، والاستقصاء والاستدراك ، وحسن الاستدلال والاستنباط ، والقدرة على التوجيه والنقد والترجيح وما إلى ذلك .

فكثير من الآيات تخفى معانيها وأسرارها وكنوزها على بعض المفسرين ، بينما يهتدي إليها ، ويجليها لنا المفسر الموهوب صاحب البصيرة الناقدة ؛ كابن عباس - رضي الله عنهما - الذي أكرم بهذا العلم بفضل دعاء النبي - ﷺ - له حيث قال : (**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**) (٥) .

وعلم الموهبة فضل من الله - جل ثناؤه - يكرم به من عمل بما علم من

---

(١) الرحمن / ١٩ ، ٢٠ . (٢) النور / ٤٠ . (٣) الذاريات / ٢ .

(٤) يوسف / ١٠٩ . (٥) سبق تخريجه . ص / ٥٣ .

عباده ؛ لقوله – تعالى – : ﴿ ... واتقوا الله ويعلمكم الله ... ﴾ [1] ، ولقول رسوله – ﷺ – : (**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**) [2] . فكلما زاد نصيب المفسر ورصيده من التقوى زاد نصيبه ورصيده من هذا العلم ، والعكس بالعكس . والتقوى هي : طاعة الله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

وفي هذا المعنى يقول – تعالى – : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ... ﴾ [3] ، قال سفيان بن عيينة : "أَنْزِعُ عنهم فهم القرآن" . أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه [4]

وقال الشافعي :

شكوت إلى وكيع[5] سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نورٌ ... ونور الله لا يهدى لعاصٍ

وقال السيوطي : "ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول : هذا شيء ليس في قدرة الإنسان ، وليس الأمر كما ظننت من الإشكال ، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد" [6] ، وقال الزرقاني : "وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله – تعالى – لمن عمل بما علم ، ولا يناله من في قلبه بدعة أو كبر أو حب دنيا أو ميل إلى المعاصي" [7] واستدل بالآية السابقة من سورة الأعراف .

ومثال على علم الموهبة قوله – تعالى – : ﴿ ... **وإن كان رجلٌ يورث كلالةً** ... ﴾ [8] ، فقد أخرج الطبري بسنده عن الشعبي أن أبا بكر الصديق

---

(١) البقرة / ٢٨٢ . (٢) التفسير والمفسرون . للذهبي ٢٦٨/١ . لم يذكر تخريجه ولم أقف على تخريجه . (٣) الأعراف / ١٤٦ . (٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٥٦٢/٣ . (٥) وكيع : اسم شيخ الشافعي – رحمهما الله تعالى – . (٦) الإتقان في علوم القرآن ١٨/٢ . (٧) مناهل العرفان ٥١/٢ . (٨) النساء / ١٢ .

- رضي الله عنه - قال في الكلالة : "أقول فيها برأيي ، فإن كان صواباً فمن الله : هو ما دون الولد والوالد" [١] فقد أصاب أبو بكر - رضي الله عنه - التفسير الصحيح للآية بدليل حديث صحيح عن النبي - ﷺ - في معنى الكلالة لم يبلغ أبا بكر - رضي الله عنه - رواه الطبري [٢] .

ومثاله أيضاً : ما أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن عنترة قال : "لما نزلت : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينك** ﴾ [٣] وذلك يوم الحج الكبر بكى عمر ، فقال له النبي - ﷺ - : (**ما يبكيك ؟!**) قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص . فقال : (**صدقت**) [٤] .

ومثاله أيضاً : ما روى البخاري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله ، فقال عمر : إنه من حيث علمتم . فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم ، فما رُؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون في قول الله - تعالى - : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ [٥] فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ، فقلت : لا . قال : فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله - ﷺ - أعلمه له . قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ [٦] ، وذلك علامة أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ [٧] ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول" [٨] .

---

(١) جامع البيان ٢٨٤/٤ . (٢) جامع البيان ٢٨٦/٤ . (٣) المائدة . من الآية / ٣ .

(٤) جامع البيان . للطبري ٨٠/٦ . والدر المنثور . للسيوطي ١٨/٣ .

(٥) النصر / ١ . (٦) النصر / ١ . (٧) النصر / ٣ .

(٨) صحيح البخاري مع الفتح . كتاب (التفسير) باب (قوله : فسبح بحمد ربك واستغفره ...) ٥٩٧/٨ ، ٥٩٨ .

ثالثاً : شروط دينية وخلقية :

ويمكن إجمال أهم هذه الشروط وتلخيصها فيما يلي :

١- صحة الاعتقاد ، والالتزام بما كان عليه السلف الصالح .

٢- أداء الفرائض الدينية ، والاجتهاد في السنن خاصة في الأخلاق والآداب .

٣- البعد عن المعاصي خاصة الكبائر ، والتنزه من خوارم المروءة .

٤- التجرد عن الهوى الذي يدفع صاحبه إلى تبني القول المرجوح أو الباطل دون الراجح والحق ، كدأب الفرق الضالة كالشيعة والباطنية والمعتزلة التي تنصر مذاهبها بالحق وبالباطل .

٥- تقوى الله - جل ثناؤه - ، وإخلاص القصد له ، فيفسر القرآن لوجهه - تعالى - ، والزهد في الدنيا ، لأن المفسر إن رغب فيها لم يأمن أن يتوسل بتفسيره إلى عرض دنيوي يصده عن صواب قصده ، ويفسد عليه صحة عمله [1] .

---

(١) رجعنا في هذا المطلب للمراجع الآتية : مناهل العرفان . للزرقاني ٥١/٢ وما بعدها . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢٦٥/١ وما بعدها . ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٤/١٣ وما بعدها . ولمحات في علوم القرآن ومناهج المفسرين . د. محمد الصباغ / ١٢٥ وما بعدها . ودراسات في التفسير ورجاله . للجبوري / ٤٨ وما بعدها . ومقدمة في أصول التفسير . لابن تيمية . وعرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير . لأبي حذيفة / ١٤ وما بعدها . ومباحث في علوم القرآن . للقطان / ٣٤٠ وما بعدها . والإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير . د. عبد الغفار / ١٢٣ وما بعدها .

المطلب الثاني

(مصادر التفسير بالرأي)

يجب على المفسر بالرأي أن يرجع إلى مصادر التفسير بالرأي حسب الأولوية كما في الترتيب التالي :

أولاً : القرآن الكريم :

(سبق تفصيل الحديث عن هذا المصدر ، مما أغنى عن تكراره هنا)(1) .

ثانياً : السنة النبوية :

(سبق تفصيل الحديث عن هذا المصدر ، مما أغنى عن إعادته هنا)(2) .

ثالثاً : أقوال الصحابة :

وذلك بالأخذ بما صح عن الصحابة في التفسير ، مع الحذر والتحرز من الموضوع والمكذوب عليهم ، وهو كثير .

فإن وقع المفسر بالرأي على قول صحيح لصحابي في التفسير ، فليس له أن يهجره ويقول برأيه ، لأنهم الأدرى والأعلم بأسرار التنزيل ؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما امتازوا به من لغتهم لغة القرآن يدركون من أسرارها بالفطرة ما لا يدركه المتأخرون بالتعليم ، ولما اختصوا به من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لاسيما كبراؤهم كالخلفاء الراشدين ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأُبي بن كعب وغيرهم .

---

(1) راجع ص / ٣٢ وما بعدها . (2) راجع ص / ٣٨ وما بعدها .

وأقوال الصحابة في التفسير : منها ما هو في حكم المرفوع مطلقاً كأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه ، وكذا كل ما سمعوه عن النبي - ﷺ - ، ومنها ما اجتهدوا في تفسيره [1] .

رابعاً : إجماع التابعين :

تفصيل الحديث في أقوال التابعين في التفسير وموقف المفسر منها كما يلي :

١- يجب على المفسر بالرأي إذا لم يجد في القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة ، أن يأخذ بما أجمع عليه التابعون في التفسير ، وبما قاله التابعي الثقة مما لا مجال للرأي فيه ؛ كاسباب النزول ، وأخبار الغيب ، بعد التأكد من عدم أخذه لها عن أهل الكتاب . فإن تعدى هذا وقال برأيه فمذموم ؛لأنهم خير القرون بعد قرن الصحابة - رضي الله عنهم - ، وعنهم تلقوا العلم والتفسير . ولأن الإجماع حجة شرعية ، كما هو مقرر في علم أصول الفقه .

٢- وأما ما اختلف فيه التابعون من التفسير ، فللمفسر أن يرجح بين أقوالهم ، وله أيضاً أن يخالفها جميعاً ، ويأتي برأيٍ جديدٍ . قال ابن تيمية : "قال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك" [2] [3] .

---

(١) سبق الحديث عن التفسير في عصر الصحابة . راجع / ٢٧ وما بعدها .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٠/١٣ . (٣) سبق الحديث عن اختلاف العلماء في حكم تفسير التابعين . راجع / ٦٨ وما بعدها .

خامساً : اللغة العربية :

للمفسر أن يأخذ بمطلق اللغة العربية ؛ لأن القرآن نزل بلسانٍ عربي مبين ، قال - تعالى - : ﴿ إنـا أنزلنـاه قرآنـاً عربيـاً لعلكـم تعقلـون ﴾ [1] ، ولكن مع الاحتراز عن صرف الآيات عن ظاهرها مما دل عليه الكثير من كلام العرب إلى معانٍ محتملة دلَّ عليها القليل من كلامهم ، والموجود غالباً في الشعر ونحوه ، والمتبادر يكون خلافها . روى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : "لا أوتى برجلٍ غير عالمٍ بلغةِ العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"

سادساً : مقتضى الكلام ودلالة الشرع :

والمقصود بذلك : أن يفسر القرآن بالمقتضى من معنى الكلام . وبالمقتضب مما يدل عليه قانون الشرع حتى يُنَزَّل كلام الله على المعروف من تشريعه ، وهذا النوع هو الذي دعا به النبي - ﷺ - لابن عباس في قوله : (**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**) [2] ، وهو الذي عناه علي - رضي الله عنه - حين سئل : هل عندكم عن رسول الله - ﷺ - شيء بعد القرآن ؟ فقال : "لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، **إلا فهم يؤتيه الله - عز وجل - رجلاً في القرآن**" . هذا سبب اختلاف الصحابة في فهم بعض آيات القرآن ، فأخذ كلٌّ بما وصل إليه عقله ، وأداه إليه نظره [3] .

---

(١) يوسف / ٢ . (٢) سبق تخريجه ص / ٥٣ .

(٣) رجعنا في هذا المبحث إلى المراجع الآتية : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦٣/١٣ وما بعدها . والإتقان في علوم القرآن . للسيوطي ٢ ١٧٨ وما بعدها . ومناهل القرآن في علوم القرآن . للزرقاني ٤٩/٢ ، ٥٠ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ١٢٨/١ ، ١٢٩ ، ٧٣ ، ٢٧٤ =

المطلب الثالث

(آداب المفسر)

ينبغي على المفسـير أن يتحـى ويتصـف بجملـة مـن الآداب في تبليـغ تفسيره إلى الناس ، كي يحظى بقبوله لديهم ، ويمكن أن نلخـص أهـم هذه الآداب بما يلي :

أولاً : حسن النية وشرعية التفسير :

على المفسر أن يبتغي بتفسيره وجه الله - جـل ثنـاؤه - ، وينـأى بـه عـن أعراض الدنيا الزائلة ، ليسدد الله - تعـالى - خطـاه ، وليضـع لتفسـير القبـول في الأرض ، لأن الانتفاع بالعلم ثمرة الإخلاص فيه ، وكما قيل : ما يخرج من القلب يصل إلى القلب ، وما يخرج من اللسان لا يتجاوز الآذان .

كذلك يجب أن يكون تفسيره جائزاً شرعاً محموداً غير مذموم .

وقد قال الله - تبارك وتعالى - في ذلك : ﴿ ... **فمـن كـان يرجـو لقـاء ربـه فليعمـل عمـلاً صالحـاً ولا يشـرك بعبـادة ربـه أحـداً** ﴾ [1] ، وقـال رسـوله - ﷺ - : (**إنما الأعمـال بالنيـات ، وإنمـا لكـل امـرئ مـا نـوى ؛ فمـن كـانت هجرته إلى الله ورسـوله فهجرتـه إلى الله ورسـوله ، ومـن كـانت هجرتـه لدنيـا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فجهرته إلى ما هاجر إليه**) [2] .

---

(١) الكهف / ١١٠ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . (كيف كان بدء الوحي . .) ٧/١ وما بعدها . وصحيح مسلم . كتاب ٣٣ (الإمـارة) بـاب ٤٥ (... إنمـا الأعمـال بالنيـة ...) ١٥١٥/٣ ، ١٥١٦ حديث (١٩٠٧) . وسنن أبي داود (٢٢٠١) والـترمذي (١٦٤٧) والنسائي ٥٩/١ ، ٦٠ .

ثانياً : حسن الخلق :

إن تخلق المفسر بالأخلاق الحسنة يقرب الناس منه ومن تفسيره ، وإن سوء الخلق يحدث العكس ، لقوله - تعالى - : ﴿ **فبما رحمة من ا لله لِنْتَ لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ...** ﴾ (١) ، ولذلك أكرم ا لله - جل ثناؤه - نبيه - ﷺ - بالخلق الحسن العظيم ، وامتدحه به فقال : ﴿ **وإنك لعلى خلقٍ عظيم** ﴾ (٢) ، وقد كان النبي - ﷺ - يحض على التحلي بالأخلاق ويقول : (**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**) (٣) ، ويقول : (**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ...**) (٤) .

وعلى المفسر أن يكون قدوة في الأخلاق ، لأن تفسيره لن يبلغ مبلغه إذا لم يكن كذلك ، ذلك أن الناس يتأثرون بالمحاكاة والقدوة أكثر من القراءة والاستماع . ولذلك جعل ا لله - جل ثناؤه - للبشر قدوة صالحة من النبيين وأتباعهم الصالحين ، فقال : ﴿ **أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده ...** ﴾ (٥) .

وأهم هذه الأخلاق - بجانب المفسر - ما يلي :

---

(١) آل عمران / ١٥٩ . (٢) القلم / ٤ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح . كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق ...) ٣٧٦/١٠ . وصحيح مسلم . كتاب ٤٣ (الفضائل) باب ١٦ (كثرة حيائه ﷺ) ١٨١٠/٤ حديث (٢٣٢١) . وسنن الترمذي (١٩٧٦) . ومسند أحمد ٦١/٢ .

(٤) سنن الترمذي . كتاب ١٠ (الرضاع) باب ١١ (ما جاء في حق المرأة على زوجها) ٤٦٦/٣ حديث (١١٦٢) قال عنه الترمذي "حديث حسن صحيح" . وصححه ابن حبَّان (١٣١١) . وصححه الحاكم ٣/١ . ومسند أحمد ٤٥٠/٢ و٤٧٢ وحسنه الأرنؤوط . رياض الصالحين / ٣٠٠ . (٥) الأنعام / ٩٠ .

أ) التواضع ولين الجانب :

فالمفسر المتواضع الرفيق الرءوف الرحيم الشفوق قريب هو وتفسيره من الناس ، وأما المفسر المتعالي بعلمه ، المغتر بنفسه ، فبعيد هو وتفسيره عن الناس ، لأن الصلف العلمي يحول بين العلم والانتفاع بعلمه ، يدلنا على ذلك آية آل عمران الآنفة الذكر .

ب) الأمانة والصدق في التفسير

على المفسر أن يكون أميناً وصادقاً وضابطاً عدلاً فيما يقول ويكتب ، وينقل ، وينسب ، ذلك أنه أمين على دين الله ، وأنه سبحانه سيسأله عن ذلك يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً** ﴾ [1] ، وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ [2] ، وقال رسوله - ﷺ - : (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل ،وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه**) . وفي رواية الدارمي : (**وعن علمه ماذا فعل به**) [3] .

ج) مطابقة التفسير للعمل :

على المفسر أن يطابق تفسيره عمله ولا يخالفه ، لأن التفسير يجد قبولاً من

---

(1) الأحزاب / ٧٠ . (2) الأنفال / ٢٧ . (3) سنن الترمذي . كتاب ٣٨ (صفة القيامة ...)باب (في القيامة) ٤/٥٢٩ حديث (٢٤١٧) . قال عنه الترمذي "هذا حديث حسن صحيح" . وسنن الدارمي باب (من كره الشهرة والعلم) ١/١٣٥ . والحديث صححه الألباني . سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٤٦) .

المفسرين العاملين أضعاف أضعاف ما يجده من خلافهم ، لأن الناس بفطرتهم ينفرون من الذي يقول ولا يعمل ، بل ويتهمونه ، وقد حذر الله من ذلك فقال عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون O كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ (١) ، وتوعد على لسان رسوله من يفعل ذلك بسوء العذاب ، فقال - ﷺ - : (**يؤتى بالرجل يوم القيامة . فيلقى في النار . فتندلق أقتاب بطنه (٢) . فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع إليه أهل النار . فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى . قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه**) (٣) .

د) عزة النفس :

على المفسر أن يكون عزيز النفس عفيفاً ، وأن يترفع عن خوارم المروءة وسفاسف الأمور ، وأن لا يغشى أبواب الأمراء لدنيا يصيبها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ (٤) وقال رسول الله - ﷺ - : (**من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن**) (٥) ، وقال - ﷺ - : (**إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص**) (٦) .

---

(١) الصف / ٢ ، ٣ .   (٢) تخرج أمعاؤه وحوايا بطنه من مكانها .

(٣) صحيح مسلم . كتاب ٥٣ (الزهد والرقائق) باب ٧ (عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ...) ٢٢٩١/٤ حديث (٢٩٨٩) .   (٤) الذاريات / ٢٢ .

(٥) سنن الترمذي . كتاب ٣٤ (الفتن) باب (٦٩) ٥٠٤/٤ حديث (٢٢٥٦) . قال عنه الترمذي "هذا حديث حسن صحيح" .   (٦) الفردوس . للديلمي ٢٧٦/١ حديث (١٠٧٧) . وكنز العمال . لعلاء الدين على المتقي ٨٦/١٠ حديث (٢٨٩٧٣) . قال عنه عبد الرؤوف المناوي : "إسناده جيد" فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤٥٥/١ حديث (٦٢٨) .

هـ) الجهر بالحق :

على المفسر أن يجهر بالحق وألا يخشى في الله لومة لائم ، وأن يذكر قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ (٢) ، وقول رسوله - ﷺ - لما سئل أي الجهاد أفضل ؟ قال : (**كلمة حق عند سلطان جائر**) (٣) وفي رواية (**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**) (٤)

و) حسن السمت :

وذلك بامتثال المفسر للسنة في مظهره العام وفي لباسه وقعوده ووقوفه ومشيه ولحيته وعطره وطعامه وشرابه وكلامه وضحكه وسائر حركاته ، وهذا السمت النابع من السنة النبوية يكسب المفسر هيبة ووقاراً وثقة وقبولاً

ز) تقديم الأولى للتفسير :

على المفسر أن لا يتصدر للتفسير بحضرة المفسرين الأعلم منه ، وعليه أن لا يغمطهم حقهم بعد مماتهم ، بل يرشد الناس إلى علمهم وكتبهم ، فعن عائشة

---

(١) البقرة / ١٥٩ . (٢) التوبة / ٥١ .

(٣) سنن النسائي . كتاب (البيعة) باب (فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر) ٧/١٦١ . قال النووي "رواه النسائي بإسناد صحيح" . رياض الصالحين / ١٢٩ .

(٤) سنن الترمذي . كتاب ٣٤ (الفتن) باب ١٣ (ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل ...) ٤/٤٠٩ حديث (٢١٧٤) قال عنه الترمذي "وهذا حديث حسن" .

- رضي الله عنها - قالت : (أمرنا رسول الله - ﷺ - أن ننزل الناس منازلهم) [1] ، وقال - ﷺ - : (**إن من إجلال الله تعالى** [2] **: إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه** [3] **، والجافي عنه** [4] **، وإكرام ذي السلطان المقسط** [5]) [6] ، وقد حذر - ﷺ - من مخالفة ذلك فقال : (**ليس منا من لا يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا**) [7] .

ثالثاً : حسن المنهج والعرض :

أ) حسن المنهج :

على المفسر أن يتبع المنهج السديد في تفسيره ، وملخص نقاطه ما يلي :

١- يتجنب ما لا يجوز في التفسير .

٢- أن يفسر بالمأثور إذا وجد ، ثم بالرأي ، فإن تعارضا رجح بينهما إن استحال الجمع .

---

(١) صحيح مسلم . (المقدمة) ١/٦ . (٢) أي من تعظيمه .

(٣) أي : غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه .

(٤) أي : أن الهاجر تلاوته التارك العمل به . (٥) أي : العادل في الحكم بين الرعية .

(٦) سنن أبي داود . كتاب (الأدب) باب (في تنزيل الناس منازلهم) ٤/٢٢٦ ، ٢٦٢ حديث (٤٨٤٣) .قال عنه النووي : "حديث حسن رواه أبو داود" وقال شعيب الأرنؤوط : "وحسَّن سنده الحافظان العراقي وابن حجر" رياض الصالحين / ١٩١ .

(٧) سنن أبي داود . كتاب (الأدب) باب (في الرحمة) ٤/٢٨٦ حديث (٤٩٤٣) . وسنن الترمذي واللفظ له . كتاب ٢٨ (البر والصلة) باب ١٥ (ما جاء في رحمة الصبيان) ٤/٢٨٤ حديث (١٩٢٠) قال عنه الترمذي : "حديث حسن صحيح" . ومسند أحمد ٢/١٨٥ و٢٠٧ وقال عنه النووي "حديث صحيح" ، وقال الأرنؤوط : وسنده حسن" رياض الصالحين / ١٩١ .

٣- أن يجتهد باتباع قواعد التفسير من : ذكر المناسبة ، وذكر سبب النزول ، وما يتعلق باللغة والبلاغة ، ثم التفسير والمراد ، ويختم بما استنبطه من الأحكام والفوائد والإرشادات .

٤- كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً يعمل المفسر بقانون الترجيح بينها [1] .

ب) حسن العرض :

وذلك يكون من خلال النقاط الآتية :

١- أن يكون التفسير بعيداً عن الثرثرة والتشدق والتكلف بالفصاحة والتكبر ، لقوله - ﷺ - : (**إن من أحبكم إليَّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة : الثرثارون ، والمتشدقون** [2] ، **والمتفيقهون**) قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ ، قال : (**المتكبرون**) [3] .

٢- أن يكون التفسير بيناً واضحاً . لا لبس فيه ، لقوله - تعالى - : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ... ﴾ [4] ، وقد جاء في الحديث عن عائشة قالت : (ما كان رسول الله - ﷺ - يسرد سردكم هذا ، ولكنه كان يتكلم

---

(١) سيأتي تفصيل الحديث عن ذلك في المبحث الثالث من هذا الفصل .

(٢) الثرثار : كثير الكلام تكلفاً ، والمشتدق : المعظم لكلامه والمتطاول به على الناس ، انظر : سنن الترمذي ٣٢٥/٤ .

(٣) سنن الترمذي . كتاب ٢٨ (البر والصلة) باب ٧١ (ما جاء في معالي الأخلاق) ٣٢٥/٤ حديث (٢٠١٨) قال عنه الترمذي : "وهذا حديث حسن" . ومسند أحمد ٣٦٠/٢ و١٩٣/٤ ، ١٩٤ . وصححه ابن حبان (١٩١٧) .

(٤) إبراهيم / ٤ .

بكلام بينه فصل ، يحفظه من جلس إليه) [1] ، وعن أنس بن مالك قال : (كان رسول الله – ﷺ – يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه) [2] . وعلى المفسر أن لا يستخدم الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً ، أو خطأً وصواباً ، وإذا اضطر لذلك يجب عليه أن يوضح مقصودها . قال – تعالى – : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ...** ﴾ [3] . فكلمة ﴿ **راعنا** ﴾ في لسان اليهود تعني الشتيمة والنقص ، فنهاهم الشارع عنها حتى لا يستغلها اليهود في شتم النبي – ﷺ – [4] .

٣- أن يكون التفسير بالرفق واللين وبالحسنى والحكمة ، لقوله – تعالى – : ﴿ **... وقولوا للناس حسناً ...** ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ **فقولا له قولاً ليناً ...** ﴾ [6] ، وقوله : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ...** ﴾ [7] ، وقول رسوله – ﷺ – : (**إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ، ولا يُنزع من شيء إلا شانه**) [8] .

ولا يخفى على ذي لب تأثير التفسير بالحسنى واللين والحكمة بعيداً عما يخالف ذلك على المستمعين والقارئين .

---

(١) سنن الترمذي . كتاب ٥٠ (المناقب) باب ٩ (في كلام النبي – ﷺ –) ٥/٥٦٠ حديث : (٣٦٣٩) قال عنه الترمذي : "هذا حديث حسن" .

(٢) المرجع السابق . ونفس الكتاب والباب ٥/٥٦١ حديث (٣٦٤٠) قال عنه الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح" .

(٣) البقرة / ١٠٤ . (٤) انظر : تفسير الجلالين . للمحلى والسيوطي / ٢٢ .

(٥) البقرة / ٨٣ . (٦) طه / ٤٤ . (٧) النحل / ١٢٥ .

(٨) صحيح مسلم . كتاب ٤٥ (البر والصلة والآداب) باب ٢٣ (فضل الرفق) ٤/٢٠٠٤ حديث (٢٥٩٤) .

المبحث الثالث
(منهج التفسير بالرأي ومتجنباته وتعارضه مع المأثور)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول
(ما يتجنب في التفسير بالرأي)

هناك أمور يجب على المفسر بالرأي أن يتجنبها في تفسيره لئلا يخطئ ويقول برأيه الفاسد ، وتفصيل الحديث عنها كما يلي :

أولا : التفسير بالجهل والهوى :

ومن مظاهر ذلك ما يلي :

١- الإقدام على تبيين مراد الله - جل ثناؤه - من كلامه ، مع الجهل بقوانين اللغة ، أو أصول الشريعة ، وبدون الإلمام بالعلوم والأدوات التي يجوز معها التفسير بالرأي ، وقد حذرنا الله من ذلك في قوله : ﴿ ... **ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ [١] ، وكذلك رسوله - ﷺ - في قوله : (**من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار**) [٢] .

٢- القطع بأن مراد الله كذا وكذا بغير دليل ، وهذا منهيٌّ عنه في قوله - تعالى - : ﴿ ... **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ [٣] .

---

(١) لقمان / ٢٠ والحج / ٨ .
(٢) سبق تخريجه ص / ١٠٨
(٣) البقرة / ١٦٩ والأعراف / ٣٣ .

٣- السير مع الهوى والاستحسان ، فلا يفسر بهواه ، ولا يرجح باستحسانه ، ويسكت على ما لم يهتد إلى تفسيره رغم علمه ، ولا يتبع الهوى في ذلك لقوله - تعالى - : ﴿ ... **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ... ﴾ (١) .

٤- حمل كلام الله على المذاهب أو الأفكار ولو كانت فاسدة ، وذلك لتعصب المفسر لها ، فيقوده هذا إلى إخضاع القرآن لما يتعصب له ، فيجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً ، ويلوي أعناق الآيات ، ويحتال في التأويل ليصرفه إلى عقيدته ، وإلى مذهبه بأي طريق ، وإن كان في غاية البعد والغرابة ، وهذا كما فعل الزمخشري المعتزلي في اعتزالياته (٢) في تفسيره (الكشاف) ، وكما فعل الشيعة في تفاسيرهم .

٥- التفسير بالمرويات الموضوعة والمكذوبة والضعيفة غير المقبولة سواء في أسباب النزول ، أو الفضائل ، أو القصص ... إلخ ، أو الإسرائيليات ، فإن هذا مما يذهب بجمال القرآن ، ويشغل عن التدبر والاعتبار ، وإن اضطر لذكر شيء من ذلك فيبين درجة ضعفه .

ثانياً : تفسير ما يستحيل معرفته إلا بالأدلة السمعية :
(علوم القرآن الممكن معرفتها والعكس)

إن علوم القرآن تنقسم إلى ثلاثة أنواع منها ما يستحيل معرفته ولا يجوز للمفسر الخوض فيه ، ومنها ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع ، ومنها ما يمكن معرفته ، ويجوز للمفسر البحث فيه ، وتفصيلها كما يلي :

---

(١) ص / ٢٦ .

(٢) المقصود : ما قرره من عقائد المعتزلة وهو أحد أعلامهم ، كنفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، وكخلود أصحاب الكبائر في النار .

أ – النوع الأول : ما استأثر الله بعلمه :

وهو العلم الذي استأثر الله به ، وحجبه عن عباده ، وجعله سراً من أسراره كمعرفة حقيقة ذاته وصفاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو . وهذا النوع لا يجوز لأحدٍ الخوض فيه بوجهٍ من الوجوه إجماعاً كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله .

ب – النوع الثاني : ما اختصَّ الله به نبيه – ﷺ – :

وهو العلم الذي أطلع الله عليه نبيه – ﷺ – واختصَّه به من أسرار الكتاب ، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له – ﷺ – ، أو لمن أذن له . قيل : ومنه الحروف المقطعة أوائل السور ، ومن العلماء من يجعلها من النوع الأول .

ج – النوع الثالث : ما علَّمه الله نبيه – ﷺ – وأمره بتبليغه :

وهو العلم الذي علمه الله نبيه – ﷺ – مما أودع في كتابه من المعاني الجلية والخفية والحكمة ، وأمره بتبليغها وتعليمها ، وهي قسمان :

١– ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع :

وذلك كالقراءات ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وقصص الأمم الماضية ، وأخبار القيامة وما يحدث فيها ، وما إلى ذلك .

٢– ما يعرف بطريق النظر والاستدلال والاستنباط :

من الآيات والعبارات والألفاظ ، وهو على نوعين :

(أولهما) : المختلف في جوازه ، وهو ما يتعلق بتأويل الآيات المتشابهات في الصفات .

(وثانيهما) المتفق على جوازه ، وهو ما يتعلق باستنباط الأحكام الأصلية والفرعية من آيات الأحكام ، واستخراج المواعظ والأمثال والحكم والإشارات ونحوها من كل ما لا يمتنع استنباطه واستخراجه من القرآن لمن كان أهلاً للاجتهاد والتأويل .

ثالثاً : التفسير بمجرد الرأي :

(منشأ الخطأ في التفسير بالرأي)

وقع الخطأ الكثير في التفسير من بعض المفسرين الذين عدلوا عن مذاهب الصحابة والتابعين ، وفسروا بمجرد الرأي غير مستندين إلى أصول التفسير ، وغير متذرعين بالعلوم والأدوات التي يجب اعتمادها في التفسير .

وبدأ منشأ هذا الخطأ بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، وظهر ذلك في الكتب التي جدت بعد ذلك كتفاسير المعتزلة والشيعة ، فهي مليئة بأخطاء لا تغتفر ارتكبوها نصرة لمذاهبهم وعقائدهم .

ويرجع هذا الخطأ غالباً إلى جهتين وهما :

أ) الجهة الأولى :

أن يعتقد المفسر معنىً من المعاني ، ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه مع تجاوز ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان .

والخطأ الذي يرجع إلى هذه الجهة يقع على اربع صور ، وهي :

١- الصورة الأولى :

أن يخالف المفسر ظاهر القرآن ، بمعنى صائب يثبته أو ينفيه ، مع عدم نفيه لهذا الظاهر ، والخطأ هنا يكون في الدليل لا في المدلول . وهذه الصورة تنطبق على كثير من تفاسير الصوفية والوعاظ ، ومثالها : قوله - تعالى - : ﴿ **ولو أنا كتبنا**

عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ... ﴾ [1] ، قال السلمي في تفسيرها : "اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها ﴿ أو اخرجوا من ديار كم ﴾ أي : أخرجوا حب الدينا من قلوبكم ..." [2] فالمدلول (أي المعنى) الذي ذكره صحيح شرعاً ، ولكن استدلاله بهذه الآيات (أي الدليل) خطأ ، لأنه لا يدل على ما ذكر وإنما يدل على المعنى الحقيقي الوارد في الآيات .

٢- الصورة الثانية :

أن يخالف المفسر ظاهر القرآن بمعنى صائب يثبته أو ينفيه ، مع نفيه لهذا الظاهر ، والخطأ هنا يكون في الدليل لا في المدلول أيضاً . وهذه الصورة تنطبق على تفاسير إشارية لبعض الصوفية . ومثالها : قوله - تعالى - : ﴿ . **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ [3] ، قال التستري : "لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة ، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره" [4] .

٣- الصورة الثالثة :

أن يخالف المفسر ظاهر القرآن بمعنى خطأ يثبته أو ينفيه ، مع عدم نفيه لهذا الظاهر ، والخطأ هنا يكون في الدليل والمدلول معاً . وهذه الصورة تنطبق على أباطيل بعض الصوفية ، ومثاله : قوله - تعالى - : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتَّلْ إليه تبتيلا** ﴾ [5] ، قال ابن عربي في تفسيرها : "واذكر اسم ربك الذي هو أنت ، أي : اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله ..." [6] .

---

(١) النساء / ٦٦ . (٢) حقائق التفسير / ٤٩ .
(٣) البقرة / ٣٥ والأعراف / ١٩ . (٤) تفسير التستري / ١٦ .
(٥) المزمل / ٨ . (٦) التفسير المنوسب لابن عربي ٣٥٢/٢ .

٤- الصورة الرابعة :

أن يخالف المفسر ظاهر القرآن بمعنى خطأ يثبته أو ينفيه ، مع نفيه لهذا الظاهر ، والخطأ هنا يكون في الدليل والمدلول معاً . وهذه الصورة تنطبق على تفاسير أهل البدع والمذاهب الباطلة كالشيعة والمعتزلة . ومثاله : أن بعض غلاة الشيعة يفسرون "الجبت والطاغوت" بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وأن بعض المعتزلة فسر لفظ ﴿ إلى ﴾ في قوله - تعالى - : ﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة O إلى ربها ناظرة** ﴾ [(١)] بالنعمة ، ذهاباً منهم إلى أن (إلى) واحد الآلاء ، بمعنى النعم ، فيكون المعنى : ناظرةٌ نعمة ربها ، على التقديم والتأخير [(٢)] .

ب) الجهة الثانية :

أن يفسر القرآن بمجرد ما يجوز أن يدل عليه اللفظ العربي ، وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن ، والمنزل عليه ، والمخاطب به ، وسياق الكلام .

والخطأ الذي يرجع إلى هذه الجهة يقع على صورتين ؛ هما :

١- الصورة الأولى :

أن يخالف المفسر المعنى المراد للَّفظ ، بمعنى آخر يحتمله من معانيه غير مراد ، وذلك كاللفظ الذي له أكثر من معنى ، ومثاله : قوله تعالى : ﴿ ... **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ... ﴾ [(٣)] ، فلفظ ﴿ **أمة** ﴾ له معانٍ عديدة منها : الجماعة ، والرجل الجامع لصفات الخير ، والطريقة المسلوكة في الدين . فمن فسرها في الآية بغير المعنى الأخير فقد أخطأ .

---

(١) القيامة / ٢٢ ، ٢٣ . (٢) أمالي السيد المرتضى ٢٨/١ . (٣) الزخرف / ٢٢ .

٢- الصورة الثانية :

أن يخالف المفسر المعنى المجازي المراد للفظ ، بالمعنى اللغوي للفظ وغير المراد في الآية ، وهذا يعرف بقرينة كالسياق مثلاً ، ومثاله قوله - تعالى - : ﴿ ... **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ... ﴾ (١) ، فلفظ : ﴿ **مبصرة** ﴾ في اللغة : من الإبصار بالعين ، وهو غير مراد ، والمراد : آية واضحة (٢) .

---

(١) الإسراء / ٥٩ .

(٢) رجعنا في هذا المطلب إلى : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥٥/١٣ وما بعدها . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢٧٥/١ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ - ٢٨٤ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٥٠/٢ ، ٥١ ودراسات في التفسير ورجاله . للجبوري / ٤٨

المطلب الثاني

(التعارض بين التفسير بالرأي والتفسير المأثور)

أولاً : المقصود من التعارض بين التفسيرين :

إن التفسير بالرأي المذموم ليس مقصوداً هنا ؛ لأنه ساقط ابتداءً ، وخارج عن محيط التفسير الجائز ، ولا يقوى على معارضة المأثور .

والمقصود بالتفسير بالراي هو : التفسير بالرأي الجائز المحمود ، والمقصود بالتعارض بينه وبين التفسير بالمأثور هو : التنافي والتناقض والتقابل بينهما ، وذلك بأن يدل أحدهما على إثبات والآخر على نفي ، بحيث يستحيل الجمع بينهما بحال .

وأما إذا انعدمت المنافاة فلا تعارض بينهما ، وإن تغايرا ما أمكن الجمع ، ومثال ذلك تفسيرهم : ﴿ ... **الصراط المستقيم** ﴾ [1] بالإسلام ، أو بالقرآن ، أو بالسنة ، أو بطريق العبودية ، أو طاعة ا لله . فهذه المعاني غير متنافية وغير متناقضة وإن تغايرت ؛ لأن طريق الإسلام هو طريق القرآن ، وهو طريق السنة ، وهو طريق العبودية ، وهو طاعة ا لله ورسوله – ﷺ – .

ثانياً : صور التعارض بين التفسيرين :

أ – أن يكون التفسيران قطعيين :

وهذه الصورة فرضية ، لأنه لا يعقل تعارض بين قطعيّ وقطعيًّ ، ومن المحال أن يتناقض الشرع مع العقل .

---

(١) الفاتحة / ٦ .

ب – أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً :

وهنا يقدم القطعي منهما على الظني إذا تعذر الجمع والتوفيق بينهما ، أخذاً بالأرجح وعملاً بالأقوى ، لأن اليقين أقوى من الظن .

ج – أن يكون التفسيران ظنيين :

فإن أمكن الجمع بينهما ، وجب حمل النظم الكريم عليهما . وإن تعذر الجمع قدم التفسير المأثور عن النبي - ﷺ - إن ثبت من طريق صحيح ، وكذا يقدم ما صح عن الصحابة – رضي الله عنهم – لاحتمال سماعهم له من النبي – ﷺ – ، ولماامتازوا به من الفهم الصحيح والعمل الصالح ، ولما اختصوا به من مشاهدة التنزيل .

وأما المأثور عن التابعين فإن كان منقولاً عن أهل الكتاب قدم التفسير بالرأي عليه ، وأما إذا لم ينقل عنهم وتعذر الجمع عمدنا إلى الترجيح بينهما ، فما أيده السمع أو الاستدلال رجحناه ، وحملنا النظم الكريم عليه ، وإن تعذر الترجيح لاشتباه القرائن ، أو لتعارض الأدلة والشواهد أو لسبب أو لآخر ، توقفنا في الأمر ، ولا نقطع بأن أحدهما هو المراد ، بل نؤمن بمراد الله ولا نتهجم على تبيينه ، وإنما ننزل اللفظ الكريم منزلة المجمل قبل تفصيله ، والمتشابه أو المبهم قبل تعيينه [1] .

---

(١) رجعنا في ذلك إلى : مناهل العرفان في علوم القرآن . للزرقاني ٦٣/٢ – ٦٥ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢٨٤/١ – ٢٨٧ .

المطلب الثالث

(منهج المفسرين بالرأي)

إذا ألم المفسر بالرأي بالعلوم والأدوات التي يجب توافرها فيه ليتمكن من تفسير القرآن تفسيراً معقولاً ومقبولاً ، وإذا اكتملت فيه الشروط العلمية والعقلية والدينية [1] التي لابد منها للمفسر ، وجب عليه أن ينهج في تفسيره منهج الصواب والسداد ، ولا يحيد عنه ما استطاع إليه سبيلاً ، وتفصيل الحديث عنه كما يلي :

أولاً : تجنب ما لا يجوز في التفسير :

وذلك يكون بتجنبه للأمور الآتية :

١- التفسير بالجهل والهوى .

٢- تفسير ما يستحيل معرفته ، وما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع .

٣- التفسير بمجرد الرأي [2] .

ثانياً : التفسير بالمأثور أولاً :

يجب على المفسر أن يطلب المعنى أولاً من القرآن الكريم ، فإن لم يجده طلبه من السنة النبوية ؛ لأنها مبينة للقرآن ، فإن أعياه الطلب رجع إلى أقوال الصحابة لأنهم أدرى بكتاب الله ، وأعلم بمعانيه لما اختصوا به من مشاهدة تنزيله ، ومعرفة أسباب نزوله ، ولما امتازوا به من الصحبة والهدى والعلم والعمل ، فإن

---

(١) سبق تفصيل ذلك صفحة / ١٢٥ وما بعدها .

(٢) سبق تفصيل ذلك صفحة / ١٥٦ وما بعدها .

لم يجد في أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - رجع إلى أقوال التابعين - رحمهم الله - فيأخذ بما أجمعوا عليه ، ويختار مما اختلفوا فيه أو يترك ويقول برأيه [1] .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً ، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه ... ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه ، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله - ﷺ -" [2] .

ثالثاً : الترجيح عند التعارض بين الرأي والمأثور :

إذا تعارض التفسير بالرأي مع التفسير بالمأثور وجب الجمع بينهما ما أمكن ، وإذا استحال ذلك عمد المفسر إلى الترجيح بينهما ،فإذا كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً ؛ اعتمد القطعي لأنه أقوى في الدلالة ، ولأن اليقين أقوى من الشك ، وإن كانا ظنيين قدم المأثور عن النبي - ﷺ - ، وعن الصحابة على الرأي ، وأما مأثور التابعين فيقدم ما أجمعوا عليه على الرأي ، وما اختلفوا فيه يرجح المفسر بينه وبين الرأي [3] .

رابعاً : الاجتهاد باتباع قواعد التفسير بالرأي :

إن لم يظفر المفسر بالمعنى في القرآن الكريم ، ولا في السنة ، ولا مأثورات الصحابة ، ولا إجماع التابعين ، وجب عليه أن يبذل جهده ووسعه وطاقته في

---

(١) سبق تفصيل ذلك صفحة / ٢٧ وما بعدها و٣٢ وما بعدها و٣٨ وما بعدها ، و٦٨ وما بعدها ، و١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣ ، ٣٦٢ .

(٣) سبق تفصيل ذلك في المطلب السابق .

التفسير متبعاً القواعد الآتية ما أمكنه ذلك ؛ بحيث لا يحيد عنها ، ولا يخرج عن نطاقها ، وهذه القواعد هي ما يأتي :

أ) الحديث عن السورة عموماً :

فتحت عنوان : (بين يدي السورة) أو ما يشابهه يذكر المفسر كون السورة مكية أو مدنية ، وعدد آياتها ، ثم يذكر بشرح موجز المواضيع التي تعالجها السورة حسب ترتيبها الوارد فيها ، ثم يختم بالأحاديث النبوية الصحيحة ، أو آثار الصحابة الصحيحة الواردة في سبب نزولها وفي شأنها وفضلها عموماً .

وله أيضاً أن يربط بين السورة ومواضيعها عموماً ، وبين السورة أو السور السابقة لها ؛ كما فعل الفخر الرازي - رحمه الله - في تفسيره الكبير المسمى : (مفاتيح الغيب) ، وكما فعل الشيخ سعيد حوى في تفسيره (الأساس في التفسير) .

ب) ذكر المناسبة بين السابق واللاحق :

يجب على المفسر أن يراعي التناسب بين السابق واللاحق ، فيبين وجه المناسبة بين فقرات الآية الواحدة ، وبين الآيات وبعضها البعض ، والمناسبة تذكر قبل سبب النزول ؛ لأنها سابقة عليه ، ولأنها المصححة لِنَظْمِ الكلام ، إلا أن تكون المناسبة متوقفة على سبب النزول فيقدم سبب النزول عليها على اعتبار تقديم الوسائل (كاسباب النزول) على المقاصد (كالمناسبات بين الآيات) .

ومثال ذلك قوله - تعالى - : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ...** ﴾ [1] . نزلت في ولاة الأمور ليعطوا الناس حقوقهم [2] (أي : حقوق الناس على الأمراء) . المناسبة : فإن

---

(١) النساء / ٥٨ .

(٢) انظر : جامع البيان . للطبري ٥/١٤٤ ، ١٤٥ .

هم فعلوا ذلك كان حقًا على الناس أن يطيعوهم (أي : حقوق الأمراء على الناس)

وهذا ما أمر الله به في الآية التالية : ﴿ **يـا أيهـا الذيـن آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـو الرسول وأولي الأمر منكم** ... ﴾[1] .

قال علي – رضي الله عنه – : "كلمات أصاب فيهن : حـق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يؤدي الأمانة ، وإذا فعـل ذلـك ، فحـق على النـاس أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا" [2] .

(فأنت ترى أن سبب النزول كان مفتاحاً لمعرفة المناسبة بين الآيتين لذلك قدم على المناسبة) .

وذكر المناسبة بين السابق واللاحق من الآيات يوضح تناسب آيات القرآن وعدم تفككها ، ويربط التفسير بعضه ببعضٍ ، ويظهره بصورة التفسير الموضوعي ، مما يسهل فهمه واستيعابه ، ويهيئ الذهن لمتابعته .

ج) ذكر سبب النزول :

كل آية قرآنية نزلت على سبب فلابد مـن ذكـره ، مع اعتماد الروايـات الصحيحة في ذلك ، ولسبب النزول مدخلٌ كبيرٌ في تفسير الآيات ، وفهم مراده ، وإزالة الإشكال والالتباس عن معناها ، إضافة إلى معرفة من نزلـت فيـه الآيـة بعينـه حتى لا يتهم البريء ، ولا يبرأ المتهم .

فمثلاً : التعارض والإشكال بين الحكم الموجب للتوجه للقبلة في الصلاة في قوله – تعالى – : ﴿ ... **فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولـوا وجوهكم شطره** ... ﴾[3] ، والحكم المجيز للتوجـه إلى أي جهـة في قولـه تعالى :

---

(١) النساء / ٥٩ . (٢) جامع البيان . للطبري ١٤٥/٥ . (٣) البقرة / ١٤٤

﴿ و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه ا لله إن ا لله واسع عليم ﴾ [1] .
يزول بمعرفة سبب نزول الآية الثانية ، قال ابن عمر - رضي ا لله عنهما - : كان رسول ا لله - ﷺ - يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه ، وفيه نزلت : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه ا لله ﴾ ، وبذلك يكون الحكم في الآية الأولى هو الأصل ، وفي الثانية خاص لمن صلى النافلة على راحلته في السفر ، ولمن صلى وهو لا يعرف القبلة ، ثم تبين له خطؤه ، فلا جناح عليه [2] .

د) ذكر ما يتعلق باللغة والبلاغة :

يذكر المفسر - بعد ما سبق ذكره - ما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ، ملاحظاً المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب ، فيبدأ بالإعراب ، ثم بالبلاغة : المعاني ، فالبيان ، فالبديع ، على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية .

هـ) بيان التفسير والمعنى المراد :

ويكون ذلك بمراعاة عدة أمور ، وهي :

١- تقديم المعنى الحقيقي على المجازي ، بحيث لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذَّرت الحقيقة .

٢- مطابقة التفسير للمفسَّر ، من غير نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى ، ولا زيادة لا تليق بالغرض ولا تناسب المقام ، كالحشو من علوم النحو وعلوم الدين المختلفة والخوض في دلائل مسائلها ، فهذه يؤخذ بمسائلها مسلمة في علم التفسير دون استدلال عليها .

---

(١) البقرة / ١١٥ . (٢) انظر : دراسات في القرآن وعلومه . د. عصام زهد / ٣٧ ، ٣٨ .

٣- مراعاة المقصود والغرض من سياق الكلام .

٤- مطابقة التفسير للثابت من علوم الكون ، وسنن الاجتماع ، وتاريخ البشر العام ، وتاريخ العرب ، وأهل الكتاب الخاص أيام نزول القرآن .

٥- مطابقة التفسير لما كان عليه النبي - ﷺ - في هديه وسيرته ؛ لأنه - ﷺ - هو الشارح المعصوم للقرآن بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وشمائله وتقريراته

٦- أن يكون أسلوبه وطريقه في التفسير والبيان هادفاً قاصداً ، قوي العبارة ، بليغ التعبير ، ليس بالموجز المخل ، ولا بالطويل الممل ، خالياً من الألفاظ والتعابير المبتذلة ، محلًّا وموشحاً بالأدب والجمال الفني ، وغنياً بسلاسة التعابير واسترسالها .

و) ذكر الأحكام والفوائد والإرشادات :

ويختم المفسر بذكر ما يمكن استنباطه من الآية من الأحكام والفوائد ، والإرشادات ، ولكن في حدود قوانين : اللغة ، والشريعة ، والعلوم الكونية .

خامساً : العمل بقانون الترجيح عند الاحتمال :

على المفسر أن يكون يقظاً فطناً ، عليماً بقانون الترجيح ، وذلك ليرجح ويختار عن علمٍ من بين الوجوه والمعاني التي تحتملها الآية ، ذلك أن كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً هو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل في اجتهادهم دون مجرد الرأي ، وذلك من خلال قانون الترجيح الذي نلخص نقاطه فيما يلي :

١- إذا كان أحد المعنيين أظهر من الآخر وجب الحمل على المعنى الأظهر .

ومثال ذلك : لفظ ﴿ **نقعاً** ﴾ الوارد في قوله - جل ثناؤه - : ﴿ **فأثرن به نقعاً** ﴾ (١) له عدة معانٍ في اللغة منها : الغبار ، الصوت المرتفع ، قتل ، شق

---

(١) العاديات / ٤ .

الجيب ، صوت النعامة ، الماء المستنقع ، الريق المجتمع في الفم [1] .

وأنسب وأظهر هذه المعاني للآية وللسياق القرآني هو : (الغبار) ، ومعنى الآية : فأثارت خيل المجاهدين في معترك القتال غباراً . وأما المعاني الأخرى فهي خفية غير مرادة هنا ، لأن (القتل) لا يقع من الخيل وإنما من المجاهدين ، ولأن (الصوت المرتفع) من صفات الحمير وليس من صفات الخيل ، ولأن (المعاني الأخرى) لا يحتملها سياق الآية ، وبذلك المعنى قال جماهير المفسرين واللغويين [2] ، وقال الشوكاني - رحمه الله - : "هذا هو المناسب لمعنى الآية ، وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى ، فإن قولك : أغارت الخيل على بني فلان صبحاً فأثرن به صوتاً ، قليل الجدوى ، مغسول المعنى ، بعيد من بلاغة القرآن المعجزة" [3] .

٢- إذا كان أحد المعنيين أظهر من الآخر وقام الدليل على إرادة الآخر (الخفي) وجب حمل المعنى عليه .

ومثال ذلك : قول إخوة يوسف لأبيهم كما ذكر الله - تعالى - : ﴿ وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ﴾ [4] . فالمعنى الأظهر في الآية أن يسأل يعقوب - عليه السلام - ذات القرية ، والإبل المحملة بالميرة ، ولكن قام الدليل العقلي بأن هذا المعنى غير مقصود لأن القرية لا تجيب من يسألها وكذا الإبل . إذن المراد هو المعنى الخفي : أي اسأل أهل القرية ، واسأل أصحاب الإبل . وبهذا المعنى قال جمهور المفسرين [5] .

---

(١) انظر : القاموس المحيط . للفيروزأبادي ٨٩/٣ ، ٩٠ . ومختار الصحاح . للرازي / ٦٧٦ ، ٦٧٧ .

(٢) فتح القدير . للشوكاني ٤٨٢/٥ . وجامع البيان . للطبري ٢٧٥/٣٠ ، ٢٧٦ . وتفسير القرآن العظيم . لابن كثير ٥٤٢/٤ . وتفسير الجلالين للمحلى والسيوطي / ٨٠٨ . والتسهيل لعلوم التنزيل . للكلبي ٢١٤/٤ .

(٣) فتح القدير ٤٨٢/٥ .

(٤) يوسف / ٨٢ .

(٥) انظر : فتح القدير للشوكاني ٤٦/٣ . وجامع البيان . للطبري ٣٧/١٣ . وتفسير الجلالين . للمحلى والسيوطي / ٣٢٢ . والتسهيل لعلوم التنزيل . للكلبي ١٢٦/٢ .

٣- إذا استوى المعنيان وكان في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية ، فيحمل المعنى على الشرعية .

ومثال ذلك قوله - تبارك وتعالى - : ﴿ ... **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ... ﴾ (١) ، فالصيام لغة : هو مطلق الإمساك سواء عن الطعام أو الكلام أو السير أو ما إلى ذلك (٢) ، وشرعاً : الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس (٣) . وعلى هذه الحقيقة الشرعية يحمل معنى الآية وبذلك أجمع المفسرون والعلماء .

٤- إذا استوى المعنيان وكان في أحدهما حقيقة شرعية ، وفي الآخر حقيقة لغوية دل الدليل على إرادتها فيحمل المعنى عليها .

ومثال ذلك قوله - تعالى - : ﴿ ... **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ... ﴾ (٤) . فالصلاة لغة : الدعاء (٥) ، واصطلاحاً : العبادة المعروفة . وقد قام الدليل على أن المراد هنا الحقيقة اللغوية ، حيث ثبت أن النبي - ﷺ - بعد نزول هذه الآية كان يدعو ويستغفر للمتصدقين . وبهذا المعنى قال المفسرون (٦) . أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان النبي - ﷺ - إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : (**اللهم صلِّ على آل فلان**) فأتاه أبي بصدقته فقال : (**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**) (٧) .

---

(١) البقرة / ١٨٧ . (٢) انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٣٧٤ .

(٣) انظر : فتح القدير . للشوكاني ١٧٩/١ . (٤) التوبة / ١٠٣ .

(٥) انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٣٦٨ .

(٦) انظر : جامع البيان . للطبري ١٦/١١ وما بعدها . وفتح القدير للشوكاني ٣٩٩/٢ وما بعدها . وتفسير الجلالين . للمحلى والسيوطي / ٢٦٦ . والدر المنثور . للسيوطي ٢٨١/٤ .

(٧) صحيح البخاري مع الفتح (واللفظ له) . كتاب (الزكاة) باب (صلاة الإمام ودعائه =

٥- إذا استوى المعنيان وكان في أحدهما حقيقة عرفية ، وفي الآخر حقيقة لغوية ، فيحمل المعنى على العرفية .

ومثال ذلك قوله - جل ثناؤه - : ﴿ ... أو جاء **أحدٌ منكم من الغائط** ... ﴾ [١] . فالغائط لغة : هو المكان المنخفض من الأرض أو المتسع من الأودية . وعرفاً : قضاء الحاجة بالإخراج من السبيلين . حيث كان من يريد قضاء حاجته يقصد غائطاً من الأرض تستراً عن أعين الناس ، والعرف أطلق هذا اللفظ على الحدث نفسه فصار كل من قضى حاجته يُقال عنه جاء من الغائط [٢] ، ومعنى الغائط في الآية يحمل على الحقيقة العرفية وهو : قضاء الحاجة بالإخراج من السبيلين سواء كان في غائط من الأرض أو غيره .

٦- إذا تنافى اجتماع المعنيين ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد اجتهد المفسر بالترجيح بينهما بالأدلة .

ومثال ذلك قوله - عز وجل - : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ... ﴾ [٣] ، فلفظ ﴿ **قروء** ﴾ جمع : قرء ، وهو لغة : الحيض ، وأيضاً : الطهر . فله معنيان متنافيان . وبناءً على ذلك اختلف المفسرون في معنى الآية إلى قولين :

(أولهما) المطلقات يتربصن بأنفسهن وقت ثلاثة حيضات .

(وثانيهما) : وقت ثلاثة أطهار [٤] .

= لصاحب الصدقة ...) ٢٨٢/٣ . وصحيح مسلم . كتاب، ١٢ (الزكاة) باب ٥٤ (الدعاء لمن أتى بصدقته) ٧٥٦/٢ ، ٧٥٧ حديث (١٠٧٨) .

(١) النساء / ٧٣ .

(٢) انظر : جامع البيان . للطبري ١٠١/٥ . وفتح القدير . للشوكاني ٤٧٠/١ . ومختار الصحاح . للرازي / ٤٨٤ .

(٣) البقرة / ٢٢٨ .

(٤) انظر : فتح القدير . للشوكاني ٢٣٥/١ . وجامع البيان . للطبري ٤٣٨/٢ وما بعدها .

وثمرة الخلاف بين القولين أن التربص على القول الثاني أطول زمناً من التربص على القول الأول لأن الطهر أطول من الحيض .

وهناك آيات وأحاديث متعلقة بهذه المسألة يستعين بها المفسر في اجتهاد، للترجيح بين المعنيين .

٧- إذا اجتهد المفسر - في النقطة الماضية - ولم يظهر له شيء يرجحه ، فللعلماء أقوال ثلاثة في المسألة :

(أولها) يتخير في حمل المعنى على أيهما شاء . ففي المثال السابق يتخير في حمل معنى القرء على الحيض أو الطهر .

(وثانيها) يحمل المعنى على الأغلظ حكماً . ففي المثال السابق يحمل معنى القرء على الحيض لأنه أقل وأخف من الطهر .

(وثالثها) يحمل المعنى على الأخف حكماً . ففي المثال السابق يحمل معنى القرء على الطهر لأنه أطول من الحيض . وبذلك تكون فرصة الزوج أوفر في مراجعة زوجته .

٨- إذا لم يتنافَ المعنيان وجب حمل المعنى عليهما عند المحققين ، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة ، إلا إن دلَّ دليلٌ على إرادة أحدهما [1] .

---

(١) رجعنا في هذا المطلب إلى المراجع الاتية : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١/١٣ وما بعده . والإتقان في علوم القرآن . للسيوطي ١٨٢/٢ . ومناهل العرفان في علوم القرآن . للزرقاني ٥٩/٢ - ٦١ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢٧٧/١ - ٢٨٠ .

الفصل الثاني

(أهم اتجاهات التفسير بالرأي وكتبها)

ويتكون من المباحث الآتية :

المبحث الأول : التفسير بالرأي الجائز .

المبحث الثاني : التفسير اللغوي .

المبحث الثالث : التفسير العلمي .

المبحث الرابع : التفسير الإصلاحي الاجتماعي .

المبحث الخامس : التفسير الفقهي .

المبحث السادس : التفسير الإشاري .

المبحث السابع : التفسير الموضوعي .

مدخل للفصل

بدأ تدوين كتب التفسير بالرأي قديماً منذ القرن الثاني الهجري تقريباً ، وبمرور العصور ، وكر الدهور ، وابتعاد الناس زمنياً عن عصر النبوة ، اشتدت حاجة الناس لهذا الفن ، مما أدى إلى ازدياد التأليف فيه ، حتى زخرت المكتبات الإسلامية في مختلف الأقطار بثروة ضخمة منه .

ولكن بسبب الحروب الكثيرة التي اجتاحت كثيراً من بلاد المسلمين منذ القدم وحتى الآن كالحروب الصليبية ، والمغولية ، والعالمية الأولى والثانية ، وغير ذلك فُقد كثير من المؤلفات الإسلامية إما لأن الكفار أحرقوها ودمروا مكتباتها كما فعل التتار بمكتبة بغداد ، وإما لأنهم نقلوها إلى مكتباتهم ومتاحفهم في بلادهم كما فعل بعض الأوربيين .

ولهذا السبب المباشر ولغيره اندثرت كثير من التفاسير وانقطعت أخبارها ، وما وجد منها اليوم منه ما طبع ونشر وخرج إلى النور بإذن الله ، ومنه ما صور ونشر بخط مخطوطته ، ومنه من ينتظر ، ومنه ما زال كالأرض الموات التي تحتاج من يحييها .

سنتناول بالحديث الموجز - إن شاء الله تعالى - أهم اتجاهات التفسير بالرأي ، وسنفصل الحديث وبالأمثلة التطبيقية عن نماذج مختارة لأهم كتبها ومنهج مؤلفيها . وهذه الأمثلة سنقتطفها منها مباشرة وبنصها لتعرفنا على التفاسير ومناهج مؤلفيها ، ولنعيش معها ولو للحظات .

ومما يجدر ذكره أن هذه النماذج منها ما تغلب عليه الصناعة اللغوية ، ومنها ما تغلب عليه النزعة الفلسفية الكلامية ، ومنها ما تطغى فيه الناحية القصصية ، ومنها غير ذلك ، ومنها ما يشتمل على أكثر من نزعة كتفسير الفخر الرازي (1) ، ومنها ما ينضوي تحت التفسير بالرأي الجائز عموماً دون أن تغلب عليها نزعة معينة ، وهذه سنذكرها في مبحث : (التفسير بالرأي الجائز) .

وسنفصل الحديث عن اتجاهات التفسير بالرأي ، ونرتب ذكرها حسب أهميتها .

المبحث الأول
(التفسير بالراي الجائز)

المطلب الأول
(أهم كتب التفسير بالرأي الجائز)

إن كتب التفسير بالرأي الجائز كثيرة جداً ، وقد استغرقت قرون أمة محمد - ﷺ - كلها قديماً وحديثاً وبين ذلك ، ولذلك سنذكر في هذا المطلب أهمها وأشهرها معرفين بها وبأصحابها بإيجاز ، وذلك بغض النظر عن النزعة التي قد تطغى على بعضٍ منها ، طالما كان منهجها غالباً ضمن منهج التفسير بالرأي الجائز ، إلا أننا سنفصل الحديث عن تفسير (روح المعاني) للألوسي ضمن مبحث (الاتجاه الإشاري في التفسير) لبروز هذه النزعة فيه ، وإن كان في أغلبه ضمن اتجاه التفسير بالرأي الجائز .

وأهم كتب التفسير بالرأي الجائز ما يلي :

أولاً : مفاتيح الغيب . لفخر الدين الرازي (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ) :

(هذا التفسير سيأتي الحديث عنه مفصلاً في المطلب الثاني) .

ثانياً : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للقاضي البيضاوي (المتوفى سنة ٦٨٥هـ أو ٦٩١هـ) :

(هذا التفسير سيأتي الحديث عنه مفصلاً في المطلب الثالث) .

ثالثاً : مدارك التنزيل وحقائق التأويل . للنسفي (٦١٠هـ - ٧٠١هـ) :

أ) تعريف النسفي : هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين .

ب) تعريف بتفسير النسفي : هذا التفسير جليل ، متداول مشهور ، وسط ، سهل دقيق ، مختصر من تفسيريّ البيضاوي والزمخشري ، شامل : لوجوه الإعراب ، والقراءات السبع ، وللنكت البلاغية ، والدقائق البديعية ، والمعاني الخفية ، وآراء المذاهب الفقهية مع الترجيح ، ومقل جداً من الإسرائيليات . مطبوع في أربعة أجزاء (١) .

رابعاً : لباب التأويل في معاني التنزيل . للخازن (المتوفى سنة ٧٤١هـ) :

أ) تعريف بالخازن : هو علاء الدين أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ، البغدادي الشافعي الصوفي المشهور بالخازن ، لقب بذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق .

ب) تعريف بتفسير الخازن : اختصره الخازن من (معالم التنزيل . للبغوي) وأضاف إليه ما نقله ولخصه من تفاسير أخرى مع تجنب الأسانيد والتطويل . وهو كثير المأثور ، والغزوات النبوية ، والتاريخ ، والإسرائيليات دون تعقيب عليها غالباً . ويستطرد في الفقه وفروعه وآراء الفقهاء وأدلتهم عند تفسير آيات الأحكام ، كما يستطرد بذكر المواعظ والرقاق وأحاديث الترغيب و لترهيب عند المناسبات .

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٣٠٤/١ - ٣٠٩ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٦٨/٢ . ودراسات في التفسير ورجاله . للجبوري / ١٠٧ ، ١٠٨ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٢ .

أساءت إليه كثيراً شهرته وسمعته الإسرائيلية . طبع قديماً في سبعة أجزء ، ومن الدور التي تنشره دار الفكر [1] .

خامساً : غرائب القرآن ورغائب الفرقان . للنيسابوري (من علماء رأس المائة التاسعة) :

أ) **تعريف النيسابوري** : هو نظام بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني النيسابوري .

ب) **تعريف بتفسير النيسابوري** : هذا التفسير سهل العبارة ، خالي من الحشو ، أسلوبه بديع شامل : للقراءات العشرة ، وللمناسبات ، وللأحكام الفقهية مع الترجيح بالدليل ، وللمسائل الكونية والفلسفية ، وينتصر لعقيدة أهل السنة ، ومتضمن لتفسيرات إشارية فصاحبه صوفي . وهو مطبوع على هامش تفسير الطبري [2] ، وله طبعات مستقلة .

سادساً : تفسير الجلالين . للمحلى (٧٩١هـ - ٨٦٤هـ) والسيوطي (٨٤٩هـ - ٩١٠هـ) :

أ) **تعريف بالمفسِّرَيْن** :

١- **المحلى** : هو جلال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلى الشافعي .

---

(١) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٦٩/٢ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٣١٠/١ - ٣١٦ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٣٢١/١ ، ٣٣٢ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٦٨/٢ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٥ ، ٣٦ .

ثالثاً : مدارك التنزيل وحقائق التأويل . للنسفي (٦١٠هـ - ٧٠١هـ) :

أ) تعريف النسفي : هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين .

ب) تعريف بتفسير النسفي : هذا التفسير جليل ، متداول مشهور ، وسط ، سهل دقيق ، مختصر من تفسيريّ البيضاوي والزمخشري ، شامل : لوجوه الإعراب ، والقراءات السبع ، وللنكت البلاغية ، والدقائق البديعية ، والمعاني الخفية ، وآراء المذاهب الفقهية مع الترجيح ، ومقل جداً من الإسرائيليات . مطبوع في أربعة أجزاء [١] .

رابعاً : لباب التأويل في معاني التنزيل . للخازن (المتوفى سنة ٧٤١هـ) :

أ) تعريف بالخازن : هو علاء الدين أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ، البغدادي الشافعي الصوفي المشهور بالخازن ، لقب بذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق .

ب) تعريف بتفسير الخازن : اختصره الخازن من (معالم التنزيل . للبغوي) وأضاف إليه ما نقله ولخصه من تفاسير أخرى مع تجنب الأسانيد والتطويل . وهو كثير المأثور ، والغزوات النبوية ، والتاريخ ، والإسرائيليات دون تعقيب عليها غالباً . ويستطرد في الفقه وفروعه وآراء الفقهاء وأدلتهم عند تفسير آيات الأحكام ، كما يستطرد بذكر المواعظ والرقاق وأحاديث الترغيب والترهيب عند المناسبات .

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٣٠٤/١ - ٣٠٩ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٦٨/٢ . ودراسات في التفسير ورجاله . للجبوري / ١٠٧ ، ١٠٨ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٢ .

أساءت إليه كثيراً شهرته وسمعته الإسـرائيلية . طبع قديماً في سبعة أجز ء ، ومن الدور التي تنشره دار الفكر [(١)] .

خامساً : غرائب القرآن ورغائب الفرقان . للنيسابوري (مر علماء رأس المائة التاسعة) :

أ) تعريف النيسابوري : هو نظام بن الحسن بن محمد بن الحسين لخراساني النيسابوري .

ب) تعريف بتفسير النيسابوري : هذا التفسير سهل العبارة ، خالي مر الحشو ؛ أسلوبه بديع شامل : للقراءات العشرة ، وللمناسبات ، وللأحكام الفقهية مع الترجيح بالدليل ، وللمسائل الكونية والفلسفية ، وينتصر لعقيدة أهل السنة . ومتضمن لتفسيرات إشارية فصاحبه صوفي . وهو مطبوع على هامش تفسير الطبري [(٢)] ، وله طبعات مستقلة .

سادساً : تفسير الجلالين . للمحلى (٧٩١هـ - ٨٦٤هـ) والسيوطي (٨٤٩هـ - ٩١٠هـ) :

أ) تعريف بالمفسِّرَيْن :

١- المحلى : هو جلال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلى الشافعي .

---

(١) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٦٩/٢ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٣١٠/١ - ٣١٦ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٣٢١/١ ، ٣٣٢ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٦٨/٢ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٥ ، ٣٦ .

٢- **السيوطي** : هو جلال الدين أبو الفضل ، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري الأسيوطي الشافعي

ب) **تعريف بتفسير الجلالين** : هذا التفسير عبارته موجزة محررة في غاية الحسن ونهاية الدقة ، وهو عظيم النفع ، وقد فسر المحلى من الكهف إلى آخر المصحف ، إضافة للفاتحة ومات ، وفسر السيوطي الباقي . وقد حظي بحواشي وطبعات كثيرة متنوعة (١) .

سابعاً : السراج المنير على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . للشربيني (المتوفى سنة ٩٧٧هـ) :

أ) **تعريف بالشربيني** : هو شمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب .

ب) **تعريف بتفسير الشربيني** : هذا التفسير : سهل المأخذ ، ممتع العبارة ، وسط ، جامع لخلاصة التفاسير السابقة خاصة تفسير الرازي ، يذكر القراءات المتواترة ، والأحاديث الصحيحة والحسنة ، والمناسبات ، والنكت التفسيرية ، والإشكالات ، والأحكام الفقهية دون توسع . وهو مطبوع في أربعة أجزاء كبيرة (٢) .

ثامناً : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز . لأبي السعود (٨٩٣هـ - ٩٨٢هـ) :

أ) **تعريف بأبي السعود** : هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي .

---

(١) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٦٦/٢ ، ٦٧ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٣٣٣/١ - ٣٣٨ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٦ .

(٢) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٦٨/٢ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٣٣٨/١ - ٣٤٥ . ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٦ ، ٣٧ .

ب) **تعريف بتفسير أبي السعود** : هذا التفسير : رائع ممتاز ، حسن التعبير ، مجلي لبلاغة القرآن ، وسط ، معتمد على الكشاف والبيضاوي ، وغيرهم ، يذكر المناسبات ، مقل من المسائل الفقهية ، ومن الإسرائيليات ، ويذكر عقائد أهل السنة ، ويختم بحديث عن فضل السورة رغم ضعف هذه الأحاديث . وهو مطبوع في خمسة أجزاء [1] .

تاسعاً : فتح القدير . لمحمد بن علي بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣هـ - ١٢٥٠هـ) .

(هذا التفسير سيأتي الحديث عنه مفصلاً) .

عاشراً : روح المعاني . للألوسي (١٢١٧هـ - ١٢٧٠هـ) :

(هذا التفسير سيأتي الحديث عنه مفصلاً) .

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم . لأبي السعود ٩١٢/٥ - ٩١٤ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٦٧/٢ ، ٦٨ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٣٤٥/١ - ٣٥٢ ومقدمة في التفسير . لأبي حذيفة / ٣٧ ، ٣٨ .

المطلب الثاني

(مفاتيح الغيب)

(لفخر الدين الرازي)

أولاً : تعريف بالفخر الرازي :

هو أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي القرشيّ النسب ، الملقب : بفخر الدين ، والمعروف : بابن الخطيب الشافعي ، والمولود بالرَّيِّ سنة ٥٤٤هـ ، والمتوفى بهراة سنة ٦٠٦هـ ، وقيل : مات بِسُمٍّ الكرامية لمخالفته لهم .

رحل في طلب العلم حتى جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها ، فكان عالماً في التفسير ، والكلام ، والعلوم العقلية ، والعلوم الكونية ، وعلوم اللغة ، وله شهرة كبيرة في الوعظ . أخذ العلم عن والده ، وعن الكمال السمعاني ، وعن خلق ، وأخذ عنه العلم خلق كثير .

له مصنفات كثيرة في مختلف العلوم ، قيل : خمسون مؤلفاً عربياً ، وقيل أكثر من سبعين خلا مؤلفاته بالفارسية . منها : (المطالب العالية) في علم الكلام (والمحصول) في أصول الفقه (والملخص) في الحكمة (ومفاتيح الغيب) في التفسير ... إلخ [1] .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان . لابن خلكان ٢/٢٦٥ - ٢٦٨ ، وشذرات الذهب . لابن العماد ٥/٢١ ، والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢/٢٩٠ ، ٢٩١ .

ثانياً : تعريف بتفسير (مفاتيح الغيب) للرازي :

هذا التفسير يحظى بشهرة واسعة بين العلماء ؛ لأنه فريد ، يمتاز عن غير، من التفاسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواحي شتى من العلوم ، فهو أشبه ما يكون بموسوعة في علوم الكلام ، والكون ، والطبيعة ، وغير ذلك ، ولهذا وصفه ابن خلكان بقوله : "إنه جمع فيه كل غريب وغريبة" [1] ، وأبو حيان بقوله : "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير" [2] .

ومما تبرز فيه قيمته أنه فتح الباب لعلماء التوحيد والكلام وأصول الفقه للاشتغال بالتفسير ، بعد أن كان هذا الفن حكراً على المحدثين والأدباء

والكتاب بالجملة رائع وفذ وفريد وعبقري وفتح من الله على صاحبه وعلى المسلمين وعلى المكتبة الإسلامية ، لا يستغني عنه عالم أو متعلم لما فيه من البحوث الفياضة التي لا توجد في غيره ، ولذلك نجد كثيراً من المفسرين يرجعون إليه بالاستفادة والنقل والأخذ عنه كالبيضاوي والنيسابوري والشربيني وغيرهم .

(ويقع هذا التفسير في ستة عشر مجلداً ، وهو مطبوع ومنشور متداول)

ولكن هل أتمه الفخر الرازي أم لا ؟ أقوال :

١- ذهب ابن قاضي شهبة وابن خلكان إلى أنه لم يتمه [3] .

٢- وذهب ابن حجر إلى أن الذي أكمله أحمد بن محمد القمولي المتوفى سنة ٧٢٧هـ [4] .

٣- وذهب حاجي خليفة إلى أن الخوبي كمل ما نقص منه وتوفي سنة ٦٣٩هـ ، وأن القمولي صنف تكملة له أيضاً [5] .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٢٧٦ . (٢) كشف الظنون ١/٢٣١ .

(٣) انظر : شذرات الذهب . لابن العماد ٥/٢١ . ووفيات الأعيان . لابن خلكان ٢/٢٦٧ .

(٤) الدرر الكامنة ١/٣٠٤ . (٥) انظر : كشف الظنون ٢/٢٩٩ .

٤- وذهب الذهبي إلى أن الرازي كتب إلى أول سورة الأنبياء ، ثم شرع الخوبي في تكملته ، ولكنه لم يتمه ، ثم أتى القمولي فأكمله ، كما يجوز أن يكون كل من الخوبي والقمولي كتب تكملة مستقلة له [(١)] .

٥- ذهب الشيخ بن عاشور كما نقل عنه الجبوري أن الكتاب بروحه هو للرازي كله ، وبتحريره هو من وضعه في الأول ، ووضعه تلميذه في الآخر تحريراً من المسودات التي أخذها عن شيخه [(٢)] .

ويشهد للقول الأخير أن الكتاب من أوله لآخره على نسق ونمط ومنهج واحد ، لا فرق بين الأصل والتكملة ، بحيث لا يمكن التمييز بين ما حرره الرازي وما حرره صاحب التكملة ، وا لله - تعالى - أعلم .

ثالثاً : منهج الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) [(٣)] :

١- قبل أن يشرع في تفسير السورة يذكر عدد آياتها ومكية أو مدنية ، وكثيراً ما يذكر المناسبة بينها وبين السورة السابقة ، ثم يذكر الأحاديث والآثار الواردة في فضلها ، وكذا يعقب بالوارد في سبب نزولها ، كما يذكر أسمائها . وكل ذلك قبل التفسير .

ومثال ذلك : قال الفخر الرازي - رحمه ا لله - : "(سورة الإخلاص أربع آيات مكية) بسم ا لله الرحمن الرحيم ﴿ **قل هو ا لله أحد** ﴾ قبل الخوض في التفسير

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون ٢/٢٩٣ . (٢) انظر : التفسير ورجاله / ٩٠ .

(٣) رجعنا في ذلك إلى مواضع من تفسير : مفاتيح الغيب . للرازي . ومناهل العرفان . للزرقاني ٢/٩٦ ، ٩٧ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢/٢٩٤ - ٢٩٦ . ولمحات في التفسير . للصباغ / ١٩٧ وما بعدها . ومباحث في علوم القرآن . للقطان / ٣٧٩ .

لابد من تقديم فصول : (الفصل الأول) روى أبي قال : قال رسول الله - ﷺ - : (**من قرأ سورة قل هو الله أحد ، فكأنما قرأ ثلث القرآن ، وأعطي من الأجر عشرة بعدد من أشرك بالله وآمن بالله**) ... [وذكر ست روايات في فضلها] (الفصل الثاني) في سبب نزولها ، وفيه وجوه (الأول) أنها نزلت بسبب سؤال المشركين ... (والثاني) أنها نزلت بسبب سؤال اليهود ... (والثالث) أنها نزلت بسبب سؤال النصارى .... (الفصل الثالث) في أساميها ... (فأحدها) سورة التفريد (وثانيها) سورة التجريد (وثالثها) سورة التوحيد (ورابعها) سورة الإخلاص (وخامسها) ... [وذكر عشرين اسماً لها بهذه الطريقة]" [1] .

وقال في المناسبة بين سورتي الإخلاص والفلق : "وقوله تعالى : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ [2] فيه مسائل : (المسألة الأولى) في قوله : ﴿ **قل** ﴾ فوائد (أحدها) أنه سبحانه لما أمر بقراءة سورة الإخلاص تنزيهاً عما لا يليق به في ذاته وصفاته ، وكان ذلك من أعظم الطاعات ، فكأن العبد قال : إلهنا هذه الطاعة عظيمة جداً لا أثق بنفسي في الوفاء بها ، فأجاب بأن قال : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ [3] (وثانيها) ... (وثالثها) .." [4] .

٢- يذكر - غالباً - مناسبة أو أكثر بين الآية والآية السابقة لها ، فهو مولع بذكر المناسبات .

٣- يذكر ما ورد في الآية من أسباب النزول .

ومثال على النقطتين الماضيتين قال - رحمه الله - : "قوله - عز وجل - : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا**

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٢ / ١٧٤ - ١٧٧ .   (٢) ، (٣) الفلق / ١ .

(٤) مفاتيح الغيب ١٨٩/٣٢ .

لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [1] ، في الآية مسائل : (المسألة الأولى) في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه (الأول) أنه - تعالى - لما قال بعد إيجاب فرض الصوم وبيان أحكامه ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [2] فأمر العبد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر ، بيَّن أنه - سبحانه - بلطفه ورحمته قريب من العبد ، مطلع على ذكره وشكره ، فيسمع نداءه ، ويجيب دعاءه ، ولا يخيب رجاؤه (والثاني) ... (والثالث) ... . (والمسألة الثانية) ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوهاً : (أحدها) ... (وثانيها) أن أعرابياً جاء إلى النبي - ﷺ - فقال : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية (وثالثها) ... (ورابعها) ... وخامسها) ... (وسادسها) ... (وسابعها) ... (وثامنها)" [3]

...

٤- يعرض للقراءات ، وينسب كل قراءة لصاحبها .

ومثال ذلك قال - رحمه الله تعالى - : "أما قوله - تعالى - : ﴿ **أجيب دعوة الداعِ إذا دعان** ﴾ [4] ففيه مسائل : (المسألة الأولى) قرأ أبو عامر وقالون عن نافع : ﴿ **الداعي إذا دعاني** ﴾ بإثبات الياء فيهما في الوصل ، والباقون بحذفها ، فالأولى على الوصل ، والثانية على التخفيف" [5] .

٥- ويعرض للإعراب ، وأحياناً يستطرد في الحديث عن المسائل النحوية .

٦- ويستطرد في الحديث عن معنى الألفاظ في اللغة ، وينقل آراء كبار العلماء في ذلك ، ويرجح بينها ، ويستدل بالقرآن وبالشعر على ذلك .

٧- يفسر الآية من نواحٍ متعددة ، لغة ، وبلاغة ، وفقهاً ، وما إلى ذلك .

---

(١) البقرة / ١٨٦ . (٢) البقرة . من الآية / ١٨٥ . (٣) مفاتيح الغيب ٩٣/٥ ، ٩٤ .

(٤) البقرة . من الآية / ١٨٦ . (٥) مفاتيح الغبب ٩٧/٥ .

٨- يكثر من الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره ما وجد صلة بين ذلك وبين اللفظ القرآني .

٩- يرد على المعتزلة والفلاسفة في كل مناسبة بعقيدة أهل السنة رداً لا يراه البعض - كابن حجر - كافياً ولا شافياً ؛ لأنه يذكر شبههم بأدلتها قوية ، بينما يذكر مذهب أهل السنة ضعيفاً .

١٠- عند تفسيره لآيات الأحكام يستطرد في ذكر المسائل الفقهية وتفريعاتها وما يتولد عنها ، ويفصل مذاهب الفقهاء في ذلك بالأدلة مع ترجيحه لمذهب الشافعي ولكن دون تعصب له .

ومثال ذلك أنه - رحمه الله - عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ...** ﴾ [(١)] ، استطرد وذكر أحكاماً فقهية كثيرة تتعلق بالحج والعمرة ، شملت جزءاً كبيراً من ثماني عشرة صفحة كبيرة فسر بها هذا الجزء من الآية [(٢)] .

ومما يدل على عدم تعصبه لمذهب الشافعي أنه عند تعرضه لآية الصدقات قال : "هذه الآية لا دلالة فيها على قول الشافعي ..." [(٣)] .

١١- يذكر الإشكالات التي تحتملها ظواهر الآيات ويزيلها بالأدلة والبراهين ، وهذا مما يحمد عليه .

ومثال ذلك قوله : "(المسألة الثالثة) في الآية سؤال مُشْكِل مشهور ، وهو أنه - تعالى - قال : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ [(٤)] ، وقال في هذه الآية :

---

(١) البقرة / ١٩٦ .
(٢) انظر : مفاتيح الغيب ٥ / ١٣٨ - ١٥٤ .
(٣) مفاتيح الغيب /
(٤) غافر . من الآية / ٦٠ .

﴿ **أجيب دعوة الداعِ إذا دعان** ﴾ [1] ، وكذلك : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ [2] ، ثم إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يُجاب . (والجواب) : أن هذه الآية وإن كانت مطلقة إلا أنه قد وردت آية أخرى مقيدة ، وهي قوله - تعالى - : ﴿ **بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء** ﴾ [3] ، ولا شك أن المطلق محمول على المقيد ، ثم تقرير المعنى فيه وجوه (أحدها) أن الداعي لابد أن يجد من دعائه عوضاً ، إما إسعافاً بطلبته التي لأجلها دعا ، وذلك إذا وافق القضاء ... (وثانيها) ... (وثالثها) ..." [4] .

١٢- يهتم كثيراً بالعلوم الرياضية ، والطبيعية ، والكونية ، والفلكية ، وما إلى ذلك ، ويخوض فيها ويتوسع ويفصل حتى صارت من المآخذ على تفسيره ؛ باعتبار أن هذه العلوم ليس محلها التفسير .

ومثال ذلك في تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس** ﴾ [5] كتب نحو خمس صفحات ، حدث في نحو أربعةٍ منها عن علوم الفلك والكون : ففصل الحديث عن المواقيت ، وأن الزمن مقدر بالسنة والشهر واليوم والساعة ، وتعريف القمر والشمس ، وسبب قوة نورالشمس وضعف نور القمر ، والحكمة من اختلاف أحوال القمر ... إلخ . وذكر تفصيلات وأقوالاً للعلماء في ذلك ، وضعَّف ورجح واستنبط ... إلخ [6] .

---

(١) البقرة . من الآية / ١٨٦ .
(٢) النمل . من الآية / ٦٢ .
(٣) الأنعام . من الآية / ٤١ .
(٤) مفاتيح الغيب ١٠٠/٥ ، ١٠١ .
(٥) البقرة . من الآية /١٨٩ .
(٦) انظر : مفاتيح الغيب ١١٩/٥ - ١٢٤ .

المطلب الثالث

(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

(للقاضـــي البيضـــاوي)

أولاً : تعريف بالبيضاوي :

هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي بن الخير ، قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي الشيرازي أبو سعد الشافعي من بلاد فارس . توفي في مدينة تبريز قال السبكي والأسنوي : سنة ٦٩١هـ ، وقال ابن كثير : سنة ٦٨٥هـ .

كان إماماً علامة ، عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ، وكان صالحاً متعبداً زاهداً شافعياً ، وقد ولي قضاء شيراز .

أثنى الأئمة الأعلام على مصنفاته ، وأهمها : (أنوار التنزيل) في التفسير (والمنهاج وشرحه) في الأصول (والطوالع) في أصول الدين . وهذه المصنفات الثلاثة من أشهر الكتب ، وأكثرها تداولاً بين أهل العلم (١) .

ثانياً : تعريف بتفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي :

تفسير مشهور ومتداول بكثرة ، زاخر بالعلوم ومحمود ومشكور ، وهو جليل في قدره ، ودقيق ومسبوك في عبارته ، جمع بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربية ، وقرر الأدلة على أصول أهل السنة .

---

(١) انظر : البداية والنهاية . لابن كثير ١٣/٣٠٩ . وطبقات المفسرين . للداودي ١/٢٤٢ ، ٢٤٣ . وبغية الوعاة . للسيوطي ٢/٥٠ رقم (١٤٠٦) . وهدية العارفين . لإسماعيل باشا ١/٤٦٢ ، ٤٦٣ ، والأعلام . للزركلي ٤/١١٠ .

وقد لخص البيضاوي من تفاسير مشهود لها ، وضم لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأضاف لذلك ما فتح الله عليه من نكت بارعة ، ولطائف رائعة ، واستنباطات دقيقة ، كل ذلك بأسلوب رائع موجز .

قال صاحب كشف الظنون : "كتاب عظيم الشأن غني عن البيان ، لخَّص فيه من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان [مع ترك اعتزالياته ، وإن كان أحياناً يذهب مذهب الزمخشري] ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن (تفسير الراغب) ما يتعلق بالاشتقاق ، وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات ، وضم إلى ذلك ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة ..." (١) .

وقال الذهبي : "وجملة القول فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التي لا يستغني عنها من يريد أن يفهم كلام الله - تعالى - ويقف على أسراره ومعانيه" (٢) .

وقال البيضاوي عن تفسيره بعد إتمامه في آخره : "وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فوائد ذوي الألباب ، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة ، وصفوة آراء أعلام الأمة ، في فسير القرآن وتحقيق معانيه ، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه مع الإيجاز الخالي عن الإخلال ، والتلخيص العاري عن الإضلال ، المرسوم بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ..." (٣) .

ولأهمية هذا التفسير البالغة عند أهل العلم حظي بحواشٍ كثيرة ، ذكر منها صاحب (كشف الظنون) أكثر من أربعين ، وأشهرها وأكثرها تداولاً ونفعاً : حاشية قاضي زاده ، وحاشية الشهاب الخفاجي ، وحاشية القونوي .

---

(١) كشف الظنون . لحاجي خليفة ١/١٢٧ . (٢) التفسير والمفسرون ٢/٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/٢٠٤ .

(وتفسير البيضاوي متوسط في حجمه ، ومطبوع عدة طبعات ومتداول بين أهل العلم) .

ثالثاً : منهج البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (١)

١- يستهل السورة بذكر اسمها ، وكونها مكية أو مدنية أو مختلفًا فيها، وعدد آياتها .

مثال ذلك : قال البيضاوي - رحمه الله - "سورة الهمزة : مكية ، وآياتها تسع" (٢) .

٢- يعرض أحياناً للصناعة النحوية والإعراب ، ولكن بدون توسع

٣- يذكر معنى اللفظ حسب موقعه في الآية مباشرة ، وأحياناً يحدث عنه لغوياً بإيجاز ، وقد يستشهد بالشعر العربي .

مثال ذلك : "﴿ **إنها عليهم مؤصدة** ﴾ (٣) مطبقة ، من أوصدت الباب إذا طبقته ، قال [الشاعر] :

تحنُّ إلى جبال مكة ناقتي ∴ ومن دونها أبواب صنعاء موصدة" (٤)

٤- يذكر أحياناً بإيجاز سبب نزول السورة أو الآية .

مثال ذلك : "﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ (٥) ... نزولها في الأخنس بن شريق فإنه كان مغتاباً ، أو في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله - ﷺ -" (٦) .

٥- يهتم أحياناً بذكرالقراءات ، ولكنه لا يلتزم بالمتواتر منها ، فقد ذكر الشاذ .

---

(١) رجعنا في ذلك إلى : مقدمة تفسير البيضاوي / ٢ وما بعدها ، إضافة إلى مواضع من تفسيره . ومناهل العرفان . للزرقاني ٢/ ٦٧ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ١/ ٢٩ - ٢٠٣ .

(٢) أنوار التنزيل / ٨١٠ . (٣) الهمزة /٨ . (٤) أنوار التنزيل / ٨١٠ .

(٥) الهمزة / ١ . (٦) أنوار التنزيل / ٨١٠ .

مثال ذلك : "قرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهَمَزَة ﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّة ﴾ [1] ... وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي [عُمُد] بضمتين ، وقُرئ : [عُمْد] بسكون الميم مع ضم العين" [2] .

٦- يفسر آيات القرآن بأسلوب رائع موجز ، وعبارة مسبوكة محكمة بليغة مختصرة تدق وتخفى أحياناً إلا على ذي بصيرة ثاقبة ، وفطنة نيرة .

٧- يضمن تفسيره نكتاً بارعة ، ولطائف رائعة ، واستنباطات دقيقة .

مثال ذلك : "﴿ **كلا** ﴾ ردع له على حسبانه ﴿ **لينبذن** ﴾ أي : ليطرحن ﴿ **في الحطمة** ﴾ [3] في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها ﴿ **وما أدراك ما الحطمة** ﴾ [4] ما النار التي لها هذه الخاصية ﴿ **نار الله** ﴾ تفسير لها ﴿ **الموقدة** ﴾ [5] التي أوقدها الله ، وما أوقده الله لا يقدر غيره أن يطفئه ﴿ **التي تطلع على الأفئدة** ﴾ [6] تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها ، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البطن وأشده تألماً ، ولأنه محل العقائد الزائفة ، ومنشأ الأعمال القبيحة" [7] .

٨- يذكر أحياناً صفوة الآثار الواردة عن الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين وتابعيهم - رحمهم الله - .

٩- مقل جداً من الروايات الإسرائيلية ، وما يذكره يرويه بصيغة التضعيف : قيل ، روى .

ومثال ذلك : "﴿ **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً** ﴾ [8] ، طالوت علم عبري ... روى أن نبيهم - عليه السلام - لما دعا الله

---

(١) الهمزة / ٩ . (٢) أنوار التنزيل / ٨١٠ . (٣) الهمزة / ٤ . (٤) الهمزة / ٥ .

(٥) الهمزة / ٦ . (٦) الهمزة /٧ . (٧) أنوار التنزيل / ٨١٠ . (٨) البقرة . من الآية / ٢٤٧ .

أن يملكهم أتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم ، فلم يساوها إلا طالوت [1] .

١٠- يلتزم مذهب أهل السنة في العقائد ، وأحياناً يذكر آراء المعتزلة وغيرهم ويفندها .

مثال ذلك : "﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [2] .... والمعتزلة لما استحالوا على الله – تعالى – أن يمكن من الحرام ؛ لأنه منع من الانتفاع به ، وأمر بالزجر عنه ، قالوا : الحرام ليس برزق ، ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق ههنا إلى نفسه إيذاناً بأنهم ينفقون الحلال المطلق ، فإن إنفاق الحرام لا يوجب المدح ، وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله – تعالى – بقوله : ﴿ **قل أرأيتم ما أنزل الله من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً** ﴾ [3] . وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم ، والتحريض على الإنفاق ، والذم بتحريم ما لم يُحرم ، واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة ، وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله – ﷺ – في حديث عمرو بن قرة : (**لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله**) ، وبأنه لو لم يكن رزقاً لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوق ، وليس كذلك ؛ لقوله – تعالى – : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾ [4]" [5] .

١١- يتعرض عند تفسيره لآيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بإيجاز ، مع تأييده – أحياناً – لمذهب الأحناف .

ومثال ذلك : "﴿ **وامسحوا برؤوسكم** ﴾ [6] ... اختلف العلماء في القدر الواجب ، فأوجب الشافعي – رضي الله عنه – أقل ما يقع عليه الاسم أخذاً

---

(١) أنوار التنزيل / ٩٠ . (٢) البقرة . من الآية / ٣ . (٣) يونس . من الآية / ٩٠ .
(٤) هود . من الآية / ٦ . (٥) أنوار التنزيل / ٩ . (٦) المائدة . من الآية / ٦ .

باليقين ، وأبو حنيفة - رضي الله عنه - مسح ربع الرأس ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - مسح على ناصيته ، وهو قريب من الربع ، ومالك - رضي الله عنه - مسح كله أخذاً بالاحتياط" [1] .

١٢- عند تفسيره للآيات الكونية يخوض - أحياناً - في مباحث الكون والطبيعة .

ومثال ذلك : "﴿ **فأتبعه شهاب** ﴾ [2] أتبع بمعنى : تبع ، والشهاب : ما يُرى كأن كوكباً انقض ، وما قيل أنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين ، إن صح لم ينافِ ذلك ؛ إذ ليس فيه ما يدل على أنه ينقض من الفلك ..." [3] .

١٣- يختم تفسيره للسورة بذكر رواية في فضلها وفضل قراءتها منسوبة للنبي - ﷺ - ، رغم أن غالب هذه الروايات موضوعة باتفاق أهل الحديث ، وهذا مما يؤخذ عليه .

ومثال ذلك : أنه قال بعد تفسيره لسورة الهمزة : "عن النبي - ﷺ - : (**من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه**) [4] .

---

(١) أنوار التنزيل / ١٤٢ .
(٢) الصافات . من الآية / ١٠ .
(٣) أنوار التنزير / ٥٩٠ .
(٤) أنوار التنزيل / ٨١٠ .

المبحث الثاني
(التفسير اللغوي)

المطلب الأول
(أقسامه وأهم كتبها)

إن الاتجاه اللغوي في التفسير من أقدم اتجاهات التفسير ، ويمكننا تقسيم هذا الاتجاه إلى ثلاثة أقسام (أولها) ما يتعلق بمفردات اللغة (وثانيها) ما تعلق بالنحو والإعراب (وثالثها) ما تعلق بالبلاغة والبيان . والتفصيل كما يلي :

أولاً : المتعلق بمفردات اللغة :

أ) المقصود بتفسير مفردات اللغة :

إن في القرآن الكريم كلمات غريبة ، منها ما لا يُعرف معناها إلا بعد بحث وتنقيب وجهد ، ومنها ما يعرف معناها قومٌ دون غيرهم ، لأنها مستعملة في لغتهم .

وهذا الأمر قديم منذ عصر الصحابة - رضي الله عنهم - ، وقد رأينا - في الفصل السابق - أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - توقفا في ذكر معنى (الأب) الوارد في قوله - تعالى - : ﴿ وفاكهةً وأباً ﴾ [1] . [2]

وأما المقصود بالمفردات الغريبة ، والكلام الغريب ، فقد بينه أبو سليمان الخطابي وجلاه بقوله : "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم ، كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل .

---

(١) عبس / ٣١ .   (٢) راجع صفحة / ١١٢ .

والغريب من الكلام يقال به على وجهين : (أحدهما) أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضة ، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر . (والاخر) أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب ، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها" [١] .

ب) أهم كتب غريب القرآن :

إن التأليف في غريب القرآن قديم ، وقد نسب كتاب في ذلك لابن عباس – رضي الله عنهما – ، ولكن الأرجح أنه جمعت أقواله في هذا الكتاب ونُسب إليه ، بدليل أنه لم يعثر في تراجم ابن عباس على ذكر لهذا الكتاب .

وتذكر المصادر أن من العلماء المتقدمين الذين ألفوا في هذا الموضوع إبان بن تغلب البكري المتوفى سنة ١٤١هـ ، ومحمد بن السائب الكلبي الكوفي المتوفى سنة ١٤٦هـ وغيرهما كثير ، ولكن للأسف الشديد أن أكثر هذه الكتب فقدت .

وأهم كتب غريب القرآن ما يلي :

١– غريب القرآن . لابن قتيبة ، وهو : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ .

٢– غريب القرآن . للسجستاني ، وهو : أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠هـ .

٣– المفردات في غريب القرآن . للأصبهاني وهو : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصبهاني ، والمتوفى سنة ٥٠٢هـ .

---

(١) كشف الظنون ١٢٠٣/٢ .

ثانياً : المتعلق بالنحو والإعراب :

إن التأليف في التفسير من زاوية النحو قديمٌ ، ساير التأليف في غريب القرآن الذي تقدم ذكره ، وهو على نوعين لكل منهما كتبه ، والتفصيل كما يلي

أ) كتب مفسرة للقرآن أو المشكل منه وعنيت بالنحو وأهمها :

١- معاني القرآن . للفراء . وهو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي المتوفى سنة ٢٠٧هـ .

٢- البحر المحيط . لأبي حيان الأندلسي . المتوفى سنة ٤٧٥هـ .

(وسيأتي الحديث مفصلاً عن هذا التفسير في المطلب الثاني) .

ب) كتب عنيت بإعراب القرآن وأهمها :

١- إعراب القرآن . للزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ .

٢- إعراب ثلاثين سورة من القرآن . لابن خالويه النحوي وهو الحسين بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ .

٣- البيان في إعراب القرآن المجيد . للعكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ .

٤- المجيد في إعراب القرآن المجيد . للسفاقسي المتوفى سنة ٧٤٢هـ .

ثالثاً : المتعلق بالبلاغة والأساليب البيانية :

إن التأليف في بلاغة القرآن ، ووجوه إعجازه وأسراره ، وتفسيره البياني بدأ متأخراً نسبياً وذلك منذ القرن الثاني الهجري ، وأهم كتبه ما يلي

١- الكشاف . للزمخشري ، وهو : جار الله محمود بن عمر أبو القاسم المتوفى سنة ٥٣٨هـ .

٢- في ظلال القرآن . للأستاذ سيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٠م .

٣- التفسير البياني للقرآن . للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ [1] .

---

(١) رجعنا في هذا المطلب إلى لمحات في التفسير . للصباغ / ١٤٤ وما بعدها .

المطلب الثاني

(تفسير البحر المحيط)

(لأبي حيان الأندلسي)

أولاً : تعريف بأبي حيان :

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الإمام أثير الدين أبو عبد الله الشهير بأبي حيان ، الأندلسي الغرناطي ، نحوي عصره ، ولغويه ، ومفسره ، ومحدثه ، ومقرئه ، ومؤرخه ، وأديبه كان ظاهرياً ثم صار شافعياً . من شيوخه : ابن دقيق العيد . ومن تلاميذه : ابن عقيل . من مصنفاته : (البحر المحيط) في التفسير (وعقد اللآلئ) في القراءات (ونهاية الإعراب) في النحو .

ولد بحضرة غرناطة آخر شوال عام ٦٥٤هـ ، وتوفي بالقاهرة في صفر عام ٧٤٥هـ (١) .

ثانياً : تعريف بتفسير (البحر المحيط) لأبي حيان :

تفسير رائع فذ مختص ، وموسوعة في المسائل النحوية المتعلقة بالآيات القرآنية ، فهو المرجع الأول لأهل العلم في تخصص وجوه الإعراب لألفاظ القرآن

---

(١) انظر : طبقات المفسرين . للداودي ٢/٢٨٦ - ٢٩١ رقم (٦٠٨) . وشذرات الذهب . لابن العماد ٦/١٤٥ - ١٤٧ . والدرر الكامنة . لابن حجر ٥/٧٠ - ٧٦ رقم : (٤٤٩٣) . وبغية الوعاة . للسيوطي ١/٢٨٠ - ٢٨٥ . وغاية النهاية . للجزري ٢/٢٨٥ . وطبقات الشافعية الكبرى . للسبكي ٢/٢٨٥ . والأعلام . للزركلي ٧/١٥٢ .

الكريم ، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات القرآن .

كما أن تفسيره للكلمات والآيات القرآنية التابع للتوجيهات الإعرابية الفذة السليمة له أهميته المقدرة التي لا ينكرها إلا حاقد . وبالجملة : (تفسير أبي حيان خدم المكتبة الإسلامية خدمة جليلة خاصة فيما برَّز من تخصصه المشار إليه سابقاً) .

ينقل أبو حيان كثيراً عن تفسير الزمخشري ، وعن تفسير ابن عطية ، خاصة النحو والإعراب ، ويقول : "واعتمدت في أكثر نقول كتابي هذا على كتاب : التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير من جمع شيخنا الصالح القدوة الأديب / جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي عرف بابن النقيب – رحمه الله تعالى – ؛ إذ هو أكبر كتاب رأيناه صنف في علم التفسير يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد ، إلا أنه كثير التكرير قليل التحرير مفرط الإسهاب ..." (١) .

يؤخذ على تفسير أبي حيان توسعه في النحو ، واستطراده بذكر مسائل الخلاف بين النحويين والتي طغت على نواحي التفسير الأخرى ، حتى صار كتابه أقرب إلى النحو منه إلى التفسير .

وقد اختصر أبو حيان من تفسيره (البحر المحيط) تفسيراً موجزاً سماه : (النهر الماد من البحر المحيط) ، وهو مطبوع على هامش تفسيره ، كما أن تلميذه تاج الدين أحمد بن مكتوم انتقى من البحر المحيط تفسيراً موجزاً سماه : (الدر اللقيط من البحر المحيط) يكاد يقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطية والزمخشري ورده عليهما ، وهو مطبوع أيضاً على هامش البحر المحيط .

---

(١) البحر المحيط ١/١١ .

(ويقع هذا التفسير في ثمانية مجلدات كبار ، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم ، تطبعه وتنشره دار الفكر) .

ثالثاً : منهج أبي حيان في تفسيره (البحر المحيط) [1] :

١- يستهل السورة بذكر اسمها ، وكونها مكية أو مدنية أو مختلفاً فيها ، وعدد آياتها ، وسبب نزولها ، ومناسبتها لما قبلها .

ومثال ذلك : قال أبو حيان - رحمه الله - : "سورة الرحمن مكية ، وهي ثمانٍ وسبعون أية ... هذه السورة مكية في قول الجمهور ، مدنية في قول ابن مسعود ، وعن ابن عباس القولان ، وعنه سوى آية وهي ﴿ **يسأله من في السموات والأرض** ﴾ [2] الآية . وسبب نزولها فيما قال مقاتل : أنه لما نزل : ﴿ **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن** ﴾ [3] الآية قالوا : ما نعرف الرحمن فنزلت : ﴿ **الرحمن علم القرآن** ﴾ [4] ... وقيل ... وقيل ... ومناسبة هذه السورة لما قبلها ... ولما ذكر قوله : ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ [5] فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير ، فكأنه قيل من المتصف بذلك ؟ فقال : ﴿ **الرحمن علم القرآن** ﴾ ..." [6] .

٢- يتكلم على كل مفردة للآية عند أول مواضعها لغة ونحواً ، ويذكر كل معانيها ، ويختار المناسب منها في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه دون أن يكرر ما فصله في أول موضع .

---

(١) رجعنا في ذلك إلى : البحر المحيط . لأبي حيان ٤/١ ، ٥ ومواضع مع تفسيره . ولمحات في التفسير . للصباغ / ١٥٧ .

(٢) الرحمن . من الآية / ٢٩ .

(٣) الفرقان . من الآية / ٦٠ .

(٤) الرحمن / ١ ، ٢ .

(٥) القمر . من الآية / ٥٥ .

(٦) البحر المحيط ١٨٤/٨ وما بعدها .

ومثال ذلك قوله : "﴿ **رب العالمين** ﴾ [1] الرب : السيد والمالك والثابت والمعبود والمصلح وزاد بعضهم بمعنى الصاحب مستدلاً بقوله :

قد ناله رب الكلاب بكفه ∴ بيض رهاف ريشهن مفزع

وبعضهم بمعنى الخالق ..." [2] .

٣- يكثر أبو حيان من التعرض للمسائل النحوية ، ويتوسع في ذكر الخلاف بين النحويين وفي إعراب الكلمات والاستشهاد بالشعر ، ويحيل ما يذكره من القواعد النحوية وأدلتها على كتب النحو ، ويتعقب الزمخشري و ابن عطية كثيراً بالرد والتفنيد لما قالاه في مسائل النحو خاصة .

ومثال ذلك : "﴿ **أن لا تطغوا في الميزان** ﴾ [3] أي : لأن لا تطغوا ، فتطغوا منصوب بأن . وقال الزمخشري : أو هي أن المفسرة . وقال ابن عطية : ويحتمل أن تكون أن مفسرة ، فيكون ﴿ **تطغوا** ﴾ جزماً بالنهي . انتهى . ولا يجوز ما قالاه : من أن أن مفسرة ، لأنه فات أحد شرطيها ، وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول ، ووضع الميزان جمله ليس فيها معنى القول ..." [4] .

٤- يذكر سبب نزول الآية ، ونسخها ، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها .

ومثال ذلك : "﴿ **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ [5] ... قال الحسن : نزلت في كل من حرم نفسه شيئاً لم يحرمه الله عليه . وروى الكلبي ومقاتل وغيرهما أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب قاله النقاش . وقيل ... (ومناسبة هذا لما قبله) أنه لما بين التوحيد ودلائله وما للتائبين والعاصين أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر

---

(١) الفاتحة . من الآية / ٢ . (٢) البحر المحيط ١٨/١ .

(٣) الرحمن / ٨ . (٤) البحر المحيط ١٨٩/٨ . (٥) البقرة / ٦٨ .

والمؤمن ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الأنعام" [1]

٥- يذكر القراءات الواردة في الآية المستعملة والشاذة ويوجهها نحوياً .

ومثال ذلك : "﴿ **والسماء رفعها** ﴾ [2] ... قرأ الجمهور : والسماءَ بالنصب على الاشتغال روعي مشاكلة الجملة التي تليه وهي : ﴿ **يسجدان** ﴾ [3] . وقرأ أبو السمال : ﴿ **والسماءُ** ﴾ بالرفع راعى مناسكلة الجملة الابتدائية . وقرأ الجمهور : ﴿ **ووضَعَ الميزانَ** ﴾ [4] فعلاً ماضياً ناصباً الميزان ؛ أي : أقره وأثبته . وقرأ إبراهيم : ﴿ **ووضْع الميزان** ﴾ بالخفض وإسكان الضاد ..." [5] .

٦- يذكر معنى الآية ويشرحه شرحاً وافياً وينقل أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها .

ومثال ذلك : "ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز به الإنسان من المنطق المفصح ... وهو ﴿ **البيان** ﴾ [6] ... وقال ابن زيد والجمهور : البيان : المنطق ، والفهم : الإبانة وهو الذي يتفضل به الإنسان على سائر الحيوان . وقال قتادة : هو بيان الحلال والشرائع ، وهذا جزء من البيان العام . وقال محمد بن كعب : ما يقول وما يُقال له . وقال الضحاك : الخير والشر . وقال ابن جريج : الهدى . وقال يمان : الكتابة ..." [7] .

٧- ينقل باختصار أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم في الأحكام الفقهية عندما يفسر آيات الأحكام ، ويحيل ذلك إلى مصادره من كتب الفقه .

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسر قوله - تعالى - : ﴿ **فكفارته إطعام عشرة**

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤٧٨ . (٢) الرحمن . من الآية / ٧ .

(٣) الرحمن . من الآية / ٦ . (٤) الرحمن . من الآية / ٧ .

(٥) البحر المحيط ١٨٩/٨ . (٦) الرحمن . من الآية / ٣ . (٧) البحر المحيط ١٨٨/٨ .

مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾[1] ، حيث قال : "والظاهر تعداد الأشخاص فلو أطعم مسكيناً واحداً الكفارة عشرة أيام لم يجزه ، وبه قال مالك والشافعي . وقال أبو حنيفة : يجزئ وتعرضت الآية لجنس ما يطعم منه وهو من أوسط ما تطعمون و لم تتعرض لمقدار ما يطعم كل واحد هذا الظاهر وقد رأى مالك وجماعة أن هذا التوسط هو في القدر ، وبه قال عمر وعلي وابن عباس ومجاهد ، ورأى جماعة أنه في الصنف ، وبه قال ابن عمر والأسود وعبيدة والحسن وابن سيرين"[2] .

٨- يرد كثيراً على الزمخشري ويحمل عليه في آرائه الاعتزالية .

ومثال ذلك : "الخلود : المكث في الحياة أو الملك أو المكان مدة طويلة لا انتهاء لها ، وهل يطلق على المدة الطويلة التي لها انتهاء بطريقة الحقيقة أو بطريق المجاز قولان ، وقال زهير :

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

ويقال خلد المكان أقام به ، وأخلد إلى كذا سكن إليه ، والمخلد الذي لم يشب وظاهر هذه الاستعمالات وغيرها يدل على أن الخلد هو المكث طويل ولا يدل على المكث الذي لا نهاية له إلا بقرينة ، واختار الزمخشري فيه أنه البقاء اللازم الذي لا ينقطع تقوية لمذهبه الاعتزالي في أن من دخل النار لم يخرج منها ، بل يبقى فيها أبداً . والأحاديث الصحيحة المستفيضة دلت على خروج ناس من المؤمنين الذين دخلوا النار بالشفاعة من النار[3]" (*) .

---

(١) المائدة . من الآية / ٨٩ . (٢) البحر المحيط ٤/١٠ .

(٣) من الأحاديث الدالة على ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - ﷺ - : (أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولكن ناسٌ =

٩- يختم الكلام في جملة من الآيات التي فسرها بما ذكر فيها من علم البيان والبديع ملخصاً .

١٠- يتبع آخر الآيات بكلام منثور ملخص يشرح به مضمونها بما اختاره من تلك المعاني .

ومثال ذلك قوله في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ (١) : "الظاهر العموم في النعيم ، وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب ، فالمؤمن يُسأل سؤال إكرام وتشريف ، والكافر سؤال توبيخ وتقريع" (٢) .

١١- قليلاً ما يلم بشيء من كلام الصوفية ويتجنب كثيراً منه ، ويترك أقوال الملاحدة الباطنيين .

قال أبو حيان في ذلك : "وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ ، وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يُحَمِّلونها الألفاظ ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله - تعالى - ، وعلى عليّ - كرم الله وجهه - ، وعلى ذريته ، ويسمونه علم التأويل ..." (٣) .

= أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتةً . حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة . فجيء بهم ضبائر ضبائر O . فبثوا على أنهار الجنة . ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) . O قال أهل اللغة : الضبائر جماعات في تفرقة . صحيح مسلم . كتاب (الإيمان) باب ٨٢ (إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار) ١/١٧٢ ، ١٧٣ حديث (١٨٥) . (*) البحر المحيط ١/١١٠ .

(١) التكاثر / ٨ . (٢) البحر المحيط ٨/٥٠٨ . (٣) البحر المحيط ١/٥ .

المبحث الثالث
(التفسير العلمي)

المطلب الأول
(تعريفه وتاريخه وشرعيته وحكمه وأقسامه وآدابه وثمرته وكتبه)

أولاً : معنى التفسير العلمي :

هو تفسير آيات القرآن التي تتحدث عن العلوم الكونية بما يستنبط من علومها ، وبيقينيات المكتشفات العلمية بشروط .

ثانياً : تاريخ التفسير العلمي :

إن التفسير العلمي ضارب في التاريخ ، وله جذور في ثقافتنا التفسيرية ، ويرجع السبب في ذلك إلى شرعيته ، ولذلك لا جرم أن نجد من المفسرين القدامى من خاض فيه ، كالرازي في (مفاتيح الغيب) ، والبيضاوي في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، والغزالي في (إحياء علوم الدين) وفي (جواهر القرآن) ، السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن) وفي (الإكليل في استنباط التنزيل) ، وغيرهم .

ومن مطلع القرن الهجري الماضي وإلى الآن نما هذا الاتجاه التفسيري نمواً كبيراً كنتيجة حتمية للاكتشافات العلمية والمخترعات المذهلة التي لم تحدث في التاريخ الإنساني من قبل ، ذلك أن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ويواكب كل جديد .

ولذلك اكتشف العلماء والمفسرون السائرون في هذا الاتجاه أن كثيراً من اليقينيات العلمية الحديثة المكتشفة قد سبق إليها القرآن قبل بضعة عشر قرناً وأشار إليها بالتصريح أو بالتلميح .

ثالثاً : أصله الشرعي :

أ) أصله من القرآن :

الآيات كثيرة جداً أكثر من أن تحصر هنا ، منها :

١- قوله - تعالى - : ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ (١) ، والآيات في التفكر في آيات الله المبثوثة فيما خلق في هذا الكون كثيرة ومعروفة .

٢- قوله - تعالى - : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ **ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بردٍ فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار O يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** ﴾ (٣) ، والآيات التي تأمر برؤية آيات الله كثيرة .

٣- قوله - تعالى - : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ **أفلا ينظرون إلا الإبل كيف**

---

(١) آل عمران / ١٩١ . (٢) فصلت / ٥٣ . (٣) النور / ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) يونس / ١٠١ .

خلقت O وإلى السماء كيف رفعت O وإلى الجبال كيف نصبت O وإلى الأرض كيف سطحت O فذكر إنما أنت مذكر ﴾ (١) ، والآيات بالأمر بالنظر في آيات الله كثيرة .

٤- قوله - تعالى - : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين O وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾** (٢) ، والآيات التي تأمر بالإبصار في آيات الله عديدة .

فالأمر في الآيات بالنظر لآيات الله وإبصارها ورؤيتها بالعين ، والتفكر فيها بالعقل والقلب ليس مقصوده التفرج عليها وإمتاع النفس بجمالها ، وإنما اكتشاف أسرارها وإعجازها وإبداعها وعظمتها لتدلنا على وحدانيته - سبحانه - وعظمته وقدرته وعلمه وحكمته وبديع صنعته .

وقد ذكر الله في القرآن آيات علمية كثيرة - نتناولها بالبحث - أمرنا بتدبرها والبحث فيها في قوله: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾** (٣) ، وقوله : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾** (٤) ، والأمر في الآيتين يشمل كل آيات القرآن بما فيها الآيات العلمية ، وهذا الذي نطلق عليه : (التفسير العلمي) .

ب) أصله من السنة :

من الأحاديث الدالة على ذلك :

١- ما أخرجه الترمذي وغيره : أن رسول الله - ﷺ - قال : (**ألا إنها ستكون فتنة ، فقلت [أي : علي بن أبي طالب] : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال :**

---

(١) الغاشية / ١٧ - ٢١ . (٢) الذاريات / ٢٠ ، ٢١ . (٣) محمد ٢٤ .

(٤) ص / ٢٩ .

كتاب الله . فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ...) [1] .

٢- ما أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : (**إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة**) .

فالحديث الأول يدل أن القرآن يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا ، والحديث الثاني يشير إلى أن الله لم يغفل من ذلك شيئاً .

٣- ما روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (**ما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدراسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده**) [2] ، فقوله (**يتدارسونه بينهم**) أي يتدارسون كل آياته في شتى العلوم . والله أعلم .

ج) أصله من آثار الصحابة :

١- ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود أنه قال : "من أراد العلم فعليه بالقرآن ، فإن فيه خبر الأولين والآخرين" .

٢- ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : "أنزل في القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شيء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن" .

---

(١) سنن الترمذي . كتاب ٤٦ (فضائل القرآن) باب ١٤ (ما جاء في فضل القرآن) ١٥٨/٥ ، ١٥٩ (٢٩٠٦) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب ٤٨ (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب ١١ (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) ٢٠٧٤/٤ (٢٦٩٩) .

٣- قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن" .

٤- قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله - تعالى -" .

فهذه الآثار تدل على أن القرآن يشمل العلوم الدينية والدنيوية .

رابعاً : حكم التفسير العلمي :

اختلف العلماء في ذلك إلى أقوال :

أ) القول الأول : جواز التفسير العلمي :

واستدل أصحاب هذا القول بمثل الأدلة التي ذكرناها في (أصل التفسير الشرعي) ، منهم : الرازي ، والبيضاوي ، وحجة الإسلامي الغزالي ، أبو الفضل المرسي ، والسيوطي ، والشيخ محمد الزرقاني ، والشيخ طنطاوي جوهري ، وغيرهم .

ب) القول الثاني : إنكار التفسير العلمي :

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة عديدة ، أهمها :

١- إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم لم يتكلموا فيه .

٢- إنه تكلف وتمحل وتحميل الألفاظ فوق ما تحتمل .

٣- إن ما يسمى بالحقائق العلمية متقلبة غير ثابتة ، وينقض الجديد منها القديم ، وإنزالها على القرآن يقتضي تناقضه .

وبهذا قال الشاطبي في (الموافقات) ، والذهبي في (التفسير المفسرون) ،

والصباغ في (لمحات في التفسير ومناهج المفسرين) ، وغيرهم [1] .

ج) القول الثالث للباحثَيْن : جواز التفسير العلمي بشروط :

أنه يجوز التفسير العلمي لآيات في القرآن ، بشرطين :

(أولهما) أن لا تفسر آيات القرآن العلمية إلا بحقائق العلم اليقينية الثابتة التي لا تحتمل النقض أبداً .

وأما النظرية العلمية القابلة للنقض فلا تفسر بها الآية ، وإذا أوردت عند تفسير الآية ذكرت بصيغة : تقول المكتشاف العلمية : كذا وكذا ... إلخ . والله أعلم . دون تحميلها للآية لأنها قد تبطلها حقيقة جديدة .

(ثانيهما) أن تكون هناك علاقة توافق وترابط بين ظاهر لفظ الآية ومعناه العربي ، وبين الحقيقة العلمية المكتشفة .

وأدلتنا على جواز التفسير العلمي هي ما ذكرنا من أدلة عند الحديث عن (أصله الشرعي) ، وأما **دليلنا على الشرط الأول** : أن آيات القرآن بما تحويه من علوم حق وصدق ويقين ومتناهية في ذلك لا تنقض ولا يأتيها الباطل أبداً ، ولذلك لا يجوز تفسيرها بنظريات معرضة للتغيير . **ودليلنا على الشرط الثاني** : أنه لا يجوز تفسير آيات القرآن بما لا تحتمله من علوم ومعانٍ لأن الله - عز وجل - نهى عن ذلك في قوله : ﴿ **... ولا تقف ما ليس لك به علم ...** ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **... وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **... ولا تتبع الهوى**

---

(1) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٤٩٧/٢ وما بعدها . ومناهل العرفان . للزرقاني / ٩٧ وما بعدها . ولمحات في التفسير . للصباغ / ٢٠٣ وما بعدها .

(2) الإسراء / ٣٦ .

(3) الأعراف / ٣٣ .

فيضلك عن سبيل الله ... ﴾[1] ، وكذلك نهى رسوله - ﷺ - عن ذلك في قوله : (**من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار**) [2] .

رأي الباحثين في القول الأول :

إن إجازة التفسير العلمي بدون ضوابط وشروط فيه إفراط شديد ، يؤدي إلى تحميل الآيات ما لا تحتمله ، كما يؤدي إلى تفسير آيات القرآن بالباطل ، وذلك إذا فُسِّر بنظرية علمية تنقضها بعد حين نظرية أخرى ، مما يظهر القرآن بصورة المتناقض ، ويؤدي إلى تكذيب الله ورسوله - ﷺ - ، ويؤدي إلى تشكك بعض الناس في دينهم .

رأي الباحثين في القول الثاني :

إن إنكار التفسير العلمي بشروط فيه تفريط شديد ، لأن الله أمر به في قوله : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾[3] ، وقوله ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾[4] ، والتدبر إنما يكون : بفهم معاني الآية ، ومعرفة مقاصدها ، واستنباط أحكامها ، واستخراج علومها ، واستخلاص العبر والدروس منها ، لذلك ختم الآية بقوله : ﴿ **وليذكر أولو الألباب** ﴾ والله - جل ثناؤه - أمر بهذا التدبر دون أن يستثني آيات من القرآن ، أو علم من العلوم .

وأما أدلته ففيها نظر : (فالدليل الأول) ليس بحجة ، إذ قد يكتنف الخلف

---

(١) ص / ٢٦ . (٢) سبق تخريجه ص / ١٠٨ .
(٣) محمد / ٢٤ . (٤) ص / ٢٩ .

من العلم ما لم يكتشفه السلف ، وقد يستدرك السلف ما فات الخلف ، خاصة في علوم الدنيا التي شهدت تطوراً مذهلاً في عصرنا لم يكن في القرن الماضي فضلاً عن قرون السلف . ومثال على ذلك أن علم أصول الفقه لم يكن واضحاً عند السلف ، بينما وضح بعد ذلك في عصر المذاهب الفقهية . (والدليل الثاني) ليس بحجة لأننا اشترطنا في جواز التفسر العلمي أن تكون هناك علاقة توافق وترابط بين ظاهر لفظ الآية ومعناه العربي ، وبين الحقيقة العلمية المكتشفة . (والدليل الثالث) ليس بحجة لأننا اشترطنا في جواز التفسير العلمي أن لا تفسر آيات القرآن العلمية إلا بحقائق العلم اليقينية الثابتة التي لا تحتمل النقض أبدًا ككروية الأرض وجريانها ،وجريان الشمس ... إلخ .

وبقي أن نتساءل : لماذا تستكثرون أو تستغربون على كتاب الله الخالد أن يذكر بالتصريح أو التلميح مثل تلك الحقائق العلمية وهو كتاب الذي علم الخلق إلى علمه كقطرة من بحار . قال – تعالى – : ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾ (١) .

خامساً : أقسام التفسير العلمي وأمثلته :

بناء على ما تقدم ذكره يتضح أن التفسير العلمي ينقسم إلى قسمين مختلفين في الحكم :

أ) تفسير علمي جائز بشروط :

ومثاله قوله – تعالى – : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ (٢) . فقد أدرك العلماء سر هذه الآية ، واكتشفوا أن الماء هو العنصر الأساسي لاستمرار

---

(١) الكهف / ١٠٩ .   (٢) الأنبياء . من الآية / ٣٠ .

الحياة لجميع الكائنات والنباتات ، وأن معظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء .

وقوله – تعالى – : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ [1] . يقول العلم : إن كل شيء في هذا الكون مكون من زوجين ، فالإنسان والحيوان والنبات من ذكر وأنثى ، والكهرباء من سالب وموجب ، والذرة تحتوي على نواة تحمل شحنة كهربائية موجبة ويحيط بها جسيمات (إلكترونات) تحمل شحنة كهربائية سالبة ، وهذه النواة تتكون من زوجين وهما : بروتون ونيوترون .

وقوله – تعالى – : ﴿ **خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** ﴾ [2] ، فالآية تدل على كروية الأرض ، لأن الليل لا يكور على النهار ويحتل مكانه ، والنهار لا يكور على الليل ويحتل مكانه إلا على أرض كروية ، لا مبسوطة ، ويوضح هذا قوله : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون** ﴾ [3] ، فكلمة ﴿ **كل** ﴾ تشمل الشمس والقمر والليل والنهار ، وكلمة ﴿ **فلك** ﴾ توضح أن الليل والنهار يسبحان في فلك ولا يتم ذلك إلا على أرض كروية . وهذا ما اكتشفه العلم أخيراً .

وقوله – تعالى – : ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ... ﴾ [4] ، يوضح الله في هذه الآية حركة الأرض ودورانها بمرور الجبال وهي جزء من الأرض وأبرز ما فيها ، ومن ثم دوران الأرض لأن الجبال ملاصقة لها وجزء منها .

وقوله – تعالى – : ﴿ **وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً** ﴾ [5].

---

(١) الذاريات / ٤٩ . (٢) الزمر / ٥ . (٣) يس / ٤٠ .
(٤) النمل / ٨٨ . (٥) نوح / ١٦ .

يقول العلم : إن الشمس مشتعلة من ذاتها كالسراج ، والقمر ليس مشتعلاً وإنما عاكسٌ لنور الشمس ، وهذا مطابق للاية .

قوله – تعالى – : ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم** ﴾ (١) . كان العلم يقول إن الشمس ثابتا ، والأرض تدور حولها ، ثم اكتشف – أخيراً – ما ذكره الله أن الشمس هي الأخرى تدور في فلك لها حول المجرة .

والأمثلة كثيرة يرجع لها في مظانها .

(ب) تفسر علمي غير جائز :

وهو الذي لا ينضبط بشروط كما أسلفنا .

مثاله قوله – تعالى – : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل O ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ (٢) ، فقد قال البعض : إن المقصود بالطير هي الميكروبات والفيروسات ، وهذا مخالف للغة العربية ، ولظاهر الآية ، وللمأثور الوارد فيها ، وهو تحميل للآية فوق ما تحتمل . وهذا تفسير في غاية البطلان .

وسترد أمثلة إضافية عن التفسير العلمي غير الجائز عند الحديث عن تفسير طنطاوي جوهري .

سادساً : آداب التفسير العلمي وثمراته :

(أ) آداب التفسير العلمي :

١– ألا يطغى على مقصد القرآن الأول وهو الهداية والإعجاز ، وذلك بإغراق

---

(١) يس / ٣٨ .

(٢) الفيل / ٣ ، ٤ .

المفسر وإسرافه فيه ، مما يبعده عن مقاصد القرآن وروحه وظلاله ، بل ويظهره بصورة كتب الفنون والعلوم ، بحيث يكون أقرب إليها منه إلى التفسير

٢- أن يلائم المفسر - في تفسيره العلمي - عصره ، ويوائم وسطه ، فيخاطب الناس بما يفهمون ويعقلون حتى لا يكذب الله ورسوله - ﷺ - القائل : (**خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله**) [1] .

٣- أن يكون هدفه من التفسير العلمي : إبراز الإعجاز العلمي في القرآن ، وزيادة إيمان المؤمن بذلك ، وتقريبه إلى الله - جل ثناؤه - أكثر ، وتحفيزه على العمل والاكتشاف والابتكار واللحوق بركب الحضارة وليس العكس .

(ب) ثمرات وآثار التفسير العلمي :

إن للتفسير العليم ثمراتٍ وآثاراً نلخصها في الآتي :

١- إبراز وجه جديد لإعجاز القرآن ، وهو الإعجاز العلمي .

٢- زيادة إيمان المؤمن ، لأن الإيمان يزيد وينقص ، ومظهر ذلك يكون بزيادة الأعمال الصالحة .

٣- زيادة الثقة بالقرآن ، والإيمان بأنه الدستور الخالد الصالح لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة ، وأنه الحاوي لسعادة الناس دنيا وآخرة ، وأنه لا يستغني عن كنوزه وذخائره إنسان .

٤- مسايرة أفكار الناس ومعارفهم وتحضرهم ، بإشباع حاجاتهم من العلوم الكونية بهذا التفسير العلمي .

٥- حث الناس على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه .

---

(١)

٦- دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين .

٧- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام بهذا الطريق العلمي الذي يخضعون له دون سواه في هذا العصر (١) .

سابعاً : أهم كتب التفسير العلمي :

١- مفاتيح الغيب . للفخر الرازي (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ) .

(فالرازي كتب في تفسره بحوثاً فياضة في هذا اللون من التفسير ، ولعله هو الرائد فيه ، وقد سبق تفصيل الحديث عن تفسير الرازي) .

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للقاضي البيضاوي (المتوفى سنة ٦٩١هـ أو ٦٨٥هـ) .

(فنزعة التفسير العلمي واضحة في تفسير البيضاوي ، وقد سبق تفصيل الحديث عنه) .

٣- كشف الأسرار النورانية القرآنية ، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية . للإمام الفاضل والطبيب البارع محمد بن أحمد الإسكندراني (من علماء القرن الثالث عشر الهجري) .

(هذا الكتاب كبير الحجم ، يقع في ثلاثة مجلدات ، طبعته المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٧هـ) .

٤- الجواهر في تفسير القرآن الكريم . للشيخ طنطاوي جوهري (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م - ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م) .

(وهذا الكتاب سنتناوله بالبحث في المطلب التالي) .

---

(١) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٢/١٠٠ ، ١٠١ .

المطلب الثاني

(الجواهر في تفسير القرآن)

(لطنطـــاوي جوهـــري)

أولاً : تعريف بطنطاوي جوهري :

هـو المرحـوم الشيخ طنطـاوي جوهـري المصـري ، المولـود بمصر سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م والمتوفى فيها سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م .

تعلم في الأزهر الشريف ، ودرس الإنكليزية ، ثم عمل بالتدريس بمختلف درجاته . ألف كتباً كثيرة مزج فيها الآيـات القرآنيـة بالعجـائب الكونية ، منهـا : (نظام العالم والأمم) و(جواهر العلوم) و(التاج المرصع) و(جمال العالم) و(الجواهر في تفسير القرآن) وهو أهمها وأشهرها [1] .

ثانياً : تعريف بتفسير (الجواهر) لطنطاوي جوهري :

إن هذا التفسير موسوعة في علوم الكون المختلفة ، وغرض صاحبه - كما صرح - هو إصلاحي على أساس العلم ، والأخـذ بمنجزاتـه ، والسير في طريقه ، وذلك حتى يلحق المسلمون بركب الحضارة ، ويفوقوا الفرنجـة في الزراعـة والطب والحساب والهندسة وغير ذلك من العلوم والصناعات .

وهذا غرضٌ شريف ونبيل تنبه الشيخ طنطاوي - رحمه الله - إلى خطره ، وها نحن الآن على عتبة القرن العشرين الميلادي نعاني من تخلفنا في هذا المضمار ،

---

(١) انظر : الأعلام . للزركلي ٣/٣٣٣ ، ٣٣٤ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢/٥٠٥ .

والذي أدى إلى خضوعنا للفرنجة ، بدل أن نفوقهم كما أراد المرحوم طنطاوي .

إلا أنه يؤخذ على هذا الكتاب أنه كان بإمكان صاحبه أن يصل لغرضه ذاك عن طريق تأليف كتاب يحمل دعوته تلك ، وليس عن طريق تحميل آيات القرآن ما لا تحتمل ،ولذلك لم يلق هذا التفسير قبولاً ورواجاً لدى كثير من المثقفين ، حتى إن السعودية صادرته ومنعت من دخوله أرضها .

وإذا قيل عن تفسير الرازي (فيه كل شيء إلا التفسير) ، فالحق أن تفسير الجواهر أحق بهذا الوصف ، لأنه يفسر الآيات تفسيراً لفظياً موجزاً ، ثم يغوص ويخوض في مباحث علمية طويلة ، فهو أقرب لتلك العلوم منه للتفسير .

وكلمة أخيرة نقولها : إن هذا الكتاب إذا نسب إلى التفسير فشره أكثر من خيره ، وإذا نسب إلى علوم الكون فخيره أكثر من شره . والله أعلم .

(وهذا التفسير طبع بمصر سنة ١٣٤١هـ - ١٣٥١هـ في خمسة وعشرين جزءاً كبيراً) .

ثالثاً : تعريف بمنهج طنطاوي في تفسيره (الجواهر) :

١- يذكر أحيانًا مقاصد السورة باختصار .

ومثال ذلك : "هذه السورة [الانفطار] (اربعة مقاصد : الأول) في وصف بعض أهوال يوم القيامة . (الثاني) في ذكر تقصير الإنسان في مقابلة إحسان خلقه وتسوية أعضائه ، وجعل صورته في أحسن تقويم . (الثالث) ... (الرابع) ..." (١) .

٢- يذكر أحيانًا مناسبة السورة لما قبلها .

---

(١) الجواهر . لطنطاوي جوهري ٨٧/٢٥ .

مثال ذلك : "اعلم أن هذه السورة [المطففين] كأنها إيضاح لما قبلها ، أو متفرعة عنها . وتفصيل لإجمالها ، كما أن السورة السابقة مشابهة لسورة لتكوير ، وسورة التكوير متناسقة مع سورة عبس ، فسورة المطففين والانفطار والتكوير وعبس كأنها سورة واحدة من حيث تناسقها وتكاملها ، وبيان : ..." (١) .

٣- يفسر الآيات تفسيراً لفظياً موجزاً ، أشبه بتفاسير مفردات اللغة .

مثال ذلك : "التفسير اللفظي . بسم الله الرحمن الرحيم . (إذا السماء انفطرت) انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت متفرقة (وإذا البحار فجرت) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار كلها بحرًا واحدًا (وإذا القبور بعثرت) بحثت وأخرجت موتاها ..." (٢) .

٤- ثم يفسر الآيات تفسيراً علمياً ، يقوم على نظريات حديثة ، وعلوم جديدة من خلال بحوث علمية طويلة يسميها (لطائف) و(جواهر) ، وينقل عن كبار علماء الشرق والغرب ، ويبين وينبه أن القرآن قد سبقهم إلى هذه العلوم بقرون طويلة . إلا أن تفسيره فيه تعسف شديد لأنه يحمل الآيات على غير معناها .

ومثال ذلك أنه ذكر أن الاستدلال بآثار الأقدام ، وآثار أصابع الأيدي في الشهادة ، وفي القضاء قد صرح القرآن به في قوله - تعالى - : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ (٣) (٤) .

ومثاله أيضاً أن عند قوله - تعالى - : ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ (٥) قال : "... والمارج المختلط بعضه ببعض ، فيكون اللهب الأحمر والأصفر والأخضر مختلطات ... ولقد ظهر في الكشف الحديث أن الضوء مركب

---

(١) الجواهر . لطنطاوي جوهري ٩١/٢٥ . (٢) المرجع السابق ٨٧/٢٥ .

(٣) النور / ٢٤ . (٤) ٩٠/٣ . (٥) الرحمن/ ١٥ .

من ألوان سبعة غير ما لم يعلموه . فلفظ المارج يشير إلى تركيب الأضواء من ألوانها السبعة ..." [1] .

ومثاله أنه عند تعرضه لقوله – تعالى – : ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** ﴾ [2] قال : " .. قوله ﴿ **وما بينهما** ﴾ دخل في ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العالم المسمى (الآثار العلوية) ... وقوله ﴿ **وما تحت الثرى** ﴾ يشير لعلمين لم يعرفا إلا في زماننا ، وهما : علم طبقات الأرض ... وعلم الآثار ... فالله يقول : ﴿ **وما تحت الثرى** ﴾ ليحرص المسلمون على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى ..." [3] .

٥- يروج للتفسير العلمي في كل مناسبة ، ويدعو المفسرين إلى اتباعه ، ويلوم المفسرين السابقين على إغفاله ، ويُحَرِّض المسلمين على تعلم العلوم الكونية .

قال رحمه الله : "يا أمة الإسلام آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات . فما بالكم بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها .. لماذا لا نفعل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ؟ .. إنك تقرأ في هذا (التفسير) خلاصات من العلوم ، ودراستها أفضل من دراسة علم الفراض ، لأنه فرض كفاية ، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله ، فهي فرض عين على كل قادر [4] .. إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام [5]" [6] .

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن ١٧/٢٤ . (٢) طه ٦ .

(٣) الجواهر في تفسير القرآن ١٠ /٦٤ ، ٦٥ .

(٤) لا نوافقه بل هي فرض كفاية . (٥) هذه اللهجة لا تتفق وأخلاق العلماء الذين يعرفون لأسلافهم قدرهم وفضلهم ، وقد أساء لنفسه في ذلك .

(٦) الجواهر في تفسير القرآن ١٩/٣ .

وقال في مواضع كثيرة من تفسيره : "بمثل هذا تفسر هذه الآيات . بمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله" [1] .

٦- وقع في أخطاء علمية كبيرة ومضحكة ، لأن الرجل يتكلم في غير اختصاصه .

٧- يستنتج من الآيات استنتاجات غريبة جداً .

ومثال ذلك على النقطتين الماضيتين : أن الحروف المقطعة أوائل السور مثل (الم) و(طس) و(حم) تشير إلى الأسرار الكيميائية [2] . (قلنا) وهذا في غاية الغرابة والضلال .

ومثال ذلك أيضاً : قوله عند تعرضه لقوله - تعالى - : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ..** ﴾ [3] : "وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه .. إن هذه الآية تتلى ، والمسلمون يؤمنون بها ، حتى ظهر علم الأرواح بأمريكا أولاً ثم بسائر أوربا ثانياً.." . وعقد بحثاً في تحضير الأرواح[4] ، (قلنا) وهذا في غاية الضلال والانحراف لأن تحضير الجن وأراحهم لا يجوز ، وأما تحضير أرواح الأموات فمستحيل لقوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ [5] .

٨- يستنتج كثيراً من الأمور والعلوم بواسطة حساب الجمل [6] القائم على جمع

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن ١/٦٧ .

(٢) المرجع السابق ٢/١٠ - ١١ . (٣) البقرة / ٦٧ .

(٤) الجواهر في التفسير ١/٧١ وما بعدها (٥) الإسراء / ٨٥ .

(١) "حساب الجمل هو أن تأخذ بمجموع قيم الحروف ، فيكون بمجموعها - مثلاً - موافقة لتاريخ معين . وكثيراً ما يستعمل هذا الحساب في ذكر ولادة بعض الناس ووفاتهم وطريقة حسابه كما يلي : يعطى الحرف الأول من الحروف الأبجدية على ترتيب (أبجد =

قيم الحروف ، وهذا أمر لا يستقيم عقلاً وعلماً ، وذُكر أنه تسرب للمسلمين من اليهود .

٩- يستشهد أحياناً بما جاء في إنجيل برنابا ، لأنه يرى أنه أصح الأناجيل .

١٠- يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته ، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم ، وهو مصدق بها وراضٍ عنها رغم مخالفتها للثابت عن النبي - ﷺ - .

١١- يكثر في تفسيره من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة والمخترعات وتجارب العلوم ، قاصداً توضيح مقالته بالمشاهدة مع المطالعة .

= هوز حطي) قيمة ١ والثاني قيمة ٢ .. وهكذا حتى العشرة ، ثم تعطى الحروف الآتية قيم ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ حتى المائة ، وتعطى الحروف الآتية قيم ٢٠٠ ، ٣٠٠ وهكذا" لمحات في التفسير . للصباغ هامش / ٢١١ .

المبحث الرابع

(التفسير الإصلاحي الاجتماعي)

المطلب الأول

(معناه وتاريخه وهدفه وأسباب ظهوره)

لقد برز هذا اللون من التفسير في أواخرالقرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري ، حيث كان يسود العالم الإسلامي عوامل الضعف والتخلف نتيجة الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية واستبدالها بعادات وتقاليد محلية وأحكام وضعية ما أنزل الله بها من سلطان .

هذا الواقع المرير السائد آنذاك كان سبباً في بروز بعض الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ، ومن أهم هذه الحركات : حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ظهرت في بلاد الحجاز ، واستطاعت أن تسيطر على الجزيرة العربية بكاملها وتترك من الآثار الإيجابية في العالم الإسلامي بأسره .

وقامت حركات أخرى إلى جانب ذلك تدعوا إلى إصلاح الجوانب الحياتية في حياة المسلمين ، وتغيير واقعهم إلى الأفضل مثل الحركة الإصلاحية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ، فقد نادوا بالتحرر العقلي والثورة على القديم ، وحاولوا التوفيق بين حضارة الغرب والدين الإسلامي حتى ولو أدى ذلك إلى الجور على بعض النصوص بتطويعها بحيث تتفق مع تفسيراتهم العقلية .

كما ونشأت مدرسة أبي الأعلى المودودي وسيد قطب التي نادت بالتزام طريقة السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم والعيش في ظلاله وفهم معانيه فهماً

يتفق مع أسس ومبادئ ومقومات العقيدة الإسلامية ، مع التركيز على الجانب التربوي الذي يظهر في سلوك الفرد والأسرة والمجتمع .

ساعد على بروز هذه الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ، الرغبة الأكيدة عند زعماء الإصلاح والدعاة إلى الله في إصلاح الواقع المظلم الذي خلّفه الاستعمار في سائر بلاد المسلمين من مناهج تعليمية بعيدة عن روح الإسلام ، وما قدمه المستشرقون وأعداء الإسلام من نظريات وأفكار إلحادية مادية كالشيوعية والوجودية السارترية والدارونية ، أو مساعدتهم في إبراز بعض الحركات المتسترة بالدين مثل القاديانية والبهائية أو الشاذلية التي كان لها دورٌ خطيرٌ في تسميم أفكار الناس .

كل هذه العوامل مجتمعة دعت إلى اختلاف في وجهة النظر عند بعض المسلمين من الحضارة الأوربية الغازية ، فقد وقف البعض من المسلمين موقف المعجب المبهور بما حققته من إنجازات في عالم المادة ، فاستسلم لأدواتها ، فأصبح يرى ما تراه وينكر ما تنكره ، وأقبلوا على الثقافة الأوربية فحملوها بكل ما تحمله من مساوئ وعيوب .

ووقف أغلب الناس آنذاك موقفاً سلبياً من الحضارة الأوربية فلم يقبلوا على علومها ألبته وحاربوها باعتبارها مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

بينما وقف البعض الآخر من الحضارة الأوربية موقفاً مغايراً ، فطالبوا بالأخذ منها ما يتفق مع العقيدة الإسلامية ولا يتعارض مع روح الشريعة ، وضربوا بعرض الحائط كل مخالف لعقيدتنا الإسلامية .

وساعد في إنشاء تلك الحركات الإسلامية واقع المسلمين الذي كان يتمثل في الآتي :

١- كانت معظم بلاد المسلمين مستعمرة من الغرب الذي كان ينشر التخلف والجهل وعدم الوعي بين الشعوب المستعمرة لكي يسهل عليه استعمارها .

٢- كانت البدع الخرافات والتقاليد البالية تلبس ثوب الدين مما أحدث الزحزحة في حياة الناس عن حقيقة الإسلام وعدالته في قيادته للبشرية في جميع مجالات الحياة .

٣- كان للطبقة الحاكمة آنذاك سلطان كبير ولا يجرؤ أحدٌ على مخالفتهم إلاَّ القليل من العلماء الذين جاهدوا بكلمة الحق أمام السلطان الجائر .

٤- كان أغلب علماء المسلمين يقفون من الحضارة الأوربية موقفاً سلبياً لا يقتربون منها ولا يأخذون شيئاً منها حتى ولو كان نافعاً للحياة البشرية (١) .

الفساد الاجتماعي والانحطاط الفكري والحضاري الذي انتاب العالم الإسلامي فترة طويلة من الزمن دعا الكثير من العلماء – وخاصة دعاة الإصلاح - إلى اليقظة والنهوض بالأمة وإحداث ثورة إصلاحية لتغيير القديم .

وقامت حركة جمال الدين الأفغاني من أجل تحقيق ذلك الهدف بعد أن درس واطلع على واقع المسلمين ثم اطلع على حياة الغرب المتقدم مادياً فعرف الفارق الكبير بين الحياتين ، مما جعل الأفغاني يتأثر بالحضارة الأوربية من جانبين

١- رأى أن الأسس والأفكار التي قامت عليها الحضارة الأوربية وما وصلت إليها من تقدم مادي لا تتعارض مع الأسس والمبادئ التي نادى بها الإسلام ، فكان يقول لماذا تقدموا ونحن رجعنا إلى الوراء ؟ .

٢- واقع المسلمين الذي ساده التخلف والانحطاط نتيجة الاستعمار الأوربي لبلاد المسلمين دعاه إلى النهوض والتحرر من التبعية للغرب ، لذلك كان يتعرض في "العروة الوثقى" إلى اقتلاع ما رسخ في عقول الناس من الفهم الخاطئ لنصوص الشريعة الإسلامية ، وإلى تبني العقيدة الإسلامية وخاصة في نصوص القضاء والقدر والتوكل على الله والأخذ بالأسباب ، وفهم روح الشريعة بأنها توجب التحرك

---

(١) لمحات في التفسير ومناهج المفسرين للصباغ / ٢١٤ .

من أجل طلب المجد والرفعة والحياة بكرامة ، والتخلص من الذل والاستعمار [1] .

وكان يدعو إلى الوحدة والتمسك بكتاب الله ، لذلك ركز في العروة الوثقى على تفسير الآيات التي تحث على ذلك مثل قوله - تعالى - : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ [2] ، وقوله - تعالى - : ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ [3] ، وقوله - تعالى - : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يأونكم خبالاً** ﴾ [4] .

ودعا إلى إعزاز روح التضامن بين المسلمين عن طريق التمسك بالقرآن ، وإلغاء العصبية المذهبية ، وطرح التقليد جانباً ، وإعمال العقل والاجتهاد ، وطرح الخلافات والخرافات والبدع .

---

(١) انظر : لمحات في التفسير ومناهج المفسرين . للصباغ ص / ٢١٦ .

(٢) آل عمران / ١٠٣ . (٣) الأنفال / ٤٦ . (٤) آل عمران / ١١٨ .

المطلب الثاني

(تفسير المنار)

(لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا)

أولاً : تعريف بمحمد عبده :

هو محمد عبده بن حسن خير الله ، ولد في قرية تُسمى "شبرا خيت" من قرى جمهورية مصر العربية سنة ١٨٤٨م ، تعلم في الجامع الأحمدي والأزهر الشريف ثم عمل مدرساً في الأزهر ودار العلوم ومدرسة الألسن ، تأثر بالشيخ جمال الدين الأفغاني تأثراً عميقاً ، واشتغل في الصحافة فنُفي من مصر بعد إخفاق الثورة العرابية عام ١٨٨٢م ، ثم أقام في بيروت مدة من الزمن ، ثم رحل منها إلى باريس فاجتمع مع شيخه الأفغاني فأصدرا جريدة "العروة الوثقى" التي عطلت بأمر من الحكومة الفرنسية بعد العدد الثامن عشر من صدورها .

عاد إلى مصر سنة ١٨٨٩م فتولى منصب القضاء ، ثم عمل مستشاراً ثم مفتي الديار المصرية حتى توفي بمرض السرطان سنة ١٩٠٥م ، بعد أن ترك مدرسة في التفسير ذات مكانة هامة من أهم رجالها السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغي صاحب التفسير [١] .

أهم مصنفاته :

١- تفسير جزء عم .

---

(١) انظر : علوم التفسير / ٢٦ ، ٢٧ .

٢- تفسير سورة العصر : هذا الكتاب ألقاه على شكل محاضرات في مدينة الجزائر أمام العلماء والوجهاء فيها .

٣- بحوث تفسيرية تتعلق ببعض الآيات من سور متعددة .

٤- تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار" .

ثانياً : تعريف بتفسير (المنار) لمحمد عبده :

لقد طلب السيد محمد رشيد رضا من شيخه محمد عبده أن يُلقي دروساً في التفسير فوافق شريطة أن يُدوّن الأول ما يسمعه من شيخه وينشره في مجلة المنار ، ولهذا سُمي بتفسير المنار مع أن الاسم الحقيقي للكتاب "تفسير القرآن الحكيم" .

وأخذ الشيخ محمد عبده يفسّر القرآن من أول سورة الفاتحة إلى أن وصل إلى قوله - تعالى - من سورة النساء ﴿ **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ ا لله إبراهيم خليلاً** ﴾ (١) فتوقف بسبب الوفاة ، ثم واصل الأستاذ محمد رشيد رضا كتابة هذا التفسير حتى وصل الآخر به إلى قوله - تعالى - في سورة يوسف ﴿ **ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين** ﴾ (٢) ثم تُوفّي . وطبع هذا التفسير في اثني عشر مجلداً ، وأكمل الأستاذ محمد يهجت البيطار تفسير سورة بوسف ثم ضمّ تفسير السورة بعضه إلى بعض وأخرجه في مؤلف خاص بعنوان : "تفسير سورة يوسف عليه السلام" .

وتفسير المنار يظهر فيه منهج محمد عبده وخاصة في القسم الأول منه ،

---

(١) النساء / ١٢٥ .   (٢) يوسف / ١٠١ .

حيث يتصف بندرة التفسير بالمأثور ، وظهور التفسير بالرأي ، والرجوع إلى تحكيم العقل في بعض الأمور ، وبيان سنن الله - تعالى - في المجتمعات ، وإيضاح طرق الإصلاح لبعض المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة .

أما القسم الثاني من هذا التفسير فيظهر فيه منهج الشيخ محمد رشيد رضا في التفسير الذي خالف شيخه في بعض الأمور فأظهر فيه التفسير بالمأثور نوعاً ما ، وكان يكثر من الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة ، ويعترف بذلك فيقول : "هذا وإني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها"(١) .

ثالثاً : منهج محمد عبده في تفسيره (المنار) :

أ) القرآن كتاب هداية وإرشاد :

لقد دعا الإمام في تفسيره إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد وحارب القديم ولم يتقيد بأقوال الأقدمين وأفكارهم ، وكان جل اهتمامه أن القرآن كتاب هداية وإرشاد يحقق لهم السعادة والفوز في الدنيا والآخرة .

وكان يطالب المفسرين بأن يبرزوا هذا الجانب الهام للقرآن الكريم وبالمقابل شن حملة على المفسرين الذين أغرقوا تفاسيرهم بالنحو والبلاغة والفقه والمنطق وعلم الكلام الذي يخرج القرآن عن مقصده الأساسي .

لهذا فالإمام يقسّم التفسير إلى قسمين كالآتي :

١- تفسير جاف مبعد عن الله وكتابه ويقصد به التفاسير المليئة بإعراب الجمل والألفاظ والنكت البلاغية والفقهية ، ثم قال : وهذا التفسير لا ينبغي أن يُسمى تفسيراً واعتبره ضرب من النحو والمعاني وغيرها .

---

(١) تفسير المنار ١٦/١ .

٢- وآخر يذهب المفسر من خلاله إلى بيان المراد من الألفاظ وإيضاح الحكمة من التشريع الذي يتناول جميع مجالات الحياة ، ويحقق الوجه الصحيح للقرآن كونه كتاب هداية وإرشاد وإصلاح للحياة البشرية ، ثم قال : هذا هو الغرض الأساسي الذي ارمي إليه من وراء التفسير [١] .

ب) القرآن أصل للعقائد :

يرى الإمام أن القرآن الكريم هو الذي يستنط منه الرأي وتؤخذ منه العقيدة ، ويحمل على أصحاب الفرق الضالة الذين أولوا الآيات القرآنية وطوعوها حسب عقائدهم ومذاهبهم ، ويقول بهذا الشأن : "أريد أن يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يُحمل عليها ، ويرجع بالتأول أو التحريف إليها ، كما جرى المخذولون وتاه فيه الضالون" [٢] .

ج) محاربة التقليد والجمود :

كان يهاجم التقليد الأعمى للآخرين وبذم التبعية ويدعو إلى الاجتهاد والتحرر العقلي من كل القيود ، وكان يطلق لعقله العنان في إلقائه لدروس التفسير ، ولا يلتزم بكتاب معين ، وكان ينـدد بمن يقف على أقوال المتقدمين في التفسير ويعتبره مقلداً .

ودعا إلى الاجتهاد وإعمال العقل حول النصوص وحارب الوهم والتقليد الذي انتشر في عصره ونادى بتحطيم فكرة إغلاق باب الاجتهاد .

---

(١) انظر : تفسير المنار ٢٥/١ .   (٢) انظر : التفسير والمفسرون ٥٥٦/٢ .

والذي دعاه لذلك تأثره بالبيئة التي نشأ فيها ، حيث وجد التخلف والركود في الشارع المصري الناتج عن الاحتلال البريطاني ، ووجد هذه صورة في معظم بلاد المسلمين ، بينما الغرب يتمتع بالرفاه والتقدم المادي ، وللخروج بالمجتمع الإسلامي من هذا الخطر فقد رأى أن الاجتهاد هو الوسيلة المشروعة للخروج من تلك المعضلة .

د) التحذير من الإسرائيليات :

حذر الإمام من الاستشهاد بالمرويات الإسرائيلية في التفسير التي لا يعرف صدقها من كذبها لأنها تخوض في جزئيات وتفصيلات أبهمها القرآن الكريم ولم يكلفنا الله بمعرفتها .

فعند تفسيره لقوله – تعالى – : ﴿ **وإن عليكم لحافظين O كراماً كاتبين O يعلمون ما تفعلون** ﴾ [1] يقول : "ومن الغيب الذي يجب الإيمان به أن علينا حفظة يكتبون الحسنات والسيئات ، وليس علينا البحث عن حقيقتهم ومن أي شيء خلقوا ، وهل عندهم أوراق وأقلام ومداد كالمعهود عندنا ؟ أو هناك ألواح ترسم فيها الأعمال ؟ وهل يكتبون بنفس الحروف التي نعهدها ؟ ثم يخلص إلى القول أن أعمالنا تحفظ وتحصى علينا ولا يضيع منها نقير ولا قطمير" [2]

هـ) تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث :

سمع الإمام بعض الشبهات التي قيلت حول الإسلام من الأعداء بأن الدين الإسلامي لا يتوافق مع نظريات العلم الحديثة ، فقام ليدافع عن الإسلام يرد على

(١) الانفطار / ١٠ – ١٢ .　　(٢) انظر : جزء عم وتفسيره / ٤٧ .

مثل هذه الشبهات فوقع في مخالفات كثيرة لأنه حاول تفسير الآيات القرآنية بما توصل إليه العقل البشري من نظريات علمية قابلة لتبديل والتغيير .

فمثلاً عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إذا لسماء انشقت ﴾ [1] يقول انشقاقها مثل انفطارها وهو يعين فساد تركيبها واختلال نظامها كأن يمر كوكب بجانب آخر فيتجاذبا فينتج الاصطدام الذي يسبب اضطراب في المجموعة الشمسية [2] .

ويقول الذهبي معلقاً على ذلك : يُشكر الإمام إذا كان غرضه تقريب معاني القرآن الكريم مع ما يوجد في عقول الناس من علوم ، ثم يتساءل وهل فساد الكون بهذه الطريقة ؟ فالله سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد يكون بهذه وبغيرها فهو أحاط بكل شيء علم [3] .

مثال آخر :

عندما يتعرض الإمام لتفسير سورة الفيل يذكر الرويات المتعلقة بإرسال الطير على أبرهة الحبشي وجنوده ويقول : "قد بينت لنا هذه السورة أن الجدري أو الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق من الطير ، مما يُرسله الله مع الريح فيجوز لنا أن نعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ، والحجارة هي الطين المسموم الذي يعلق بأرجل هذه الحشرات فإذا أصاب الجسد دخل في مسامه فأثار التقرحات التي تفسد الجسم وتساقط لحمه ، ثم قال أن الحيوان المسمى الان بالميكروب لا تخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصيها إلا الله سبحانه [4] .

خالف الإمام طريقة في مبهمات القرآن عندما خاض في التفصيلات

---

(١) الانشقاق / ١ .

(٢) انظر : جزء عم وتفسيره / ٦٣ .

(٣) انظر : التفسير والمفسرون ٥٦٧/٢ .

(٤) انظر جزء عم وتفسيره / ٢٠٠ .

الجزئيات فأجاز أن تكون الطير ميكروبات والحجارة هي الجراثيم المتحولة التي تسبب بعض الأمراض عندما تسقط على جسم الإنسان .

ونحن لا نقره على هذا التفسير العقلي لأن الجراثيم لم تكن مكتشفة عند نزول القرآن الكريم ، ولم يكن العرب على علم بها فالعربي إذا سمع لفظ الحجارة لا ينصرف ذهنه إلى الجراثيم ، والقرآن نزل مخاطباً الناس بما يألفونه ويعرفونه .

ولا نوافق الإمام فيما ذهب إليه لأنه حمّل النصوص ما لا تحتمله وذلك ليثبت للغرب أن الإسلام يواكب ما توصل إليه العقل في العصر الحديث ، وهذا يُعتبر من التطرف والغلو عند الإمام .

و) تحكيمه للعقل :

لقد أوّل الإمام بعض الآيات التي تتحدث عن المعجزات الإلهية أخضعها لقانون الأسباب والمسببات ؛ لتكون قريبة من التفسير العقلي وما يقارب المألوف ، مع أنها فوق الإدراك البشري .

فقد أوّل خلق عيسى – عليه السلام – بما يتفق مع العقل فقال : أن الروح لها أثر كبير على الماديات مثل الكهرباء والرياح العاتية التي تفتك بالمادة . ولما كان الملك روحاً ونفخ في جيب درع مريم – عليها السلام – وبشرها الله بأنها ستحمل انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح ، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت ، وفي مزاج المريض فيبرأ ، وكان نفخ الروح متمماً لهذا التأثير [1] .

وهذا مخالفٌ لما أوضحه القرآن أن خلق عيسى كخلق آدم وحواء داخل في

---

(١) انظر : علوم التفسير / ٤٦ .

أمر المعجزة ، فخلق عيسى لا يحتاج إلى أسباب ملموسة لأنه يندرج تحت قدرة الله سبحانه الذي يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء قال - تعالى - : ﴿ **إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ (١) .

وفسّر الإمام الجن والحسد تفسيراً عقلياً ، فهو لم ينكر وجود الجن كما فعل بعض المعتزلة ، وإنما جوّز أن يكون لهم أثر على الإنسان يعرف بالصرع ، ثم ذكر أن الجن يمكن أن يطلق على الميكروب الخفي الذي يسبب الكثير من الأمراض (٢) .

ز) موقفه من السحر :

يرى الإمام أن السحر عبارة عن تخييل وخداع للأبصار ، وليس حقيقة ، وحمل السحر على الأمور المعنوية والإفساد بين الناس ، فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾ (٣) يقول : المراد بالآية النمامون والمقطعون لروابط المحبة والألفة المحرقون لها عن طريق النميمة التي يمشون بها بين الناس ، أراد الله أن يشبههم بالسحرة المشعوذين الذين يحلون عقدة المحبة بين المرء وزوجه ، وقال : أن النميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر لأنها تُحوّل ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة وبغضاء بوسيلة خفية كاذبة (٤) .

وبهذا يخالف الإمام جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة ويوافق رأي المعتزلة في إنكارهم للسحر ، حيث يقول الزمخشري في الكشاف : "يجوز أن يكون المراد بالنفاثات في العقد ، النساء اللاتي وصفن بالكيد العظيم ، قال - تعالى - : ﴿ **إنَّ كيدكن عظيم** ﴾ (٥) تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث في العقد عندما يتعرضن للرجال بالفتنة وعرضهنّ لمحاسنن كأنهن بسحرنهم بذلك" (٦) .

---

(١) آل عمران / ٥٩ . (٢) انظر : علوم التفسير ٤٧ . (٣) الفلق / ٤ .

(٤) انظر : جزء عم وتفسيره / ٢٢٨ . (٥) يوسف / ٢٨ .

(٦) انظر : تفسير الكشاف ٤/٣٠١ .

ح) إنكاره لبعض الأحاديث الصحيحة :

لقد ردَّ الإمام الرواية في سحر الرسول - ﷺ - عن طريق لبيد بن الأعصم ، واعتبر أن سحره - عليه الصلاة والسلام - يخالف القرآن لأنه نفى عنه السحر والجنون ، وقال : أن المشركين هم الذين اتهموه بالسحر ، قال - تعالى - : ﴿ **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** ﴾ [(١)] ؟

ونحن نقول : إنَّ القرآن نفى عن النبي - ﷺ - السحر الذي يصيب العقل بالخبل والجنون ، لأن ذلك يتنافى مع مقام النبوة ، قال - تعالى - : ﴿ **ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾ [(٢)] ، أما الحديث الذي ذكره البخاري وأصحاب السنن في سحره - ﷺ - إنما هوالذي يصيب الجسم بنوع من الثقل أو المرض ، أن ما فعله لبيد بن الأعصم بالنبي - ﷺ - من السحر هو من نوع "القعد عن النساء" ويسمى "بالربط" ، فقد كان يخيل إليه أن عنده القدرة على إتيان إحدى نسائه فإذا همّ بحاجته عجز عن ذلك .

فالإمام لا يفرق بين رواية البخاري وغيره ، فلا مانع عنده من عدم صحة ما يرويه البخاري وليس هذا الحديث هو الذي تخلص منه الشيخ بأنه رواية آحاد أو منكر [(٣)] .

ويوجد روايات أخرى نالها هذا الحكم منها قول النبي - ﷺ - (**كل نبي أدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها**) [(٤)] فقال : إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل وليس من باب الحقيقة ، فقد جعل الحديث من باب التمثيل ، وهذا هو مذهب المعتزلة لأنهم يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان لاّ بالوسوسة والإغواء فقط [(٥)] .

---

(١) الفرقان / ٨ . (٢) القلم / ٢ (٣) انظر : جزء عم وتفسيره / ٢٢ .
(٤) متفقه عليه . (٥) انظر : تفسير المنار ٣٩/٣ . وانظر : التفسير والمفسرون ٥٧٥/٢ .

ط) نظرته لتعدد الزوجات :

يرى الإمام أن الأصل في الزواج الاكتفاء بواحدة فقط لتكون سكناً وأمناً يترتب على الزواج منها الثقة والاطمئنان المتبادل وبناء الأسرة على أكمل وجه .

وأوضح الإمام المفساد المترتبة على تعدد الزوجات في عصرنا الحاضر ثم قال : إن تعدد الزوجات الأمر مضيق فيه ، لأن الآيات اشترطت ما يصعب تحقيقه ، قال – تعالى – : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا** ﴾ (1) .

ثم أضاف إلى تفسيرها قوله – تعالى – : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين الناس ولو حرصتم** ﴾ (2) .

فهو يعتبر التعدد كان له من المحاسن في عصر الصحابة لأنهم كانوا أصحاب قلوب نظيفة ونفوس سليمة يمتثلون أمر الله ويتقون الله رب العالمين في سائر أعمالهم وأقوالهم .

أما في عصرنا الحديث فيعتبر التعدد له مساوئ كثيرة ، وذلك لضعف الإيمان في نفوس الناس وضعف الأخلاق ، حتى أن غلب المعددين لزوجاتهم لا هم لهم إلاّ قضاء الشهوة والمتعة الزائلة ، والله لا يحب الذواقين والذواقات .

وقال : "يجب على العلماء النظر في ذلك فهم لا ينكرون أن الدين أنزله الله لمصلحة البشر ومنع الضرر والضرار ، فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله ، فلا شك في وجوب تغيير الحكم وتطبيقه على الحالة الحاضرة ، يعني أن قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ثم قال وبهذا يُعلم

---

(1) النساء / ٣ . (2) النساء / ١٢٩ .

أن تعدد الزوجات محرم قطعاً عند الخوف من عدم العدل" [(١)] .

رابعاً : تعريف بمحمد رشيد رضا :

هو محمد بن رشيد بن علي رضا ولد (سنة ١٨٦٥) في القلمون وهي من ضواحي طرابلس لبنان ، كان يحب التنسك والزهد ، كثير العبادة ، نظم الشعر في صباه ، رحل إلى سوريا ثم إلى مصر وأنشأ هناك "مدرسة الدعوة والإرشاد" ، ثم عاد إلى سوريا وعمل في مجال الدعوة والسياسة ، ثم غادرها إلىمصر مرة ثانية عند دخول الفرنسيين عام ١٩٢٠م ، ثم ارتحل إلى الهند والحجاز وزار بعض البلاد الأوربية ، ثم استقر به المطاف في مصر حتى توفي فيها سنة ١٩٣٥م [(٢)]

أشهر مؤلفاته :

١- الوحي المحمدي . ٢- يُسر الإسلام وأصول التشريع . ٣- الخلافة . ٤- نداء إلى الجنس اللطيف . ٥- الوهابيون والحجاز . ٦- ذكرى المولد النبوي . ٧- شبهات النصارى وحجج الإسلام . ٨- تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده . ٩- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار [(٣)] .

هدفه من كتابة تفسير المنار :

كان هدفه من كتابته تفسير المنار هو نفس الهدف الذي قصده شيخه محمد عبده وهو بيان أن القرآن كتاب هداية وإرشاد للناس عامة يحقق السعادة لهم في

---

(١) تفسير المنار ٣٥٠/٤ . (٢) تفسير المنار / ٢٢٣ . (١) انظر : علوم التفسير / ١٩٣ ، ١٩٤ .

الدنيا والآخرة ، فيقول : "إن قصدنا من التفسير هو بيان معنى القرآن وطرق الاهتداء به في هذا الزمان" ، ولقد صور الإمام هذا الاتحاد في الهدف حينما قال : "صاحب المنار ترجمان أفكاري" (١) .

مع أنه متحد مع شيخه في العقيدة والفكر والرأي والخلق إلاّ أنه كان يخالف شيخه في الأسلوب والوسيلة مع اتحادهما في الهدف والغاية ، حيث ينقل عنه صاحب علوم التفسير فيقول : "عندما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - فتوسعت فيما يتعلق بالآية في السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً أو في حكمها ، وتوسعت في تحقيق بعض المفردات والجمل اللغوية ، وتطرقت للمسائل الخلافية بين العلماء" (٢) .

خامساً : منهج محمد رضا في تفسيره :

أ) كان يرجع في تفسيره للآيات أولاً إلى القرآن الكريم ويفسر الآيات بعضها ببعض ، خصوصاً إذا كانت الآيات تتحدث عن موضوع واحد ، ثم يستعين بالسنة المطهرة ، وبعد ذلك يستعين بأقوال الصحابة والتابعين وبأساليب اللغة العربية ، ثم يطلق لعقله العنان بتحرر كامل من التقليد للمفسرين .

ب) عالج في تفسيره بعض المسائل الفقهية ، خصوصاً التي تباينت آراء العلماء حولها ، لأنه أعطى لنفسه الحرية الكاملة في استنباط الأحكام من القرآن ، فخالف جمهور العلماء في بعض المسائل نطرح منها الآتي :

١- أكد بكل ما يملك من حجة على بقاء حكم الوصية للوالدين والأقربين .

---

(١) انظر : علوم التفسير / ١٩٥ ، ١٩٦ . (٢) نفس المصدر السابق / ١٩٦ .

٢- قرر أن المسافر يجوز له التيمم مع وجود الماء بين يديه ، ولا علة تمنعه في استعماله إلاّ كونه مسافراً ، وهذا مخالف للمذاهب الفقهية المعروفة (١) .

ج) رجوعه إلى التوارة والإنجيل :

لقد شدد الأستاذ في اللوم على المفسرين الذين ملأوا تفاسيرهم بالإسرائيليات ، ولكنه يؤخذ عليه أنه نقل عن الكتاب المقدس أخباراً كان يفسر بها مبهمات القرآن ، وكان الأجدر به أن يكشف عن ذلك لأنه يعترف بأنها تطرق إليها التحريف والتغيير .

د) نظرته إلى السحر :

ينظر إلى السحر أنه تمويه وخداع وليس له حقيقة ، فهو يوافق شيخه محمد عبده في ذلك ، فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ **ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحرٌ مبين** ﴾ (٢) ، يقول الآية تدل على أن السحر خداع باطل وتخييل بحيث يجعل ما لا حقيقة له في صور الحقائق (٣) .

هـ) بيانه لأسباب النصر والهزيمة :

حرص صاحب المنار على بيان أن لله سنناً ونواميس كونية وأن هناك أسباباً للنصر والهزيمة ، وكان يقصد من وراء ذلك إحداث يقظة عارمة في قلوب

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون ٢/٥٨٦ ، ٥٨٧ .   (٢) الأنعام / ٧ .

(٣) انظر : تفسير المنار ٧/٣١١ .

المسلمين ليفيقوا من سباتهم العميق ، ويلفت أنظارهم إلى الواقع المؤلم الذي صار إليه حال الأمة ، ثم يوجههم إلى الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى النصر وتحقيق العزة والكرامة وبناء الحضارة والعمران .

و) تأثره بابن تيمية وابن القيم :

لقد تأثر صاحب المنار بمدرسة ابن تيمية التي دعت إلى الاجتهاد وحاربت التقليد والتعصب للمذاهب ، لذلك فقد نقل في تفسيره المنار فصولاً وبحوثاً من كتب ابن تيمية وابن القيم ، تشاهد من خلال تصفح أجزاء الكتاب .

وكان يعترف بأن كتب ابن تيمية وابن القيم من أنفع الكتب ، وأنهما جديران بلقب شيخ الإسلام ، وأيضاً كان ينقل عن بن كثير لأنه من تلاميذ ابن تيمية ، وخصوصاً في المتشابه من القرآن وما اختلفت حوله آراء المفسرين [1] .

(١) انظر : علوم التفسير / ١٩٨ .

المبحث الخامس
(التفسير الفقهي)

المطلب الأول
(تعريفه وتاريخه وأهم كتبه)

أولاً : تعريف التفسير الفقهي :

هو تفسير آيات الأحكام القرآنية ، وبيان واستنباط ما يمكن استنباطه من أحكامها الفقهية .

ثانياً : تاريخ التفسير الفقهي :

بدأ التفسير الفقهي منذ عهد النبي - ﷺ - ، وبالتحديد منذ نزول آيات الأحكام على النبي - ﷺ - ، حيث كان الصحابة - رضي الله عنهم - يفهمون فقه آيات الأحكام بسليقتهم العربية ، وما خفي أو التبس عليهم منها يسألون عنه النبي - ﷺ - الذي كان يبينه لهم تصديقاً لقوله - تعالى - : ﴿ ... **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ (١) .

وبعد وفاة النبي - ﷺ - جدت عليهم - رضي الله عنهم - حوادث لم يعهدوها تحتاج إلى حكم الإسلام فيها ، فكانوا يعرضونها على القرآن لاستنباط أحكامها ، فإن لم يجدوا عرضوها على السنة النبوية ، فإن لم يجدوا اجتهدوا

---

(١) النحل / ٤٤ .

وأعملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة ، وفي هذه الحالة الأخيرة قد يجمعون على الحكم ، وقد تتعدد آراؤهم فيه .

ومثال ذلك : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حكم بأن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها وضع حملها بدليل آية الطلاق التي تبين أن عدة المطلقة الحامل وضع الحمل ، وأنها مخصصة لآية الوفاة التي تنص على أن عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً . بينما حكم عليٌّ - رضي الله عنه - بأن عدتها كامل الأجلين وهو : وضع الحمل ومضي أربعة أشهر وعشرة أيام عملاً بالآيتين معاً ، وأن كل آية مخصصة لعموم الأخرى . وقد رجح رأي عمر بما ورد أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية مات عنها زوجها ، فوضعت الحمل بعد خمسة وعشرين يوماً من موته ، فأحلها رسول الله - ﷺ - للأزواج (1) .

فمثل هذا الخلاف كان لا يثير التعصب والتدابر بين الصحابة ، بل كان يترك الصحابيُّ قولَه ويرجع إلى قول أخيه إذا تبين له صوابه .

واستمر الأمر على هذا حتى عصر أئمة المذاهب - الأربعة وغيرهم - وفيه استجدت أمور وحوادث لم تسبق احتيج معها إلى أحكام جديدة ، فأخذ كل إمام يجتهد ويحكم عليها في ضوء القرآن والسنة ومصادر التشريع ، وقد اتفقوا في أحكام خاصة في الأصول ، واختلفوا في أحكام خاصة في الفروع .

ولكنهم مع هذا الاختلاف لم يتعصبوا لآرائهم ، بل كانوا ينشدون الحق ، حالهم في ذلك أشبه بحال الصحابة - رضي الله عنهم - آنف الذكر .

ثم خلف من بعدهم خلف قلدوا هؤلاء الأئمة ، وتعصبوا لمذاهبهم ، وصار كل أتباع مذهب لا يرون الحق إلا في مذهبهم ، بل وقد يغالون فيلوون أعناق

---

(1) انظر : تاريخ التشريع . للخضري / ١١٣ .

النصوص ويأولونها تأويلاً بعيداً لتدل على مذهبهم ، أو على الأقل ألا تعارضه .

ومثال ذلك : قال عبد الله الكرخي الحنفي (المتوفى سنة ٣٤٠هـ) : "كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ" (١) .

ولكن وجد من هؤلاء المقلدين من تعصب للحق أينما وجد دون مذهب كالقرطبي المالكي الأندلسي - رحمه الله - .

ثالثاً : أهم كتب التفسير الفقهي :

نظراً للمذاهب الفقهية وتقليدها ، فقد تبعت التفاسير الفقهية تلك المدارس الفقهية ، حسب تقليد كل مفسر لأيٍ منها . ولذلك سنذكرها تبعاً لمدارسها الفقهية :

أ) التفاسير الفقهية للمذهب الحنفي :

١- أحكام القرآن . لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص (المتوفى سنة ٣٧هـ) .
(وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات كبار ومتداول بين أهل العلم) .

٢- التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية لأحمد بن سعيد المدعو ملاجيون
(وهو مطبوع في الهند في مجلد كبير) .

ب) التفاسير الفقهية للمذهب المالكي :

١- أحكام القرآن . لأبي بكر بن العربي (المتوفى سنة ٥٤٣هـ) .
(وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم) .

٢- الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ) .
(وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم) .

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي . للسبكي والسايس والبربري / ٢٨١ .

ج) التفاسير الفقهية للمذهب الشافعي :

١- أحكام القرآن . لأبي الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي (المتوفى سنة ٥٠٤هـ) .

٢- القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز . لأبي العباس أحمد بن يوسف الحلبي المعروف بالسمين (المتوفى سنة ٧٥٦هـ) .

٣- أحكام الكتاب المبين . لعلي بن عبد الله محمود الشنفكي (من علماء القرن التاسع الهجري) .

٤- الإكليل في استنباط التنزيل . لجلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) .

د) التفاسير الفقهية للمذهب الحنبلي :

١- زاد المسير . لابن الجوزي .

هـ) التفاسير الفقهية للمذهب الزيدي :

١- شرح الخمسمائة آية . لحسين بن أحمد النجري (من علماء القرن الثامن الهجري) .

٢- الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة . لشمس الدين بن يوسف بن أحمد (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) .

٣- منتهى المرام شرح آيات الأحكام . لمحمد بن الحسين بن القاسم (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) .

٤- فتح القدير . للشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) .

(هذا التفسير هو الذي سنتناوله بالبحث في المطلب التالي ، وقد وقع خيارنا عليه لأنه جامع بين المأثور ، والرأي ، والفقه ، وغير ذلك ، وصاحبه يعتبر مجتهداً ومتحرراً من التعصب المذهبي) .

و) التفاسير الفقهية المعاصرة :

١- أضواء البيان . للشيخ محمد الشنقيطي .

٢- تفسير آيات الأحكام . للشيخ محمد السايس .

٣- تفسير آيات الأحكام . للشيخ محمد علي الصابوني .

٤- تفسير آيات الأحكام . للشيخ مناع القطان .

(هذه التفاسير الأربعة مطبوعة ومنشورة) .

المطلب الثاني

(فتح القدير – للشوكاني)

أولاً : تعريف بالشوكاني :

هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني . فقيه ، مفسر ، مجتهد ، من كبار علماء اليمن . من أهل صنعاء . له ١١٤ مصنف منها : (فتح القدير) في التفسير ، (ونيل الأوطار) في الحديث . ولد بهجر سنة ١١٧٣هـ ، ومات فيها سنة ١٢٥٠هـ (١).

ثانياً : تعريف بتفسير (فتح القدير) للشوكاني :

تفسير (فتح القدير) أصل من أصول التفسير ، ومرجع مهم من مراجعه ، لأنه جمع بين التفسير بالدراية ، والتفسير بالرواية ، فأجاد في الدراية ، وتوسع في الرواية لدرجة أن البعض نسبه إلى كتب التفسير بالمأثور ، كذلك برز في المجال الفقهي إذ أن صاحبه مجتهد .

(والكتاب طبعته دار الفكر في خمسة أجزاء كبيرة ، وهو متداول بين أهل العلم) .

ثالثاً : منهج الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) (٢) :

١– يستهل السورة بذكر اسم السورة ، وعدد آياتها ، وكونها مكية أو مدنية ،

---

(١) انظر : البدر الطالع . للشوكاني ٢/٢١٤ ، ٢١٥ رقم (٤٨٢) . والأعلام . للزركلي ٧/١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) رجعنا في ذلك إلى : مواضع من فتح القدير . للشوكاني . ومقدمة في أصول التفسير . لأبي حذيفة / ٤٠ . ولمحات في التفسير ومناهج المفسرين . للصباغ / ١٦٥ – ١٦٧ . والتفسير والمفسرون .للذهبي ٢/٢٨٥ وما بعدها .

والآثار الواردة في فضلها ، وسبب نزولها وزمانه ومكانه ، والمنسوخ منها ، ما وجد لذلك سبيلاً .

ومثال على ذلك قال الشوكاني - رحمه الله - : "بسم الله الرحمن الرحيم (تفسير سورة المائدة) هي مائة وثلاث وعشرون آية [1] . قال القرطبي : هي مدنية بالإجماع ... وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب القرطبي ... أنها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة ... وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالا : قال رسول الله - ﷺ - : (**المائدة من آخر القرآن تنزيلاً ، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها**) ... وأخرج أبو داود في ناسخه وابن أبي حاتم والحاكم - وصححه - عن ابن عباس قال : نسخ من هذه السورة آيتان ، آية القلائد ، وقوله ﴿ **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ [2] .. وذكر النقّاش عن أبي سلمة قال : لما رجع - ﷺ - من الحديبية قال : (**يا عليّ أشعرت أنها نزلت عليَّ سورة المائدة ؟ ونعمت الفائدة**) قال ابن العربي : هذا حديث موضوع لا يحل لمسلم اعتقاده ، وقال ابن عطية : هذا عندي لا يشبه كلام النبي - ﷺ - [3] .

٢- يذكر أحياناً قليلة المناسبات بين الآيات ، ويرى أن من التكلف إيجاد مناسبة بين كل آية وآية لأن ذلك لا يعود بفائدة كثيرة ، ولأن القرآن نزل منجماً حسب الحوادث ولم ينزل حسب ترتيب المصحف .

مثال ذلك قال : "﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ...** ﴾ [4] : هذا شروع

(١) المعروف أن المائدة هي مائة وعشرون آية ، ويبدو أنه خطأ من النساخ أو مطبعي ، خاصه أنه لم يذكر خلافاً في عدد آياتها .
(٢) المائدة . من الآية / ٤٢
(٣) فتح القدير ٢/٣ ، ٤ .
(٤) المائدة / ٣ .

في المحرمات التي أشار إليها سبحانه بقوله : ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ [(١)] .

٣- يحتكم كثيراً للغة ، وينقل عن كبار أئمتها ويستشهد بالشعر .

ومثال ذلك أنه في قوله تعالى : ﴿ **سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسومًا ...** ﴾ [(٢)] قال : "وانتصاب ﴿ **حسوماً** ﴾ على الحال : أي ذات حسوم ، أو على المصدر بفعل مقدر : أي تحسمهم حسوماً . أو على أنه مفعول به ، والحسوم التتابع ... قال الزجاج : الذي توجبه اللغة في معنى قوله ﴿ **حسوماً** ﴾ : أي تحسمهم حسوماً تفنيهم وتذهبهم . قال النضر بن شميل : حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم . وقال الفراء : الحسوم الاتباع ... ومنه قول أبي دؤاد :

يفرق بينهم زمن طويل تتابع فيه أعواماً حسوماً

وقال المبرد : هو من قولك حسمت الشيء : إذا قطعته وفصلته عن غيره ... قال ابن زيد : أي حسمتهم فلم تبق منهم أحداً" [(٣)] .

٤- يتعرض كثيراً للقراءات السبع وينسبها لأصحابها .

ومثال ذلك أنه في قوله تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره O ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره** ﴾ [(٤)] قال : "وقرأ الجمهور ﴿ **يَرَهُ** ﴾ مبنياً للفاعل في الموضعين . وقرأ ابن عباس وابن عمر والحسن والحسين ابنا عليّ وأبو حيوة وعاصم والكسائي - في رواية عنهما - والجحدري والسلمي وعيسى على البناء للمفعول فيهما أي يريه الله إياه . وقرأ عكرمة ﴿ **يراه** ﴾ على توهم أن ﴿ **مَنْ** ﴾ موصولة ، أو على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة في الفعل" [(٥)] .

٥- يلتزم عقائد السلف ، ويهاجم عقائد المعتزلة ، وعقائد الزيدية المستمدة منها .

---

(١) المائدة . من الآية / ١ . (٢) الحاقة . من الآية / ٧ . (٣) فتح القدير ٥/٢٨٠ .

(٤) الزلزلة ٧ ، ٨ . (٥) فتح القدير ٥/٤٨٠ .

ومثال ذلك قوله : "﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ [1] . قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً ، وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به ، مع تنزيهه عما لا يجوز عليه" [2] .

ومثاله أيضاً قوله : "﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ [3] ... قال [الزمخشري] في الكشاف : بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة . انتهى . أقول [أي الشوكاني] : يا مسكين هذا قاله رسول الله - ﷺ - فيما صح عنه : (**سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله**) ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : (**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**) [4] ، والتصريح بسبب لا يستلزم نفي سبب آخر ، ولولا التفضل من الله - سبحانه وتعالى - على العامل بإقداره على العمل لم يكن عمل أصلاً ، فلو لم يكن التفضل إلا بهذا الإقدار لكان القائلون به محقة لا مبطلة ، وفي التنزيل ﴿ **ذلك الفضل من الله** ﴾ [5] وفيه ﴿ **فسيدخلهم في رحمة منه وفضل** ﴾ [6]" [7] .

٦- يعرض المذاهب الفقهية عند تفسير آيات الأحكام ، ويستنبط ويجتهد .

ومثال ذلك قوله : "﴿ **والموقوذة** ﴾ [8] هي التي تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية ... قال ابن عبد البر : واختلف العلماء قديماً وحديثاً في الصيد بالبندق والحجر والمعراض ،ويعني بالبندق قوس البندقية ، وبالمعراض السهم

---

(١) الأعراف . من الآية / ٥٤ . (٢) فتح القدير ٢/٢١١ . (٣) الأعراف / ٤٣ .

(٤) صحيح مسلم (بألفاظ مقاربة) كتاب ٥٠ (صفات المنافقين وأحكامهم) باب ١٧ (لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى) ٤/٢١٧١ (٢٨١٨) .

(٥) النساء . من الآية / ٧٠ . (٦) النساء . من الآية / ١٧٥ . (٧) فتح القدير ٢/٢٠٦

(٨) المائدة . من الآية / ٣ .

الذي لا ريش له ، أو العصا التي رأسها محدد ، قال : فمن ذهب إلى أنه وقيذ لم يجزه إلا ما أدرك ذكاته على ما روي عن ابن عمر ، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والشافعي وخالفهم الشاميون في ذلك . قال الأوزاعي : في المعراض كُلْهُ خرق أم لم يخرق ... قلت [الشوكاني] : والحديث في الصحيحين وغيرهما عن عديّ قال : قلت يا رسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فاصيب فقال : (**إذا رميت بالمعراض فخرق فكله ، وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيذ فلا تأكله**) [1] ، فقد اعتبر - ﷺ - الخرق وعدمه ، فالحق أنه لا يحل إلا ماخرق لا ما صدم ، فلابد من التذكية قبل الموت ، وإلا كان وقيذاً . وأما البنادق المعروفة الآن ... الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حياً ... حلال ، لأنها تخرق وتدخل في الغالب من جانب ، وتخرج من الجانب الآخر [للحديث] ..." [2] .

٧- يذم التقليد المذهبي والمقلدين للأئمة في كل مناسبة :

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون O قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ [3] "وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه ، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم ..." [4] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . كتاب (الذبائح والصيد) باب (صيد المعراض) ٤٩٦/٩ . وصحيح مسلم . كتاب ٣٤ (الصيد والذبائح) باب ١ (الصيد بالكلاب المعلمة) ١٥٢٩/٣ (١٩٢٩) . (٢) فتح القدير ٩/٢ . (٣) الزخرف / ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) فتح القدير ٥٥٢/٤ .

قلنا : وكلامه هذا صواب إذا نُزِّل على العلماء القادرين على التمييز بين الأدلة ، والتفريق بين الأقوال الراجحة ، والأقوال المرجوحة . أما إذا أدرجناه على العوام الذين هم في غفلةٍ وجهلٍ عما ذكر ففيه قسوة وغلو . وقد أجاز التقليد كثير من العلماء .

٨- يفسر الآيات تفسيراً مختصراً معقولاً ومقبولاً وجميلاً .

٩- يختم تفسيره - لكل مجموعة اختارها من الآيات - بروايات التفسير بالمأثور عن النبي - ﷺ - ، وأصحابه - رضي الله عنهم - والتابعين - رحمهم الله - ، إلا أنه يذكر بعض الروايات الموضوعة أو الضعيفة دون أن ينبه عليها إلا قليلاً .

ومثال ما لم ينبه على ضعفه ووضعه أنه عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ...** ﴾ (1) قال : "وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك** ﴾ على رسول الله - ﷺ - يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله - ﷺ - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس" (2) فقد ذكر هذه الروايات الموضوعة من الشيعة دون أن ينبه عليها رغم وضعها باتفاق أهل العلم (3) .

ومثال على تنبيهه على الضعيف ما ذكره آخر المثال الذي أوردته كشاهد للنقطة الأولى من منهجه .

---

(1) المائدة / ٦٧ .

(2) فتح القدير ٢/ ٦٠ .

(3) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٢/ ٢٨٩ .

المبحث السادس
(التفسير الإشاري أو الفيضي)

المطلب الأول
(حقيقته وشرعيته وحكمه وأهم كتبه)

أولاً : تعريفه وحقيقته :

التفسير الإشاري أو الفيضي : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوُّف ، ويمكن الجمع والتطبيق بينها وبين الظواهر المرادة أيضاً [1] .

ثانياً : الفرق بين الإشاري الصوفي ، الباطني :

إن التفسير الإشاري الصوفي لا ينفي التفسير الظاهري للآيات ، بل يثبته أولاً ويحض عليه باعتباره ظاهر الآيات ، ثم يأتي بالإشاري باعتباره باطن الآيات ، وأصحابه يعتبرون أن "من ادعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير الظاهر ، فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب" [2] .

وأما الباطنية فإنهم يقولون : إن الظاهر غير مراد أصلاً ، وإنما المراد الباطن . وقصدهم نفي الشريعة [3] .

---

(١) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٢/ ٧٨ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٢/٣٥٢ .

(٢) الإتقان ٢/ ١٨٤ .   (٣) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٢/ ٧٩ .

ثالثاً : أصله الشرعي :

أ) أصله من القرآن :

١- قوله - تعالى - : ﴿ ... **فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً** ﴾ (١) .

٢- وقوله - تبارك وتعالى - : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ (٢) .

٣- وقوله - جل ثناؤه - : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها** ﴾ (٣) .

فالآيات تشير إلى أن للقرآن ظهراً وبطناً ، والله لم يحض فيها على فهم الظاهر فقط لأن العرب الأقحاح يعرفونه بسليقتهم ولغتهم العربية ، وإنما أراد أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده ، وذلك هو الباطن (٤) .

ب) أصله من السنة :

١- ما أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلاً عن رسول الله - ﷺ - أنه قال (**لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع**) .

٢- وما أخرجه الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً إلى رسول الله - ﷺ - أنه قال : (**القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد**)

فالحديثان صرحا بأن للقرآن ظهر وبطن ، وفي معناها أقوال :

(أولها) ظاهر الآية : لفظها ، وباطنها : تأويلها .

(وثانيها) ظاهر الآيات : قصص الأولين والأخبار بهلاكهم ، وباطنها : وعظ الآخرين وتحذيرهم لئلا يفعلوا فعلهم ، فيحل بهم مثل ما حل بهم . قال أبو عبيدة .

---

(١) النساء / ٨٧ . (٢) النساء / ٨٢ . (٣) محمد / ٢٤ .

(٤) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٣٥٣/٢ .

(وثالثها) ظاهر الآيات : ما ظهر من معانيها ،وباطنها : ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أهل الحقائق . حكاه ابن النقيب .

(ورابعها) ظاهر الآيات : أنه ما من آية إلا عمل بها قوم ، وباطنها : أنه ما من آية إلا لها قوم سيعملون بها . قاله ابن مسعود – رضي الله عنه – .

(وخامسها) أنك إذا بحثت عن باطنها ، وقسته على ظاهرها ، وقفت على معناها .

(وسادسها) الظاهر : التلاوة ، والباطن : الفهم [(١)] .

"ومعنى قوله – (ولكل حد مطلع) لكل غاية من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ، ويوقف على المراد به" [(٢)] .

ج) أصله من أقوال الصحابة وأفعالهم :

١– ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال : "إن القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون ، لا تنقضي عجائبه ، ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا ، ومن أخبر فيه بعنف هوى ، أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء" .

٢– ما روي عن أبي الدرداء أنه قال : "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً" .

٣– ما روي عن ابن مسعود أنه قال : "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن [(٣)]" .

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٢/٣٥٤ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٢/٨٠ .

(٢) المرجع السابق ٢/٨٠ .

(٣) فليثور القرآن : "أي لِيُنقِّر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته" . النهاية في غريب الحديث والأثر . لابن الأثير ١/٢٢٩ .

قال الذهبي : "وهذا الذي قالوه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر" [1] .

٤- ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس ، أنه وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - فهما من قوله - تعالى - : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ [2] ، أنه علامة أجل رسول الله - ﷺ - وهذا هو المعنى الباطن للآية الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة بينما فهم غيرهما من الصحابة المعنى الظاهر فقط . وقد سبق ذكر الرواية فلا نكررها [3] .

٥- ما أخرج بن أبي شيبة وابن جرير عن عنترة قال : "لما نزلت : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [4] وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر ، فقال له النبي - ﷺ - : (**ما يبكيك ؟!**) قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل ؛ فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص . فقال : (**صدقت**)" [5] .

فعمر - رضي الله عنه - أدرك المعنى الإشاري : وهو نعي رسول الله - ﷺ - الذي أقره عليه ، بينما فرح الصحابة - رضي الله عنهم - لهذه النعمة ؛ لأنهم لم يفهموا من الآية إلا معناها الظاهر .

فهذه الأدلة المتظافرة من القرآن والسنة ، وأقوال الصحابة وأفعالهم - رضي الله عنهم - تدلنا أن لآيات القرآن الكريم ظاهراً يفهمه كل من يعرف اللغة العربية ، وباطناً يدل على إشارات ودلالات معينة يهتدي إليها ويستنبطها العلماء الموهوبون الأتقياء ، وهو ما يطلق عليه (التفسير الإشاري) وهو في الحقيقة ليس تفسيراً حقيقياً للآيات ، وإنما إشارت تفهم من الآية ودلالات واستنباطات ونظائر ؛ فإن النظير يذكر بالنظير .

---

(١) التفسر والمفسرون ٢/٣٥٤ .　　(٢) النصر / ١ .　　(٣) راجع ص / ١٤١ .

(٤) المائدة . من الآية / ٣ .　　(٥) سبق تخريجه ص / ١٤٢ .

رابعاً : حكم التفسير الإشاري :

(أ) حكم التفسير الإشاري مع نفي التفسير الظاهري :

من أثبت التفسير الإشاري الباطني للآيات ، ونفى - في ذات الوقت - التفسير الظاهري لها ؛ فقد كفر وألحد وارتد ، لأنه نفى الشريعة بالكلية . ولا خلاف في ذلك بين العلماء .

(ب) حكم التفسير الإشاري مع إثبات التفسير الظاهري :

من أثبت التفسير الإشاري للآيات ، ولم ينف التفسير الظاهري لها ؛ بل أقره وآمن به ، فقد اختلف العلماء في هذه الحالة في حكم تفسيره الإشاري إلى أقوال :

١- ذهب بعض العلماء إلى تحريمه ومنعه بالكلية ، لأنه إحالة لكلام الله - تعالى - ، ولكلام رسوله - ﷺ - .

٢- وذهب بعض العلماء إلى جوازه ، ولم يضعوا لهذا الجواز ضوابط وقيود .

٣- وذهب علماء آخرون إلى جوازه وقبوله بشروط معينة ، نلخصها في الآتي :

(أولها) ألا يناقض وينافي التفسير الإشاري المعنى الظاهر للآية .

(ثانيها) أن يكون معنى صحيحاً في نفسه له شاهد شرعي يؤيده ، وليس له معارض شرعي أو عقلي .

(وثالثها) أن يكون في اللفظ إشعارٌ به .

(ورابعها) أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .

(وخامسها) ألا يُدَّعَى أنه المراد وحده دون المعنى الظاهر .

(وسادسها) "ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً ، كتفسير بعضهم قوله - تعالى - :

﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ [1] يجعل كلمة ﴿ لَمَعَ ﴾ ماضياً ، وكلمة ﴿ المحسنين ﴾ مفعوله" [2] .

وقد قال به ابن القيم ، والذهبي ، والزرقاني ، مع اختلاف عباراتهم في الشروط [3] . وهو القول الراجح . والله أعلم .

قال ابن القيم - كما نقل عنه القطان - : "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول : تفسير على اللفظ : وهو الذي ينحو إليه المتأخرون ، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف ، وتفسير على الإشارة : وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم ، وهذا لا بأس به بأربعة شروط :

١- ألا يناقض معنى الآية .

٢- وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .

٣- وأن يكون في اللفظ إشعار به .

٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم ، فإذا جتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً" [4] .

وقال الذهبي : "هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري كان مقبولاً ، ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه لا وجوب الأخذ به ، أما عدم رفضه فلأنه غير منافٍ للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف ، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة .

وأما عدم وجوب الأخذ به ، فلأنه من قبيل الوجدانيات ، والوجدانيات لا

---

(١) العنكبوت . من الآية / ٦٩ . (٢) مناهل العرفان . للزرقاني ٨١/٢

(٣) انظر : مناهل العرفان . للزرقاني ٨١/٢ . والتفسير والمفسرون . للذهبي ٣٧٧/٢ . ومباحث في علوم القرآن . للقطان / ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٤) مباحث في علوم القرآن / ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان ، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه ، وسر بينه وبين ربه . فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه ، دون أن يلزم به أحداً من الناس سواه" (١) .

ومما ينبغي التذكير به أنه ليس من الحكمة أن يقرأ التفسير الإشاري للآية من لا يعرف المعنى الظاهر لها أولاً .

خامساً : أهم كتب التفسير الإشاري :

١- تفسير القرآن العظيم . لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠ أو ٢٠١هـ - ٢٨٣ أو ٢٧٣هـ) .

٢- حقائق التفسير . لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (٣٣٠هـ - ٤١٢هـ) .

٣- عرائس البيان في حقائق القرآن . لأبي محمد روزبهان بن أبي النضر الشيرازي (المتوفى سنة ٦٦٦هـ) .

٤- التأويلات النجمية . لنجم الدين داية (المتوفى سنة ٦٠٤هـ) وعلاء الدولة السلماني (المتوفى سنة ٧٣٦هـ) .

٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان . لنظام الدين بن الحسن النيسابوري (من علماء رأس المائة التاسعة) (وهو تفسير بالرأي ومتضمن لتفسير إشاري ، وقد سبق ذكره في التفسير بالرأي الجائز) .

٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . للألوسي البغدادي (١٢١٧هـ - ١٢٧٠هـ) (وهو ما سنفصل الحديث عنه في المطلب التالي ، وقد وقع الاختيار عليه بالذات لأنه الأكثر نفعاً ، وتداولاً بين أهل العلم) .

---

(١) التفسير والمفسرون ٣٧٨/٢ .

المطلب الثاني

(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)

(للألوسي البغدادي)

أولاً : تعريف بالألوسي :

هو أبو الثناء شهاب الدين ، السيد : محمود شكري أفندي بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي ، المولود في رصافة بغداد سنة ١٢١٧هـ ، والمتوفى فيها سنة ١٢٧٠ هـ .

كان شيخ علماء العراق ، وعلامة في المنقول والمعقول ، وفهامة في الفروع والأصول ، محدثاً لا يجارى ، ومفسراً لا يبارى ، وعالماً باختلاف المذاهب ، ومطلعاً على الملل والنحل وكان مؤرخاً ، وهو سلفي الاعتقاد ، حنفي المذهب ، صوفيّ النزعة ، قلد إفتاء الحنفية نحو خمس عشرة سنة ، وفي آخر أمره كان يميل إلى الاجتهاد .

اخذ العلم عن فحول العلماء منهم والده العلامة ، والشيخ خالد النقشبندي ، وتتلمذ له ، وأخذ عنه خلق كثير .

من مصنفاته : (حاشيته على القطر) ، وأتمها بعد موته ابنه نعمان ، (وشرح المسلم في المنطق) وقد فقد (والأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية) . . إلخ ، وأشهر مصنفاته تفسيره (روح المعاني) الذي نحن بصدده [1] .

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ٣٥٢/١ ، ٣٥٣ . ودراسات في التفسير . للجبوري / ١١٢ وما بعدها . والأعلام . للزركلي ١٧٢/٧ ، ١٧٣ .

ثانياً : تعريف بتفسير (روح المعاني) للألوسي :

هو موسوعة تفسيرية قيمة ، من أجلّ التفاسير وأوسعها وأجمعها ، جمع فيه الألوسي ونظم آراء السلف رواية ودراية ، بجانب آراء الخلف المقبولة بكل أمانة وعناية ، وألّف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة .

(فروح المعاني) جامعٌ لخلاصة ما سبقه من التفاسير ، وشامل لأقوال المفسرين مع النقد الحر والترجيح القائم على العدل . وقد نقل الألوسي عن تفسير (ابن عطية) وتفسير (أبي حيان) وتفسير (الكشاف) وتفسير (أبي السعود) ويشير إليه بعبارة : قال شيخ الإسلام (وتفسير البيضاوي) بعبارة : قال القاضي (وتفسير الفخر الرازي) بعبارة : قال الإمام (1) .

(وتفسير (روح المعاني) مطبوع متداول في خمسة عشر مجلداً كبيراً ، طبعه قديماً الشيخ منير الدمشقي "طبعة المنيرية" وحديثاً صورته "دار التراث") .

ثالثاً : منهج الألوسي في تفسيره (روح المعاني) (2) :

١- قبل أن يشرع في تفسير السورة يذكر أسماءها ، وكونها مكية أو مدنية ، وعدد آياتها ، وسبب نزولها ، والخلاف في ذلك إن وجد وترجيحه ، كما يذكر

---

(1) انظر : التفسير والمفسرون . للذهبي ١/٣٥٤ وما بعدها . ومناهل العرفان . للزرقاني ٢/٨٤ ، ٨٥ . ودراسات في التفسير . للجبوري / ١١٤ وما بعدها . وأصول التفسير . لأبي حذيفة / ٣٩ .

(2) رجعنا في ذلك إلى : مواضع من تفسير روح المعاني للألوسي . والتفسير والمفسرون . للذهبي ١/٣٥٦ - ٣٦٢ . ومناهل العرفان . للزرقاني ٢/٨٤ ، ٨٥ . ودراسات في التفسير . للجبوري /١١٢ - ١١٧ . وأصول التفسير . لأبي حذيفة / ٣٩ .

وجهاً أو أكثر في مناسبة السورة لما قبلها ، ثم يتحدث عن فضلها ، ويدلل على كل ما سبق بالروايات المأثور .

٢- يعنى بذكر المناسبات بين الآيات .

٣- يذكر طرفاً لا بأس به من أسباب النزول للآيات التي أنزلت على سبب .

٤- يعرض لذكر القراءات دون التقيد بالمتواتر منها .

٥- يستطرد في النحو ، ويكثر منه زيادة على اللازم حتى انتقد في ذلك ، وهذ واضح في غالب تفسيره .

٦- يستشهد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من اللغة والنحو وغير ذلك .

٧- شديد النقد للإسرائيليات وللأخبار المكذوبة ، بل ويسخر منها ويلوم من ذكرها أحياناً .

مثال على نقده للإسرائيليات : عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً ... ﴾ [1] قال ما نصه : "وأقول قد شاع أمر عوج [بن عنق] عند العامة ، ونقلوا فيه حكايات شنيعة ، وفي فتاوى العلامة ابن حجر قال الحافظ العماد بن كثير : قصة عوج وجميع ما يحكون عنه هذيان لا أصل له ، وقال ابن القيم : من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج عن عنق الطويل - ... ولا ريب في أن هذا وأمثاله من وضع نادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - وأتباعهم . انتهى" [2] .

٨- عند تفسيره لآيات الأحكام يستوفي مذاهب الفقهاء وأدلتهم ثم يرجح بينها بالدليل دون تعصب لمذهب معين .

---

(١) المائدة / ١٢ .　　　(٢) روح المعاني ٨٦/٦ .

مثال على تفسيره لآيات الأحكام : عند تفسيره قوله - تعالى - : ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ (1) قال ما نصه : "والمراد بالنفي عندنا [الحنفية] هو الحبس والسجن ، والعرب تستعمل النفي بذلك المعنى ؛ لأن الشخص به يفارق بيته وأهله ، وقد قال بعض المسجونين :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها   فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة   عجبنا ، وقلنا جاء هذا من الدنيا

ويعزرون أيضاً لمباشرتهم إخافة الطريق وإزالة أمنه ، وعند الشافعي عليه الرحمة المراد به : النفي من بلد إلى بلد ، ولا يزال يطلب وهو هارب فرقاً (2) إلى أن يتوب ويرجع ، وبه قال ابن عباس ، والحسن ، والسدي - رضي الله عنهم - وابن جبير ، وغيرهم ، وإليه ذهب الإمامية . وعن عمر بن عبد العزيز ، وابن جبير - في رواية أخرى - أنه ينفى عن بلده فقط ، وقيل : إلى بلد أبعد ... واستدل للأول بأن المراد بنفي قاطع الطريق زجره ودفع شره فإذا نفي إلى بلد آخر لم يؤمن ذلك منه ، وإخراجه من الدنيا غير ممكن ، ومن دار الإسلام غير جائز ، فإن حبس في بلد آخر فلا فائدة فيه ؛ إذ بحبسه في بلده يحصل المقصود ، وهو أشد عليه" (3) .

٩- يهتم بالعلوم الكونية ، ويستطرد في الكلام عنها ، غير أنه يقر منها ما يرتضيه ، ويفند ما لا يرتضيه .

١٠- يفند آراء المعتزلة والشيعة وأضرابهم . ويثبت مذهبه ، فهو سلفي المذهب سني العقيدة .

١١- التفسير الإشاري : يتكلم عنه بعد الفراغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، ولذلك عده بعض العلماء ضمن التفسير ، والأرجح أنه ضمن

---

(1) المائدة . من الآية / ٣٣ . (2) فرقاً : خوفاً . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٥٠٠ .

(3) روح المعاني . للألوسي ١١٩/٦ ، ١٢٠ .

التفسير بالرأي المحمود لأن مقصوده الأهم هو التفسير الظاهر ؛ بدليل أن كل الآيات حظيت به ، وأما التفسير الإشاري فكان تبعاً ؛ بدليل أن بعض الآيات فقط حظيت به دون الأغلب .

مثال على تفسيره الإشاري قال – تجاوز الله عنه – ما نصه : "ومن باب الإشارة في الآيات ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام** ﴾ [1] هي عندهم : حضرة الجمع المحرمة على الأغيار ، وقيل : قلب المؤمن ، وقيل : الكعبة المخصوصة ، لا باعتبار أنها جدران أربعة وسقف ؛ بل باعتبار أنها مظهر جلال الله تعالى . وقد ذكروا أنه سبحانه يتجلى منها لعيون العارفين ، كما يشير إليه قوله عز شأنه على ما في التوراه : "جاء الله – تعالى – من سيناء فاستعلن بساعير ، وظهر من فاران" ﴿ **قياماً للناس** ﴾ من موتهم الحقيقي لما يحصل لهم بواسطة ذلك ﴿ **الشهر الحرام** ﴾ هو زمن الوصول أو مراعاة القلب أو الفوز بذلك التجلي ... ﴿ **والهدي** ﴾ وهي النفس المذبوحة بفناء حضرة الجمع أو الواردات الإلهية التي ترد القلب أو ما يحصل للعبد من المنن عند ذلك التجلي ﴿ **والقلائد** ﴾ وهي النفس الشريفة المنقادة ..." [2]

وقال في موضع آخر : "﴿ **وهو الذين أنزل من السماء ماءً** ﴾ [3] أي من سماء الروح ماء العلم ﴿ **فأخرجنا به نبات كل شيء** ﴾ أي : كل صنف من الأخلاق والفضائل ﴿ **فأخرجنا منه** ﴾ أي النبات ﴿ **خضراً** ﴾ زينة النفس وبهجة لها ﴿ **نخرج منه** ﴾ أي الخضر ﴿ **حباً متراكباً** ﴾ أي أعمالاً مترتبة شرعية ونيات صادقة يتقوى القلب بها ﴿ **ومن النخل** ﴾ أي : نخل العقل ﴿ **ومن طلعها** ﴾ أي من ظهور تعلقها ﴿ **قنوان** ﴾ معارف وحقائق ﴿ **دانية** ﴾ قريبة التناول .. ﴿ **والزيتون** ﴾ أي : زيتون التفكر ﴿ **والرمان** ﴾ أي رمان الهمم الشريفة والعزائم النفيسية ..." [4] .

---

(١) المائدة . من الآية / ٩٧ .
(٢) روح المعاني . للألوسي ٧/٧٣ .
(٣) الأنعام . من الآية / ٩٩ .
(٤) روح المعاني . للألوسي ٧/٢٥٧ .

المبحث السابع

(التفسير الموضوعي)

أولاً : تعريف التفسير الموضوعي :

هو التفسير الذي يتناول موضوعاً واحداً في القرآن ، فيجمع المفسر الآيات المتعلقة به في القرآن كله أو سورة أو أكثر منه ، ويفسرها ويفصل القول فيها حسب خطته .

ثانياً : تاريخ التفسير الموضوعي :

بدأت الكتابة في التفسير الموضوعي منذ عصور التدوين الأولى ، حيث سار في ذلك جنباً إلى جنب مع اتجاهات التفسير الأخرى في تلك العصور ، ويدلنا على ذلك تاريخ الكتب التي ألفت فيه .

واستمر ذلك إلى عصرنا ، حيث كثرت الكتابة فيه خاصة في الرسائل العلمية (ماجستير ، ودكتوراة) .

ثالثاً : أهمية التفسير الموضوعي وثماره :

١- التفسير الموضوعي يظهر الحيوية الواقعية للقرآن الكريم وأنه صالح لكل زمان ومكان ، فهو يعمل على حل كثير من مشكلات المسلمين المعاصرة ويقدم الحلول لها من خلال تغطيته لحاجات المجتمع المتجددة من أفكار إنسانية جديدة ، ونظريات علمية حديثة ، ودراسات تربوية متطورة ... إلخ .

٢- التفسير الموضوعي يشكل النظرة القرآنية المتكاملة نحو موضوع معين

وذلك بدراسته بعمق وشمولية تثري معلوماته ، وتبلور قضاياه ، وتبرز م المه ، مم يسهل على القارئ الإلمام والإحاطة به في كتاب أو أكثر بعد أن كان متناثرًا في مواضع عديدة ، من كتب كثيرة ، لمفسرين ومؤلفين كثر .

٣- "عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب ج ديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا ينقضي عجائبه" (١) .

٤- التفسير الموضوعي يوضح مناهج الدعوة إلى الله والإصلاح في جميع مجالات الحياة ، ويعرف الدعاة والمصلحين على حقائق القرآن التي تتناول الحياة البشرية بأسرها .

٥- إنه يلبي رغبات العلماء والباحثين خاصة ، والقراء عامة بهذا اللون ا لخصصي لتفسير كتاب الله ، كما أنه يثري المكتبة الإسلامية ويزيد من ذخرها .

رابعًا : مجال التفسير الموضوعي :

يتضح من خلال تعريف التفسير الموضوعي أن مجاله واسع غير محدد ؛ بل يستغرق كل اتجاهات التفسير الأخرى .

خامساً : أهم كتب التفسير الموضوعي :

أ) في مجال التفسير بالمأثور :

١- أسباب النزول . لأبي حسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٨هـ) .

٢- الناسخ والمنسوج . لأبي جعفر النحاس .

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي . للدكتور مصطفى سالم / ٣١ .

ب) في مجال التفسير بالرأي الجائز :

١- الإنسان في القرآن . لعباس محمود العقاد .

٢- مع الأنبياء في القرآن الكريم . لعفيف عبد الفتاح طبارة .

٣- معالم الصراع الإيماني في قصة موسى . د. جمال محمود الهوبي (رسالة ماجستير مطبوعة غير منشورة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .

٤- الإحسان في ضوء القرآن . أ. رياض قاسم (رسالة ماجستير مطبوعة غير منشورة ١٩٩١م) .

ج) في مجال التفسير اللغوي :

١- كتب مجاز القرآن . لأبي عبيدة ، وللشريف الرضي ، وللعز بن عبد السلام وغيرهم .

٢- المفردات في غريب القرآن . للراغب الأصبهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ) .

٣- دلائل الأعجاز . لعبد القاهر الجرجاني .

٤- التصوير الفني في القرآن . لسيد قطب (المتوفى سنة ١٩٦٦م) .

٥- الاستثناء بإلا في القرآن الكريم للأستاذ أحمد بحر (رسالة ماجستير مطبوعة غير منشورة ١٩٨٨م) .

د) في مجال التفسير الفقهي :

١- (كتب تفسير آيات الأحكام ، وقد سبق ذكرها فلا نكررها [١]) .

---

(١) راجع ص / ٢٤٤ - ٢٤٦ .

هـ) في مجال التفسير العلمي :

١- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن . للأستاذ حنفي أحمد .

٢- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د. عبد السلام اللوح (رسالة ماجستير مطبوعة غير منشورة ١٩٨١م) .

و) في مجال التفسير الإصلاحي الاجتماعي :

١- الإصلاح الاجتماعي في سورة البقرة . د. عصام العبد زهد (رسالة دكتوراة مطبوعة غير منشورة ١٩٩٤م) .

٢- حقوق الإنسان في القرآن والسنة . د. عبد الكريم الدهشان (رسالة دكتوراة مطبوعة غير منشورة ١٩٩٥م) .

٣- طبيعة المجتمع الإسلامي كما تصورها سورة النور . د. زكريا الزميلي (رسالة ماجستير مطبوعة غير منشورة ١٩٩١م) .

فهرس المحتويات

فهرس المراجع والمصادر

الرقم	المرجع
١	القرآن الكريم .
٢	صحيح البخاري مع الفتح . ط : (دار إحياء التراث العربى) وط : (تحقيق فؤاد عبد الباقى) .
٣	صحيح مسلم . ط : (دار إحياء التراث العربى) (تحقيق فؤاد عبد الباقى) .
٤	سنن الترمذي . ط : (دار الكتب العلمية) .
٥	سنن أبى داود . ط : (دار الفكر) .
٦	سنن ابن ماجة . ط : (دار الفكر) .
٧	سنن النسائي . ط : (المطبعة المصرية بالأزهر) .
٨	سنن الدارمي . ط : (دار الفكر) .
٩	المستدرك . للحاكم .
١٠	رياض الصالحين . ط : (مؤسسة الرسالة) (تحقيق : شعيب الأرناؤوط) .
١١	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . لعلاء الدين على المتقى حسام الدين الهندي البرهان فوري . ضبطه الشيخ بكري حيانى . صححه الشيخ / صفوة السقا . ط : ٥ (١٩٨٥م) مؤسسة الرسالة .
١٢	كشف الخفاء . للعجلونى .
١٣	فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير . لمحمد عبد الرؤوف المناوي . تحقيق أحمد عبد السلام . ط : دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
١٤	الفردوس بمأثور الخطاب . للديلمي الهمداني . تحقيق / السعيد بن بسيونى . ط : (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) دار الكتب العلمية . بيروت .
١٥	البرهان في علوم القرآن . للزركشي .
١٦	الإتقان في علوم القرآن . للسيوطى .
١٧	مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني (ط دار الفكر)

الرقم	المرجع
١٨	التفسير والمفسرون . د. محمد حسين الذهبي . دار الكتب الحديثة . ط ٢ ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
١٩	لمحات في التفسير ومناهج المفسرين . د. محمد الصباغ .
٢٠	مقدمة في أصول التفسير . لشيخ الإسلام ابن تيمية . مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير . لإبراهيم بن محمد . ط : دار الصحابة للتراث .
٢١	الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير . د. عبد الغفار عبد الرحيم . ط : دار الأنصار بالقاهرة .
٢٢	دراسات في التفسير ورجاله . لأبي اليقظان عطية الجبوري . دار الندوة الجديدة . ط ٢ سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٣	أصول التفسير ومناهجه . للدكتور / فهد الرومى .
٢٤	مباحث في التفسير الموضوعي . للدكتور / مصطفى مسلم . ط : ١ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) دار القلم - دمشق .
٢٥	علوم التفسير . للدكتور / محمد شحادة .
٢٦	تفسير الطبري . ط : (الحلبي) .
٢٧	تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ط : (دار المعرفة) .
٢٨	فتح القدير . للشوكاني . ط : (دار الفكر) .
٢٩	الدر المنثور في التفسير بالمأثور . للسيوطي . ط : (دار الفكر) .
٣٠	التسهيل لعلوم التنزيل . للكلبي . ط : (دار الفكر) .
٣١	تفسير الجلالين . للمحلى والسيوطى . ط : (الأنوار المحمدية) .
٣٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل . للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضاوي . ط : (دار الفكر) (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)
٣٣	الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي .
٣٤	مفاتيح الغيب . لفخر الدين الرازي .
٣٥	تفسير البغوي .
٣٦	البحر المحيط . لأبي حيان .

الرقم	المرجع
٣٧	روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى . للألوسى .
٣٨	تفسير المنار . لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا .
٣٩	الجواهر في تفسير القرآن . لطنطاوي جوهري .
٤٠	لسان العرب . لابن منظور .
٤١	القاموس المحيط . للفيروز أبادي . ط : (دار الحديث) .
٤٢	مختار الصحاح . للرازي . ط : (دار الفكر) .
٤٣	النهاية في غريب الحديث والأثر . لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير . تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي . ط : (دار الفكر) .
٤٤	وفيات الأعيان . لابن خلكان .
٤٥	شذرات الذهب . لابن العماد .
٤٦	كشف الظنون . لحاجي خليفة .
٤٧	الدرر الكامنة .
٤٨	البداية والنهاية . لابن كثير .
٤٩	طبقات المفسرين . للداودي .
٥٠	بغية الوعاة . للسيوطى .
٥١	هدية العارفين . لإسماعيل باشا .
٥٢	الأعلام . للزركلي .
٥٣	غاية النهاية . للجزري .
٥٤	طبقات الشافعية الكبرى . للسبكي .
٥٣	البدر الطالع . للشوكاني

فهرس الموضوعات